ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
المركز الجامعي لميلة
centre universitaire de Mila
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:.....

شعر أبي العلاء المعري

ـالرؤية والأداةـ

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة:أدب عربي
التخصص:أدب قديم

إعداد الطالب:
علاوة قرميش

إشراف الأستاذ:
منير بن ذيب

السنة الجامعية:1434-1435 هـ /2013-2014م

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

إهداء

إلى:

التي حملتني وهنا وأشبعتني حبا . . . أمي

الذي رعاني و على حب العلم رباني . . . أبي

التي صبرت على جنوني . . . زوجتي

إلى مهجتي . . . خولة ، إسلام ، إسحاق ، إحسان

إلى إخوتي وأخواتي . . . زين الدين ، نور السادات ، عمّار ، نادية ، ليندة ، سميرة

مروة ، وهيبة

لجين ، جابر ، جاد ، زكرياء ، مسلم ، رحمة ، ضرار ، بتول

صالح ، رحمه الله وأسكنه الله فسيح جنانه

كل من علّمني حرفا

كل من ذكر لسانه اسمي

أهدي ثمرة جهدي

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

شكر وعرفان

في هذا المقام لا يسعني إلا أن أقدم جزيل شكري، وعظيم امتناني لأستاذي :
منير بن ذيب، لما قدمه لي من كرم كبير، ولما أسبغه علي من روح مشبعة بمغامرة البحث
والكتابة، فكان المشرف الحق والموجه الحاني على تلميذه .
فشكرا لأستاذي ما وفّى التلميذ لأستاذه، وأشهد أنني أثقلت عليه طيلة الصحبة،
مع "أبي العلاء المعري"، ولم أحس منه تذمرا أو تبرما على كثرة الإلحاح
وما أحسب أني وفيته حقه بهذه الكلمات القليلة .
كما أتقدم بجزيل الشكر لكل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها، لما قدموه
لي من نصح، فهكذا الأساتذة العلماء الذين ينسامون في تنوير العقول وخدمة العلم .
فجزاهم الله عنّي خير الجزاء، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل .

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

مقدمة

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين سينا محمد –صلى الله عليه وسلم– ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

لم يكن نظمُ العرب للشعر قديما مجرد تخليد جميل مآثرهم ولا لمحض التنفيس عن خواطرهم وأنات صدورهم،بل جاء النظم في اغلب حالاته مصورا لرؤاهم وترجمانا لمنهج حياتهم ،بما يحمله من مضامين فلسفية وفكرية،خاصة في العصر العباسي الذي كان زاخرا بالأدب ومعتركا للأفكار ،واحتكاك الشعوب وتلاقح الثقافات وتمازج الحضارات واتساع أفاق الإطلاع على ما أورثته الأمم السالفة من معارف وفلسفات،فعظمت حركة التأليف،واشتد اختلاط العرب بالشعوب الأخرى،هذا ما جعل المؤرخون يطلقون عليه"العصر الذهبي"وما وقفنا عند هذا العصر،إلا أنه جاء بشخصية عظيمة اسمها "المعري".

شغل أبو العلاء المعري الناس قديما وحديثا،فكتبت عنه المجلدات الكثيرة شرقا وغربا،وأقيمت الندوات والمناظرات في آثاره؛واختلف فيها العلماء المفكرون والباحثون،وأياً كان الشأن في ذلك ،فالمعري ملأ الأفاق، بسعيه الحثيث نحو فهم الحياة وحل لغزها .

ولست أول من دفعه الحماس أن ينقب في شعر أبي العلاء المعري،هذا الشاعر العملاق،صاحب العقل والفكر والتأمل،ولاسيما حين وفق أيما توفيق في الربط بين الشعر والفلسفة، فغدا شاعرا فيلسوفا،واجتهد برؤيته الثاقبة على إيقاظ العقول من مرابضها،مفيدا من مذهب العقل،في زمن ساد فيه الانحراف والفوضى والفتن والتمزق الفكري والسياسي والاجتماعي والديني،الأمر الذي جعله يصر على تخليص زمانه من أوجاع الجهل والتخلف والفقر،والعبث الفكري والديني،ويتطلع إلى عناق الأفق المفتوح الذي يخلص الإنسان من كل عوالم الظلم والجهل، وإشعار متلقيه بما يحدق بهم من متغيرات،وما يحيط بهم من وقائع وأحداث.وقد ظهر ذلك كله في آثاره،وخاصة منها:سقْط الزند ولزوم ما لا يلزم.

ولما كان الشعر أداة من أدوات التعبير الإنساني،يسعى الشاعر من خلاله التعبير عن رؤيته تجاه المجتمع،نجد أبا العلاء وضع نفسه موضع الناقد لهذا المجتمع،وقد دلت لغته الشعرية أنه طالما حمل عمله الإبداعي الحديث عن هموم الأمة ،عسى أنْ يوقظها من سباتها،فقد آثرت تناول هذا الموضوع الموسوم بـ : **"شعر أبي العلاء المعري، الرؤية والأداة"**.

أما عن سبب اختياري لدراسة الرؤية والأداة في شعر أبي العلاء المعري،فيمكن إرجاعه إلى عدة عوامل،ذاتية وموضوعية،أما الذاتية،كون الشعر العربي القديم أكثر الجسور الأدبية الحاملة لقيم المجتمع،وبالتالي تولدت عندي الرغبة في الكشف عن طبيعة المجتمع في حياة الشاعر أبي العلاء،لكن سرعان ما انقلب هذا الاقتناع الذاتي إلى رغبة ملحة، وأصبحت القناعة موضوعية،بعدما غصت في ثنايا دواوين أبي العلاء،واطلعت على كثير من القضايا الفلسفية والدّينية والاجتماعية والظواهر الفكرية المستجدة فيها، والتعرف على الأدوات الفنية التي استخدمها الشاعر في الإبانة عن هذه الرؤى.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

أما الإشكالية التي أود أن طرحها من خلال اختياري لهذا الموضوع فتتمثل في الآتي:

- ماهي طبيعة رؤية أبي العلاء المعري الفلسفية والدّينية والاجتماعية؟
- ماهي الأدوات الفنية التي استخدمها أبو العلاء في تشكيل رؤيته؟
- ما مدى التناغم بين الرؤية والأداة في الإبداع الشعري عند أبي العلاء المعري؟

هي أسئلة يمكن الإجابة عنها من خلال هذا البحث،الذي اقتضت منهجيته أن تكون وفق الخطة التالية: بدأتها بمقدمة ومدخل،ثم قسّمت البحث إلى فصلين وخاتمة،أما المدخل فقد خصصته لمفهوم الرؤية والذي جاء تحت عنوان:"الرؤية المفهوم والمصطلح"،حيث عبدت طريق البحث ،وحاولت تقصي أهم المفاهيم المتعلقة بمصطلح الرؤية ،من حيث التأصيل المعجمي والتعريف الاصطلاحي.وتضمن الفصل الأول، أنماط الرؤية في شعر أبي العلاء المعري، والذي انضوى تحته ثلاثة مباحث،جاء في المبحث الأول،الرؤية الفلسفية وفي المبحث الثاني الرؤية الدّينية وفي المبحث الثالث الرؤية الاجتماعية .أما الفصل الثاني فدار حول الأداة الفنية في شعر أبي العلاء المعري،وحاولت التنظير والتطبيق معا،وتم تقسيمه إلى ثلاثة مباحث،حيث جاء في المبحث الأول اللغة،حيث وقفت عند أهم الأدوات اللغوية التي استخدمها الشاعر،أما المبحث الثاني فقد تم تخصيصه للصورة الفنية،بشتى تشكيلاتها وألوانها،وفي المبحث الثالث والأخير،فقد تناولت فيه الموسيقى الشعرية،ومحطة الإيقاع والصوت والموسيقى الداخلية والخارجية، وطبيعة العلاقة القائمة بين الوزن العروضي والنص في شعر أبي العلاء.

وفي كل فصل من الفصول أنهيه باستنتاج،وأنهيت البحث بخاتمة،كانت عبارة عن حوصلة لأهم ما توصلت إليه من نتائج تعلقت بالرؤية والأداة في شعر أبي العلاء المعري.

أما المنهج الذي قاربته في بحثي هذا فهو المنهج الوصفي التحليلي،وقد أملته طبيعة الدراسة،التي تسعى للوقوف على رؤية أبي العلاء المعري والأدوات الفنية المشكلة لنصه الشعري.

ولإنجاز هذا البحث تم الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية المترجمة،التي رأيتها مناسبة لخدمة ميدان الدراسة،وأهم مصدرين اعتمدت عليهما في كتابة هذا البحث: ديوان (سقط الزند) وديوان (اللزوميات) لأبي العلاء المعري ،أما الدراسات والمراجع التي لها علاقة بالموضوع،فهناك أكثر من كتاب،نذكر منها: (شروح سقط الزند)و(شرح اللزوميات)،وكذلك (الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره) لمحمد سليم الجندي،و(تجديد ذكرى أبي العلاء) لمؤلفه الدكتور طه حسين،وكتاب(أثر النزعة العقلية في الشعر العباسي) لمؤلفه حسن عبد العليم يوسف.

وقد واجتهني صعوبات جمة،اعترضت طريقي،تمثلت في كيفية ترتيب المادة العلمية،وسط هذا الركام الهائل من الشعر في ديواني سقط الزند واللزوميات؟ثم أي نماذج اختارها لتبيين رؤية أبي العلاء،خاصة وأن الكثير منها خليط مضطرب من الأفكار والتصورات؟فوجدت في ذلك مشقة بالغة في جمع أطراف الموضوع والإحاطة بعناصره.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي "منير بن ذيب" الذي عبّد لي الطريق وأنار المظلم الحالك،ولكم قدرت فيه صبره،وحسن استماعه،وسديد توجيهاته.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وإلى جميع أساتذة معهد الآداب واللغات،وأخص بالذكر منهم أساتذة قسم اللغة والأدب العربي، فجزاهم الله عنّي خير الجزاء.

وقبل أن أختم هناك كلمة لابد من ذكرها في هذا المقام،وهي الاعتراف بأنّ هذا البحث المتواضع هو جهد مقلّ لا يدّعي الكمال فيه،حتى يقف قارئ بحثي موقف من يتلمس لي العذر فالكمال لله وحده.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

مدخل

الرؤية المفهوم والمصطلح

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الرؤية المفهوم والمصطلح

مفهوم الرؤية :

الشعر فن العربية الأول،وأكثر فنون القول هيمنة على التاريخ الأدبي عند العرب ،خصوصا في عصورها الأولى ؛ لسهولة حفظه وتداوله.وقد شاركته في الأهمية بعض الفنون الأدبية الأخرى كالخطابة. وبعد تطـــور الكتابة وانتشارها واتصال العرب بغيرهم ،دخلت بقية الفنون الأدبية الأخرى ، المتمثلـــة في النثر بأشكـــاله المختلفة لتساهم جنبا إلى جنب ، مع الشعر في تكوين تراث الأدب العربي.

والشعر ديوان العرب،لذلك يعتبره النقاد وثيقة يمكن الاعتماد عليها في التعرف على أحوال العرب وبيئاتهم وثقافتهم وتاريخهم. كما أنا الشعر ترجمان الفكر ، ووحي النفس الإنسانية، منها يغترف تجاربه ، وعنها يعبر وينظم.

كما أنّ الشعر يتجاوز اللغة اليومية التواصلية التعبيرية،إلى لغة تمارس نظما شاعريا للواقع الملموس، تحمل رؤية خاصة إزاء الماضي والحاضر والمستقبل،يثبت الشاعر من خلالها إنسانيته ورؤيته.ويعتقد بعض النقاد " أن النقد الذي ينظر إلى العمل الأدبي باعتباره علاقات جمالية لا تهدف إلى غاية ،ينكر على الأديب إنسانيته ، يجعل منه طفلا يقوم بنشاط عبثي لا جدوى منه"[1].

كثر استخدام مفردة "الرؤية"عند القدماء والمعاصرين على السواء،إلى حد لم يعد فيه الدلالة المعجمية تفي بالغرض،بعدما أضحت هذه المفردة تستخدم في شتى مجالات العلوم الإنسانية،من فلسفة وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والنقد الأدبي.

أولا :الرؤية لغة

جاء في لسان العرب ،مادة (رأى):الرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين؛يقال :رأى زيدا عالما ورأى رأيا ورؤية وراءة ،وقال ابن سيدة:الرؤية النظر بالعين والقلب"[2].

ورد في اللسان أيضا قول ابن منظور :"ويقال:فلان يتراءى برأي فلان إذا كان يرى رأيه ويميل إليه ويقتدي به...قال ابن سيدة كقولك :فلان يرى رأي الشراة أي يعتقد اعتقادهم ، ومنه قوله عزوجل: ﴿لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾[3].

فحاسة البصر ههنا لا تتوجه ولا يجوز أن يكون بمعنى أعلمك الله ؛لأنه لو كان كذلك لوجب تعديـــه إلى ثلاثة مفاعيـــل، وليس هناك إلا مفعولان: أحدهما الكاف في أراك،والآخر الضمير المحذوف للغائب أي أراكه"[4].

---

(1) عبد المحسن طه بدر،الرؤية والأداة،(ط3)،دار المعارف، مصر،(د ت) ،ص15.

(2) ابن منظور، لسان العرب ،(ط3)،دار صادر، بيروت ج14،1993م،ص291،مادة (رأى).

(3) سورة النساء ،من الآية :105.

(4) ابن منظور، لسان العرب ،المصدر السابق ،ص ص301،300.

وجاء في تاج العروس:"الرؤية بالضم إدراك المرئي،وذلك أضرب بحسب قوى النفس،الأول النظر بالعين التي هي الحاسة وما يجري مجراها ،ومن الأخير قوله تعالى:﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾[1]،فإنه مما أجري مجرى الرؤية بالحاسة،فإن الحاسة لا تصح على الله تعالى.والثاني بالوهم والتخييل نحو :أرى أن زيدا منطلق،والثالث بالوهم نحو :إني أرى مالاترون،والرابع بالقلب أي بالعقل،وعلى ذلك قوله تعالى:﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾"[2].

وقد يتعدى الفعل رأى بحرف الجر(إلى) فيكون معنى الفعل رأى هنا الاعتبار والتأمل ؛كما في قوله تعالى : ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءم بَصِيرٞ﴾"[3]،وقد يكون معنى الفعل رأى التفكر والنظرة الاستشرافية نحو المستقبل ؛من ذلك قوله تعالى حكاية عن فرعون:﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾"[4].

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري قوله[5] :"رأي ،رأيته بعيني رؤيةً،ورأيته في المنام رؤيا،ورأيته رأي العين.وأرأيته غيري،إراءة،ومن المجاز فلان يرى لفلان إذا اعتقد فيه،وأراه وجه الصواب،وأرني برأيك؛قال: نهار بن توسعة(*):

فَلَمِنْ أَقُولُ إِذَا تُلمُّ مُلمَّـةٌ أراني بِرَأْيِكَ أَوْ إِلَى مَنْ أُفْزَعُ

---

(1) سورة التوبة،من الآية :105.

(2) سورة النجم ،الآية 11.

(3) سورة الملك ،الآية19.

(4) سورة الأنفال ،الآية 48.

(5) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري،أساس البلاغة،(ط1)،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1998م،ص226.

(*) هو نهار بن توسعة بن أبي عتبان، من بكر بن وائل، من بني حنتم وكان أشعر بكر بن وائل بخراسان، وهو القائل:

أبِي الإسْلامُ لا أَبَ لِي سِوَاهُ ... إِذَا هَتَفُوا بِبَكْرٍ أَو تَمِيمِ

دَعُى القَوْمِ يَنْصُرُ مُدَّعِيهِ ... فيُلْحِقُهُ بذي النَّسَبَ الصَّمِيمِ

وما كَرَمٌ ولو شَرُفَتْ جُدُودٌ ... ولكنَّ التَّقِيَّ هو الكَرِيمُ

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ثانيا :الرؤية اصطلاحا

أ–الرؤية عند القدماء

يفسر أرسطو الشعر بأنه نوع من المحاكاة لجوهر الواقع لأجل إكمال ما فيه من نقص . هذا التفسير الأرسطي يمكن اعتباره بداية لبزوغ فكرة(الرؤية) في النقد الفني، حيث يرتقي الفن من كونه(محاكاة مرآوية) لظواهر الموجودات أو الأحداث إلى أن يصبح (رؤية) الفنان إلى جوهر الحياة والتاريخ.كما كان يرى أفلاطون رؤية تنطلق من الطبيعة والواقع ولكنها لا تتقيد بهما، بل تتجاوزهما إلى العالم لإعادة تشكيل هذا الواقع.
بحيث" يبدو في أحلى مظاهره، فهو لايعني برؤية الناس كما هم في الواقع ، بل كما يجب أن يكونوا"[1].

إنّ الرؤية التي يحاكي بها الشاعر جوهر الحياة ليست فكرة فلسفية فحسب ،بل إن الشاعر يكشف عنها في حبكة فنية،وهذه الحبكة الفنية هي "نشاط وحركة في حالة صيرورة تصل مداها ومبتغاها وكمالها وشكلها النهائي كأي شيء في الوجود،فالحقيقة تكمن في اكتمال هذه الصورة التي تحمل بذور قوتها لتصبح في النهاية شيئا عقليا متكاملا"[2].

إنّ في هذين النصين ما قد يشير ،بشيء من المقاربة ،إلى فكرة أرسطو عن الرؤية وارتباطها بالشكل الشعري،فهي لا تجد اكتمالها ،إلا في حبكة فنية ، وهذا يعني ان الرؤية تعيش داخل هذه الحبكة ولا يمكن الوصول إليها إلا من خلالها.

أما في الفن فإن المصطلح يشير إلى فكرة كلية، عن الكون والناس والأشياء، يقدمها الفنان في عمله الفني.
جاء في معجم الفنون الإنسانية: "وفي الجماليات ، نستخدم أحيانا عبارة رؤية العالم للإشارة إلى الرؤية التي تكمن في الأثر الذي وضعه فنان"[3].

إنّ مصطلح (الرؤية) يعني "كل تعبير من الكاتب عن قسم من فلسفته للحياة في أدبه،وهي أيضا تجربة جمالية تعتمد على تنامي استبصار القارئ فيها ،بغية التنامي النهائي مع وعي الأديب،ومنه فالرؤية هي النظرة الشاملة المتماسكة المترابطة التي يقدمها لنا الأديب من خلال أدبه"[4].

إنّ لكل عمل أدبي إلا وله رؤية معينة، يحاول من خلالها الأديب أن يعبر عما يختمر في خاطره،تجاه واقعه ومجتمعه،وإزاء كينونته ووجوده، فيعيد بعمله الأدبي تشكيل هذا الواقع ،ويختار منه ما يتلاءم ورغبته في الكشف عن هذه الرؤية،بل هي بالنسبة للشاعر الصوت الذي ينبع من بين أبيات القصيدة ليعبر عن البصري، كما يعبر عن الفكري والاعتقادي و ماهو شبه واقعي ،إنها تعبير التعبير على جميع المستويات،ليس هذا فحسب ،بل إنّ "رؤية الأديب كلما كانت عميقة وحساسة ،مبتعدة عن السطحية حاملة في طياتها الذكاء،كانت أقدر على

---

(1) أحمد السعدي ،نظرية الأدب ،مقدمة في نظرية الفن،(د ط)،مكتبة الطليعة،أسيوط،مصر،1979م،ص 20.
(2) عيد الدحيات،النظرية النقدية الغربية من أفلاطون إلى بوكاشيو،(ط1)،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت لبنان،2007م.،ص76.
(3) معجم العلوم الإنسانية ،جان فرنسوا دورتيه،تر :د.جورج كتورة ،(ط1) ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت2009.
(4) صبحي،محي الدين،دراسات رؤوية، منشورات وزارة الثقافة ،دمشق، (د ت)، ص7.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

كشف القوى التي تعوق حرمة الواقع وتقهر إنسانية الإنسان"[1]. وقد تكون الرؤية بمعنى الموقف ومنه يجب على كل أديب شاعرا كان أم فنانا أن ينطلق منها للتبشير بموقفه،وعليه تنقسم الرؤية إلى قسمين:

1- الرؤية العامة:وهي الموقف الذي ينطلق منه الأديب لتقديم نظرته على أمر من الأمور في أدبه عامة، ومنها الرؤية السياسية والفكرية والاجتماعية وغيرها.

2- الرؤية الخاصة:وهو الموقف الخاص الذي ينطلق منه الأديب لإبداع نصه الأدبي"[2].

في حين نجد مصطلح" الرؤيا" كلمة مفعمة بالغوامض التي تشير إلى المتخيل والماورائي.قال ابن منظور : "أَرَأَى الرَّجُلُ إِذَا كَثُرَتْ رؤاه، بِوَزْنِ رعَاهُ، وَهِي أَحْلاَمُهُ،جمع الرُّؤْيَا ورأى فِي مَنَامِهِ رؤيا،على فعلى بلا تنوين، وَجمع الرُّؤْيَا رُؤَىً،بِالتَّنْوِينِ، مثل رعًى"[3].

ويفهم مما سلف أن مصطلح (الرؤيا) من المصطلحات الغامضة في الخطاب النقدي الحديث، وأن معناها يتأرجح بين الحسي الملموس المدرك بالحواس وبين المجرد الصوري الفلسفي ، ما يعني أن للرؤيا مفاهيم ضبابية، وأبعاد غائرة في عمق التجربة الإنسانية، وفي آفاق الكون، والوجود، والحياة،وهذا بسبب تعدد معانيها واختلاف مراميها، وتشعب أبعادها الفلسفية والمعرفية، واختلاطها مع مفهوم الرؤية القريبة منه صوتا ودلالة .

ويبدو مصطلح (الرؤية)، من خلال التأصيل المعجمي، أنه يستوعب جميع الدلالات التي تتشظى عن الفعل (رأى)، ابتداء من الرؤية البصرية المجردة التي تتشكل من ممارسة الشاعر للحياة، ومن احتكاكه بالواقع والناس، ومن عمله بقضاياهم وطموحاتهم، ومن معارفه، وخصوصيات انتمائه الفكري الثقافي والسياسي ،وانتهاء إلى الرؤية القلبية العقلية التي تصور المستقبل الإنساني، والاجتماعي، والكوني الذي يتوق إلى العيش في ظله الإنسان.

ب –الرؤية عند المعاصرين

تبلور مفهوم الرؤية من المنهج الاجتماعي الجدلي،الذي يجد مرتكزه الفكري في الفلسفة الماركسية تحت مـــا يصطلح عليه بت(الرؤية للعالم)" vision du monde"؛هذا المنـــهج يؤكد على وجود العلاقة بين المستوى الثقافي والمستوى الاقتصادي في المجتمع.من هنا أكد أصحاب هذا المنهج، وعلى رأسهم"لوسيان غولدمان" [*] على أن الرؤية للعالم نسق فكري يسبق عملية إنتاج النص،بل هي عمليـــة قبلية للإبداع الشعري،بل قد تكون حافـــزا

---

(1) بدر عبد المحسن طه ،نجيب محفوظ الرؤية والأداة،(دط)،دار الثقافة للطباعة والنشر،القاهرة،1978م،ص ص20 ،21.

(2) يحي ،عبابنة،الرؤى المموهة،قراءات في ديوان عرار (عشيات وادي اليابس)،منشورات أمانة عمان الكبرى،2001م ،ص ص 34- 36 .

(3) ابن منظور،لسان العرب،المصدر السابق،ص302.

(*)لوسيان غولدمان: (1913-1970) مفكر وناقد فرنسي من أصل روماني. ولد في بوخارست، وانتقل عام 1934 إلى باريس حيث هيأ رسالة دكتوراه في الاقتصاد السياسي. وفي عام 1940 هرب من الاحتلال الألماني لفرنسا إلى سويسرا حيث بقي في أحد معسكرات اللاجئين إلى سنة 1943 حيث توسط الفيلسوف (جان بياجيه) في تحريره وإعطائه منحة دراسية لرسالة الدكتوراه، ثم عيّنه مساعداً لـــه في جامعة جنيف، حيث تأثر بأعماله حول البنيوية التكوينية. وبعد تحرير فرنسا عاد (غولدمان) إلى باريس، وحصل على عمل كباحث في المركز الوطني للبحث العلمي، وهيّأ رسالة دكتوراه في الأدب بعنوان (الإله المختفي: دراسة للرؤيا المأساوية لأفكار باسكال ومسرح راسين) عام 1956، فأثار بها ضجّة كبيرة في النقد الحديث في فرنسا.ثم وضع كتابه (أبحاث جدلية) عام 1959. وكان قد نشر كتابه (العلوم الإنسانية والفلسفية) عام 1952. وفي عام 1964 أصدر كتابه (من أجل علم اجتماع للرواية) عام 1964، ثم وضع (البنيات الذهنية والإبداع الثقافي) عام 1967، و (الماركسية والعلوم الإنسانية) عام 1970.

ودافعا له،حيث يقول :"فكل عمل أدبي أو فلسفي أو ديني يشكل في كليته بنية دالة معبرة عن رؤية ما للعالم، وهي تجل من تجليات الوعي الجماعي ،كما أنها مجموعة مترابطة من القضايا والحلول التي يتم التعبير عنها على المستوى الأدبي،عن طريق الإهداء بواسطة الألفاظ،وبواسطة كون محسوس من المخلوقات والأشياء"[1].

والرؤية عند لوسيان غولدمان أكثر شمولية: حيث" يتضمن كل عمل أدبي عظيم رؤية للعالم موحدة ،تنظم جملة معانيه.ومن أجل أن يكون هذا العمل عظيما حتما،فإن من الضروري أن نقدر على أن نجد داخله أنواع الوعي بالقيم الأخرى المرفوضة،بل والمقهورة من قبل الرؤية التي تؤسس وحدة العمل نفسه"[2].

حقا إنّ الرؤية هي تعبير عن واقع اجتماعي معين،لكن لا تعصب كما هي عند الماركسيين لهذا الواقع فتقف عند حدوده ،بل إنها يجب أن تتعداه لتشمل الاجتماعي والسياسي والتاريخي والفني.

إنّ (الرؤية للعالم) في النص الإبداعي عند الاجتماعيين الماديين ،هي أداة الصراع بين الطبقات الاجتماعية والسياسية من خلال الإبداع عامة ،والأدب خاصة." وإذا كان منهج ما يسمى بالبنيوية التكوينية،يستمد مبادئه من الفكر المادي الماركسي،لأنه يعتبر النص في علاقة حميمة مع الواقع الاجتماعي، وهذا ما يجعل أي نص إبداعي يحمل نواة؛رؤية للعالم ؛رؤية للطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها،فقد رفض البنيويون التكوينيون،الاقتصار على التحليل الداخلي للعمل الإبداعي باعتباره عملا عقيما لا يمكن أن يوصلنا إلى رصد الرؤية التي يحملها النص.لهذا فقد رفضوا كل المناهج البنيوية والشكلانية التي تعتبر النص الإبداعي مجرد بنية لغوية مغلقة على نفسها يقوم النقد الأدبي بفك ووصف وتحليل رموزها اللغوية"[3].

فالرؤية الشعرية، إذن ، تنبع من جملة الأفكار، والتصورات، والانفعالات والمواقف،والمبادئ التي يستمد منها الشاعر مادتها الخام من السياق الاجتماعي والسياسي والديني والنفسي الذي يعيش فيه ،ثم تختمر في خلد المبدع ليعبر عن رؤيته، انطلاقا من الواقع والأحداث والظروف ، لذلك نجد صاحب معجم المصطلحات الأدبية يعرف الرؤية بأنها :"الوعي الاجتماعي ببعديه الفكري والانفعالي..."[4]ويتضح من التعريف أنّ المبدع ينطلق من خلال وعيه بالواقع الاجتماعي الذي يحيط به ومدى استجابته لتلك التجارب .

وهكذا فإنّ مفهوم الرؤية يتجسد من خلال تبني المبدع لقضايا مجتمعه و لا يتأتى إلا من خلال شعوره بأن لهذا التبني وظيفته "وله دوافعه الضرورية التي من خلالها يتسق مع مجتمعه، وكأن الاعتراف بواقعية الفن يتضمن اعترافا مؤكدا بضرورة الانتماء ورضى الشاعر عن نفسه كلبنة في بنية المجتمع، يصعب عليها أن تعيش في معزل عنه أو فراغ منه"[5]، فالشاعر فرد من أفراد المجتمع، لا يمكنه أن ينأى بنفسه عن قضاياه، فمنه يأخذ وبه يتأثر ومن خلاله يعبر عن فنه فيتحقق التواصل المفضي إلى الإبداع. " فلا بد أن يكون له موقف قد يتوافق فيه مع بعض

---

(1) لوسيان غولدمان ، الإله الخفي،نقلا عن ،"نحو أدب سوسيولوجي"،جاك دوبوا ،مجلة آفاق،ع10،الجزائر 1981،ص39.

(2) المرجع نفسه،ص40.

(3)تروتسكي،الأدب والثورة،تر:جورج طرابيشي،(ط1)،دار الطليعة ،بيروت،1975،ص117.

(4) إبراهيم فتحي ، معجم المصطلحات الأدبية،(ط1)،المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ،صفاقس،الجمهورية التونسية،1986م.،ص189.

(5) عبد الله التطاوي،القصيدة العباسية قضايا واتجاهات،(ط3)،دار غريب،القاهرة،(دت) ،ص39.

فئات المجتمع، وقد يختلف مع بعضها الآخر، ولكنه في النهاية يحاول أن يستغل فنه وإبداعه في التعبـــير عن وجهة نظره الناقـــدة أو المؤيدة، وغالبا ما يقدم طروحات عديدة لا تقف عند حدود الزمان والمكان، فهو يحلق في فضاءات كبيرة وربما يقدم نبوءات جديدة غير مألوفة"[1].

إنّ الأديب ليس بمنأى عن واقعه ،فهو يعيد تشكيل هذا الواقع انطلاقا من رؤيته الخاصة." الأدب تعبير بالكلمة عن رؤية الأديب لواقعه ،وأن الأديب بعمله الأدبي يعيد تشكيل الواقع ، ويختار منه ما يتلاءم مع رغبته في الكشف عن هذه الرؤية،وأن هذه الرؤية تكشف عن إدراك الأديب لعلاقات الواقع،كما تتضمن تخيله للصورة التي ينبغي أن تسود هذه العلاقات في المستقبل"[2].

وانطلاقا من هذا تصبح العلاقة المتبادلة بين الشاعر ومجتمعه من أبرز العوامل التي تفجر إبداعه ،فلا يمكننا بحال من الأحوال أن نتخيل إبداعا ينتج من الفراغ"لذا فإن الخطوة الأولى لتعليل الإبداع الفني سواء كان قصيدة أم إبداع صورة ،هي الكشف عما شهده الشاعر من نقص في بيئته وكيف دفعه شعوره بهذا النقص إلى تفقد الحل الذي يرضيه"[3].

وتأسيسا على ما سبق ،فإنه لا يمكننا الكشف عن رؤى الشاعر إزاء التجارب المختلفة،من خلال قصيدة واحدة ،"ذلك أنه يعبر عن رؤاه الجزئية إزاء موقف معين أو تجربة محدودة، ومن ثم لا بد لنا من استقصاء الرؤية الكلية عند شاعر بعينه من خلال الوقوف على مجمل نتاجه الشعري،أو التقليب بين قصائده المختلفة، لإعادة تركيب مفردات الرؤى الجزئية التي تكون مجتمعه رؤية كلية تفسر موقفه من مختلف التجارب الإنسانية"[4].

وإذا امتد البحث إلى التراث العربي، وخاصة في نهاية العصر العباسي ،أو فلنقل العصر العباسي الثالث على حد قول جرجي زيدان والذي يمتد من (سنة334 هـــ إلى سنة447 هـــ)،"وفيه نبغ المفكرون والمشتغلون في العلم والأدب من الشعراء والأدباء والمنشئين والمؤرخين ،والجغرافيين واللغويين والفلاسفة من مدائن كثيرة من المملكة الاسلامية"[5].أين تعددت المذاهب الفكرية ذات الدلالات الفلسفية ،فهو عصر تطور السنة والشيعة والقرامطة والمعتزلة والمرجئة،كما تغيرت الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية وبهذا التغير انقلبت الحياة السلوكية والنفسية للإنسان العربي،وانسحب مع هذا الانقلاب على النتاج الأدبي عموما والشعري خصوصا،فاستحدث أدوات فنية جديدة من لغة وصور شعرية وإيقاع لتساير العصر ومستجداته.فاضطلع الشعر بمهام كثيرة،أملتها ظروف الحياة الجديدة،فانتقل الشاعر من طور التابع للقبيلة أو الجماعة أو الحزب إلى طور التفرد والاغتراب والقلق والتمرد والشكوى.حيث راح الشاعر "يثبت وجوده من خلال الاندفاع على توكيد الروح، وتحقيق معنى التفرد أو الفردانية التي تكشف عمّـــا في الداخل من صفات تميز شخص الشاعر من ناحيـــة وتعينه

---

(1) صلاح الدين أحمد دراوشة،الرؤى والأدوات عند شعراء القرن الثاني الهجري،(ط1)،عالم الكتب الحديث،إربد،الأردن،2010م، ص13.

(2) عبد المحسن طه بدر ،الرؤية والأداة ،المرجع السابق ،ص16.

(3) مصطفى سويف،الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة،(ط3) ،دار المعارف،القاهرة،(د ت)،ص ص119، 120 .

(4) صلاح الدين أحمد دراوشة ، الرؤى والأدوات عند شعراء القرن الثاني هجري ،المرجع السابق ، ص ص 12، 13 .

(5) جرجي زيدان،تاريخ آداب اللغة العربية،(د ط)،دار الهلال ،الاسكندرية ،مصر ،ج 2،(د ت) ،ص 225.

على خلق موقفه الجديد ورؤيته الخاصة من ناحية أخرى...إن الشعر قد صار رؤية وموقفا،وصار حلما وفكرا في ذات الوقت"[1].كما هو الحال في تجارب المتنبي وأبي فراس الحمداني، وأبي العلاء المعري وغيرهم من الشعراء، الذين رسموا الحياة العباسية بكل ما تحمله من أطياف عرقية ودينية وسياسية واجتماعية،واستطاعوا أن يخرجوا برؤى فكرية وفلسفية ودينية واجتماعية ساهمت في تسليط الضوء على فترة من واقع الحياة العباسية.

(1) محمد زكي العشماوي ، موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ،(دط)، دار النهضة العربية،بيروت لبنان،1981،ص10.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

الفصل الأول:

أنماط الرؤية في شعر أبي العلاء المعري

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

أصل الرؤية:

لم يكد ينتهي القرن الرابع الهجري حتى ضعفت سلطة الخليفة العباسي، بسبب نفوذ العنصر الفارسي وتغلغله في إدارة وتسيير شؤون دواليب الدولة، كان بيدهم مقاليد الأعمال، وتصريف شؤون الخلافة ،"و لم يبق للخلفاء إلا الاسم واللفظ،ويؤدي ذلك إلى ظهور دويلات في دولة واحدة ،كان بعضها دول غير عربية ولا عباسية تنبع في أطراف الخلافة ثم تستقل بما تحت يدها وربما مد بعضها نفوذه إلى بغداد نفسها"[1].

امتاز هذا العصر،"بسوء الحالة السياسية في ممالك الإسلام واضطراب الأمن في جميع الأمصار ،وانتشار الدعوات والفتن والحروب"[2].حيث ساء الأمر من جميع نواحيه،"فاستبد الخلفاء والأمراء وانتشر الظلم والعدوان،حتى وصل الأمر ببعض الأمراء أن كان يحط السروج من الدواب ويجعلها على ظهور الناس، ويقادون كما تقاد البهائم"[3].

ومن ذا الذي يجرؤ في زمن الضعف والخمول، وغلبة الهوى على العقل،أن يقف في وجه الظالم المستبد، أو السياسي المشعوذ،أو المتدين المتلبس؟!.

أما على الصعيد الاقتصادي ،فقد لحق الطبقة المعدمة ضيق في العيش، وغلاء في الأسعار،بل"اضطر الناس في تلك الفترة إلى أكل الكلاب والميتات،وإلى أن يتخذ بعضهم بعضا طعاما ،وإلى أن يضعوا في الدروب والحارات الشباك و الأشراك يتصيدون بها الأطفال والضعفاء،ليجعلوا منهم شواءً يأكلونه"[4].

أما علوم الدين فقد تم نضجها في هذا العصر،وأن المسلمين تعددت فرقهم واختلفت نحلهم وتباينت مناهجهم وتنوعت مذاهبهم في الكلام والفقه.وكان الخلفاء كثيرا ما ينصرون فريقا على فريق ، محاولة منهم لاستقطاب اهتمامات الرعية بعيدا عن السلطة.كما أن كل حاكم كان يتلمس لأسلوب في الحكم تخريجات دينية وفتاوي ،ويصطنع لبلاطه علماء وشعراء يضفون عليه من الهيبة والجلال ماهو بحاجة إليه من أجل توطيد نفوذه وتثبيت عرشه.فنشأت جراء ذلك الفتن وازدادت مظاهر التعصب الشعري والمذهبي.

كما كان علماء هذه الفرق في بغداد وغيرها من حواضر المسلمين يتدارسون ويتناظرون وينشرون الكتب. وظهرت مقالات علمية لم يعهدها المسلمون من قبل" باعتبارها أول ما ظهر في علم الكلام،ثم ترجمت فلسفة اليونان،وفيها المنطق والعلم الإلهي،فأثرت هذه الفلسفة في الكلام تأثيرا ،حتى ظن كثيرا من الناس أن الكلام عند المسلمين إنما هو ابن فلسفة اليونان"[5].

---

(1) طه حسين ، تجديد ذكرى أبي العلاء ،(ط9)،دار المعارف ،القاهرة، 1963 ،ص 49.

(2) بطرس البستاني،أدباء العرب،(د ط)،دار الجيل،بيروت،1997م،ص 299.

(3) ينظر :محمد سليم الجندي،الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره،(ط2)،دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،ج1،1992،ص ص95-130 .

(4)شمس الدين الذهبي،دول الإسلام،تح:محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم،(د ط)،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ج1،1974،ص ص 226-264.

(5) طه حسين ،تجديد ذكرى أبي العلاء ،المرجع السابق ، ص ص 70،71.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

كما ساءت الأحوال الاجتماعية،جراء الوضع السياسي العام،فازداد الرق،الذي كان سببا مباشرا في كثيرا من الثورات ،أملا في الحياة الكريمة،من ذلك ثورة الزنج والقرامطة ،وانتشرت الحانات، واندثرت الأخلاق والمثل السامية،وكثر الانغماس في الملذات ،وتدنت منزلة المرأة إلى الدرك الذي تصفه قصص ألف ليلة ولية،حيث جعلت المرأة للمكر والدسيسة والفساد الخلقي[1].

ومن الناحية العلمية،فإن "ما تميز به هذا العصر هو حسن الحالة الفكرية وقيام المدارس وازدهار العلوم والآداب[2]،ويعزى ذلك إلى نقل العلوم الفلسفية عن الثقافات القديمة.

وكان الأمراء المستقلون يتنافسون ويتباهون بتقريب الشعراء والعلماء،"فبذلوا المال وأجزلوا العطاء ،ومالوا إلى التساهل فلم يتحرجوا من حرية القول والتفكير "[3].

كما أن الأدب في هذا العصر" نزع في قسم كبير منه ،نزعة شعبية ،فعالج العواطف العامة التي تتصل بالنفوس جميعا ،ولم يجعل وقفا على الخاصة وعلى الأهواء السياسية"[4].وبذلك عرف هذا العصر ازدهارا عظيما في الحياة العقلية والفكرية .

ومما لاشك فيه أن كل هذه الظروف،ساهمت في تشكيل رؤية"أبي العلاء المعري[*]"النقدية والفنية، نقد ما آلت

---

(1) ينظر :محمد سليم الجندي،الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره،المرجع السابق ،ج1،ص131.

(2) بطرس البستاني،أدباء العرب،المرجع السابق ،ص 229.

(3) بطرس البستاني،المرجع السابق ، ص ن.

(4) حنا الفاخوري،الموجز في الأدب العربي وتاريخه،الأدب المولد ، ط2 ،دار الجيل ،بيروت ،1991م.

(*) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي (363-449 هـ) (973 - 1057م)، عربي النسب من قبيلة تنوخ إحدى قبائل اليمن ، ولد في معرة النعمان بين حماة وحلب في يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة للهجرة (973م) وكان أبوه عالما بارزا ، وجده قاضيا معروفا . جدر في الرابعة من عمره فكفت عينه اليسرى وابيضت اليمنى فعاش ضريرا لا يرى من الألوان إلا الحمرة .تلقى على أبيه مبادئ علوم اللسان العربي ، ثم تتلمذ على بعض علماء بلدته ، وكان حاد الذكاء قوي الذاكرة ، يحفظ كل ما يسمع من مرة واحدة ، وجميع من كتبوا عن أبي العلاء المعري قالوا فيه أنه مرهف الحس ، دقيق الوصف، مفرط الذكاء ، سليم الحافظة ، مولعاً بالبحث والتمحيص ، عميق التفكير . اعتكف في بيته حتى بلغ العشرين من عمره ، منكبا على درس اللغة و الأدب ، حتى أدرك من دقائق التعبير وخواص التركيب مالا يطمع بعده لغوي أو أديب ، وقد بدأ ينظم الشعر وهو في الحادية عشر من عمره . وفي سنة ثلاثمائة واثنين وتسعين هجرية ، غادر قريته قاصدا بلاد الشام ثم،قصد أبو العلاء المعري بغداد بعد ذلك ، وهي مستقر العلم ومثابة العلماء فاحتفى به البغداديون وأقبلوا عليه ، فأقام بينهم فترة طويلة يدرس مع علمائهم الأحرار الفلسفة اليونانية والحكمة الهندية ، ويذيع آرائه ومبادئه على جمع من التلاميذ لازموه . وكان قد فقد أباه وهو في الرابعة عشر من عمره ، فلما فقد أمه كذلك وهو في بغداد حزن عليها حزنا شديدا ، وأحس الخطوب الداهمة والمصائب تترى عليه ، فبدأ ينظر إلى الحياة والعالم نظرة سخط ومقت وازدراء وتشاؤم ، و رأى أن من الخير أن يعتزل الناس والحياة ويزهد في ملذاتها ووصلت درجة زهد أبي العلاء المعري إلى أنه ظل خمسة و أربعين عاما لا يأكل لحم الحيوان ولا لبنه وبيضه قانعا من الطعام بالعدس .وكانت آراء المعري شاهد على ما نقول عنه من نظرة تشاؤمية للحياة فهو يرى أنه ليس في الدنيا ما يستحق أن نضحي من أجله .

أشهر مؤلفاته: ألف أبو العلاء مصنفات جمة ضاع أكثرها ولم يصل إلينا منها إلا الترر اليسير. يقول القفطي والذهبي إن أكثر كتبه باد ولم يخرج من المعرة، وحرقها الصليبيون فيما حرقوا من المعرة، وأحصي له من الكتب خمسة وخمسين كتابًا في أربعة آلاف كراسة، تشمل الشعر والنثر . وعد ياقوت من مصنفاته اثنين وسبعين مصنفًا. وبقي من شعره ثلاثة دواوين: سقط الزند، والدرعيات، وهو ديوان صغير طبع ملحقًا بالسقط، واللزوميات.ومن أشهر مؤلفاته النثرية رسالة الغفران التي أملاها ردًا على رسالة الأديب الحلبي علي بن منصور بن القارح ،كما له رسالة الملائكة، وغيرها كثير. (ينظر:أحمد تيمور باشا،أبو العلاء المعري ،نسبه وأخباره وشعره ومعتقده،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،ج م ع ،1940م).

إليه الأوضاع فلم يكن "أبو العلاء " بمعزل عن المشاركة في الحياة الاجتماعية والفكرية في عصره ، و لم يكن ليلزم نفسه الصمت تجاه واقع مظلم مرير،فكانت له سطوة الكلمة يعبر بها عن ضيقه وتبرمه من فساد عصره واختلال القيم والموازين فيه، ويكشف عن كثير مما ظهر فيه، من صراعات فكرية ومذهبية، وما أبو العلاء إلا ثمرة من الثمرات التي أنتجها عصره ،وما فلسفته وأدبه وتشاؤمه إلا نتيجة لما آلت إليه الأوضاع من فوضى واضطراب وعلى جميع الأصعدة ،مما اضطره إلى العزلة ،الأمر الذي جعله ينظم أضخم ديوان وهو ما سماه "باللزوميات" حاملا آراءه الفكرية والفلسفية حتى"أخذت بعدا فلسفيا أقرب منه إلى أن يكون ديوانا شعريا..."[1].فقد نظم أبو العلاء شعره الفتي في بدايته على منوال القدماء محتديا بهم، مقتبسا لمعانيهم ،إلا أنه فاقهم جميعا، وله في ذلك ديوان سمّاه(سقْط الزَند) لما "صرف الشعر من الخيال إلى العقل وجعله مسرحا للنظر في الطبيعة والتفكير في الخلق ،والحكمة الاجتماعية"[2].و تضمن شعره خصائص عديدة ،كانت نتاج آفات عصره ،والمتمثلة في" فسيفساء البلاغة ،والتعلق الشديد بلعبة المجانسة والازدواج والتلوينات الصوتية المختلفة والتباهي بالقدرة على نبش قبور الكلمات الميتة،لا بقصد إحيائها ونفض الغبار عنها، ولا بقصد تحنيطها ونقل رفات رميمها من ضريح التاريخ إلى ضريح القالب التعبيري الأجوف"[3].

ويعدّ أبو العلاء المعري بما منحه الله من ذكاء متوقد ،وحافظة عجيبة، وثقافة واسعة وروح ساخرة، أن يبلور هذه الرؤى في أدبه ،فكانت له مواقف جريئة من الأحداث التي شهدها البلاد العربية في نهاية العصر العباسي،وما آلت إليه من ضعف واضطراب ،فكان مرآة عاكسة تعكس ما يدور في مجتمعه ،ويعبر بشعره عن خواطره تجاه التقلبات السياسية والفكرية والاجتماعية في ذلك العصر ،وكانت رؤيته نقدية لكل ما في المجتمع من سلبيات وانحطاط وتدهور ،وما جعله يعاني الكثير ممن رأوا في شعره أداة فاعلة من أدوات النقد الاجتماعي اللاذع.

---

(1) ينظر :طه حسين ،تجديد ذكرى أبي العلاء،المرجع السابق ، ص ص 232-234.

(2) بطرس البستاني ،الأدب العربي ،تاريخ ونصوص العصر العباسي، (د ط) ،دار الآفاق ،(د ت)،ص 108.

(3) خلف شرف الدين ،أبو العلاء ،في سبيل موسوعة فلسفية،منشورات دار المكتبة الهلال ،بيروت،1982،ص28.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

المبحث الأول: الرؤية الفلسفية

منذ بداية ظهور الشعر والإنسان يحاول تحليله وشرحه وتفسيره،وذلك من أجل فهم خصوصيته بشكل أفضل.وغالبا ما تأثرت هذه التحليلات بالتصورات الثقافية السائدة في الزمن الذي ظهرت فيه وبخاصة الأفكار اللغوية والنظريات الفلسفية.والشعر العربي مثله مثل باقي الفنون الأدبية ما زال يلقى رواجا،لما له من إيقاع يحرك الانفعال.وقد برع الكثير من الشعراء العرب في تصوير واقع حياتهم بما أتوا من بعد النظر ،فتشكلت عندهم رؤى فلسفية ودينية واجتماعية تجاه واقعهم ووجودهم،فراحوا يصورون هذا الواقع وماهية الوجود بتفكير عميق لفهم غوامضه ، وسبر أغواره ،متحررين من نير كل سلطة إلا سلطة العقل.

والباحث في شعر الجاهليين،يجد الكثير من الرؤى الفلسفية الأخلاقية والدينية وغيرها ؛ومن أكثر من عرف بذلك طرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمى ،واشتهر من الإسلاميين بذلك أبو العتاهية وأبو تمام وأبو الطيب المتنبي وأبو العلاء المعري.

وقد أدرك أبو العلاء المعري أهمية العقل(*)،فسما شعره إلى مستوى الفلسفة،والنظر البعيد الشامل ، وراح في شعره عموما،وفي ديوانه(اللزوميات)(*)خصوصا،يصور به المسائل العويصة لمستجدات عصره،حيث استطاع أبو العلاء أن يستعرض الحياة من جميع جوانبها وينقدها نقدا،تبين عن رؤية فيلسوف،وفي جرأة وصراحة صريحة.

استخدم أبو العلاء كلمة فيلسوف في مواضع شتى من شعره ،من ذلك قوله [1]:

أَلَمْ تَر أَنَّ جِسْمَي فِيه فَضْـــل وَجِسْمُك قد أَضَرَّ بِهِ الشسوف(*)

تُطَبَّبُ(*) جــاهدًا وتُعَلُّ دُوني فَمــا أغَنَّــاكَ أَنَّكَ فَيْلَسُــوفُ(*)

---

(1) أبو العلاء المعري،اللزوميات، تح:أمين عبد العزيز الخانجي،(دط)،مكتبة الخانجي القاهرة،ج2،(دت)،ص 105.

(*) العقل:جوهر مجرد عن المادة في ذاته مفارق لها في فعله،وهو النفس الناطقة،وقيل:ما يعقل به حقائق الأشياء (ينظر: الجرجاني،التعريفات،ص132).

(*)أصل "اللزوميات" اسم لنوع من البديع،وهو أن يلتزم الشاعر حرفا أو أكثر قبل حرف الروي،وهذا ما لا يلزمه،لأن الشعر يكون صحيحا جيدا بدونه، ويقال له:الالتزام ،والإعنات،والتضييق،والتضمين.ولفظ اللزوميات أو لزوم ما لا يلزم،هو شعار أبي العلاء في جميع أطوار حياته بعد رجوعه من بغداد،فقد التزم في شعره ونثره وسيرته أشياء لم يلتزمها من قبل،ولم يكن من الحق عليه التزامها،وإنما آثرها حين راض نفسه على تكلف المشقة واحتمال المكروه. .(ينظر:طه حسين تجديد ذكرى أبي العلاء ،المرجع السابق ،ص ص 202 ، 203).

فاللزوميات ،ديوان شعر كبير يحتوي نحو أحد عشر ألف بيت وكله فلسفة واعتبار ونقد للحياة.(ينظر:حنا الفاخوري ،المرجع السابق ،ج2،ص492).

(*) الشسوف :الضمور،أي أنني على قلة طعامي معافى وأنت مع كثرته هزيل.

(*) تطبب :تعالج نفسك من العلل،تعل دوني :يصيبك من الأمراض أكثر مما يصيبني فما انتفعت بما علمت عن الأمراض وعلاجاتها.

(*) فلسف:الفلسفة كالحكمة،أعجمي،وهو فيلسوف وقد تفلسف.(ابن منظور،لسان العرب،ط1،دارصادر،بيروت،ج11(دت)،ص ص210،211.

وهي بحث في قضايا الإنسان ،بكل ما يحيط به ،كونها تبحث في وجوده وقدره ،وفي الفكر الإسلامي في أنها وليدة نظرة العقل البشري إلى الوجود في أصله وجوهره ومصيره ،وتطلعه إلى إدراك المبادئ الأولى فيه، والعقل قبس من نور الله سبحانه وتعالى يرسله الإنسان في مجاهل الوجود وشعابه ...

(ينظر :حنا الفاخوري،الفكر الفلسفي عند العرب،(ط1)،الشركة المصرية العالمية للنشر ،2002م،ص3).

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وقد اختلف النقاد في شخصية أبي العلاء ،هل هو شاعر؟ أم هو شاعر مفكر ،أم هو شاعر فيلسوف؟"وبقي الخلاف قائما إلى يومنا هذا ، فمنهم من جعله شاعرا فيلسوفا لما استنبط من خلال آثاره في "لزوم مالايلزم" و"الفصول والغايات"معاني فلسفية،وصور خيالية ما جعله يعد أبا العلاء فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة والحكماء"[1].أما شوقي ضيف،فينفي كون أبي العلاء فيلسوفا بقوله :"إن أبا العلاء لم يكن فيلسوفا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ،وآية ذلك أنه لم يترك أية نظرية فلسفية ،معللة أو موضحة،وكيف له بصنع نظريات؟إنه لم يكن يفكر التفكير الفلسفي الذي يقوم على صنع الكليات،إنما كان يفكر تفكيرا أدبيا يقوم على التشاؤم والسخط"[2].

ومهما يك من خلاف حول فلسفة أبي العلاء فإن آثاره تبين عن آرائه الفلسفية سواءً في اللزوميات أم غيره من نتاجه الأدبي،وفلسفته لم تولد من فراغ ، "فقد تعرف عليها،خاصة اليونانية والفارسية التي كانت منتشرة في عصره بواسطة الترجمات،ودرسها دراسة متقنة وتأثر بها،فأخذ عن اليونان الإتجاه العقلاني،وعن البوذيين نزعة الزهد والاعتزال، وعن المزدكية فكرة الدهر الأعمى الشبيه بمبدأ الظلمة الذي يسبب الشر والفساد "[3].

ثم إنّ أبا العلاء كان معجبا بالمتنبي"فقد جاءت أصول أفكاره مكملة لكليات المتنبي الفلسفية،إلا أنه بسطها مقلدا أياه ،ورغم ذلك يجوز أن يقال :إن أبا العلاء أحدث فنا جديدا في الشعر لا عهد للعرب به من قبل ،وهو الشعر الفلسفي،إذ لا يعرف شاعر قبله اخضع الفلسفة بجميع أنواعها وراضها حتى أفرغها في قوالب الشعر الضيقة بعد أن كانت تضيق بها الكتب الواسعة"[4]. من ذلك قوله[5] :

رَدَدْتِ إِلَى مَلِيكِ الْخَلْقِ(*) أَمْرِي فَلَمْ أَسْأَلْ مَتَى تَقَعُ الْكُسُوفُ

فَكَمْ سَلِمَ الْجَهُولُ مِنْ الْمَنَايَا وَعُوجِلَ بِالْحِمَامِ الْفَيْلَسُوفُ

ومما لا شك فيه أن شعر أبي العلاء،خاصة اللزوميات منها ،اتسم برؤية فلسفية بحتة،نظرا لما طرحه من قضايا فلسفية كثيرة ،دارت معظمها حول الإنسان الذي حير الفلاسفة،والذي أولى له أبو العلاء الاهتمام الأكبر.

ويمكن تقسيم آراء أبي العلاء الفلسفية إلى أربعة أقسام[6]،منها:الفلسفة الطبيعية والفلسفة الإلهية والفلسفة الرياضية والفلسفة العملية.

---

(1) طه حسين ، تجديد ذكرى أبي العلاء،المرجع السابق ، ص ص232 ،233 .

(2) شوقي ضيف ،الفن ومذاهبه في الشعر العربي، (ط 12) ،دار المعارف ،القاهرة،(د ت)، ص 394.

(3) كمال اليازجي ،جذور فلسفية في الشعر العربي القديم والمولد ، (ط 1)،دار الجيل ،بيروت،1922م.

(4) محمد سليم الجندي ،الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره،تع:عبد الهادي هاشم،دار صادر بيروت،ج3، 1992م،ص1270.

(5) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،المصدر السابق ،ج2،ص106.

(6) محمد سليم الجندي ،الجامع في أخبار أبي العلاء ،المرجع السابق،ص 1277.

(*) مليك الخلق:الله تعالى،يريد أنه سلم أمر ما لا يعلم إلى الله لأن كثرة التساؤل ربما أوقعته في الإلحاد،فالإقرار بالجهل خير عنده من الإغراق في التساؤل.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

أولا : الفلسفة الطبيعية

الفلسفة الطبيعية ويقال لها "العلم الأدنى وهي التي تبحث عن المادة والزمان والمكان وتناهي الأبعاد"[1].

درس أبو العلاء الفلسفة الطبيعية دراسة معمقة ، باحثا في موضوعاتها الأربعة، وبالوقوف عند هذه المواضيع يمكن استجلاء نظرة أبي العلاء ورؤيته الفلسفية.

أ–المادة: تناول أبو العلاء في لزومياته،قضية الأجسام التي يرجعها في أصلها إلى المادة ،وكان رأيه هذا موافقا لما ذهب إليه الفلاسفة الآخرون ،والمادة عنده قديمة قدم الأزل ،لكنها خالدة، وفي ذلك يقول[2]:

لَا يَنْفَكُّ جِسْمِي فِي أَذى حَتَّى يَعُودَ إِلَى قَدِيمِ الْعُنْصُرِ

يقرر أبو العلاء في هذا البيت ،بأن جسمه يبقى معرضا للأذى حتى يرجع إلى حالته الأولى،أو عنصره القديم،المتمثل في التراب،وهذا بعد الموت،فعندما يموت الإنسان،يرجع إلى طبيعته التكوينية الأولى،وما يؤكد هذه الرؤية ،قوله[3]:

تعودُ إلى الأرضِ أجسامُنا ونلحقُ بالعنصرِ الطاهرِ

ويقْضي بنا فرضه ناسك يمر اليدين على الظاهرِ

الإنسان أصله تراب،ولا محالة سيعود إلى هذا الأصل الذي نشأ منه،ويلحق بالعنصر الطاهر،الذي يمكن للمتعبد أن يتيمم به،والقصد أن الإنسان عند منيته،يوضع عليه التراب ذلك التراب يكون طاهرا يمكن للناسك المتعبد أن يلامسه ويتيمم به.

ويؤكد أبو العلاء هذا الرأي عندما يقول [4]:

تيَمَّمُوا بِتُرَابِي عَلَّ فِعْلَكُم بَعْدَ الْهُمُودِ يُوَافِينِي بِأَغْرَاضِي

وَإِنْ جُعِلْتُ بِحُكْمِ اللهِ فِي خَزَفٍ يَقْضِي الطُّهُورَ فَإِنِّي شَاكِرٌ رَاضِي

في هذين البيتين دعوة صريحة من أبي العلاء إلى التيمم والتطهر بتراب قبره بعد موته ، وإن صنع من ترابه قوارير وأواني خزفية ليغتسل بها الناس ويتطهرون،فإن ذلك مبلغ مطمحه ومراده ويكون شاكرا لله جل جلاله وراض بهذا القضاء.

ثم يذهب أبو العلاء إلى أبعد من هذا ،حينما يقول[5] :

فلا يُمسِ فخّاراً من الفَخْرِ عائدٌ إلى عنصر الفخّار للنفعِ يَضرَبُ

لعلّ إناءً منه يُصنَعُ مرّةً فيأكلُ فيه من أراد ويشربُ

---

(1) محمد سليم الجندي ، الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره،المرجع السابق،ج3،ص ص1278– 1282.

(2) شرح اللزوميات،نظم أبي العلاء المعري ،تح :زينب القوصي،منير المدني، سيدة حامد ،وفاء الأعصر،مراجعة:حسين نصار،(دط)،الهيئةالمصرية العامة للكتاب،ج2، 1992م،ص228.

(3) المصدر نفسه ،ج2،ص429.

(4)المصدر نفسه،ج2،ص68.

(5) المصدر نفسه ،ج1،ص 72.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ويُحْمَلُ من أرضٍ لأخرى ومادرَى فواهاً له، بعدَ البِلى، يتغرّبُ!

يقرر أبو العلاء في هذه الأبيات بأن الإنسان مهما استبد به الفخر والتفاخر ،فإن مصيره التراب،الذي قد يصنع منه الأواني ،فيأكل فيه من أراد ويشرب ، ويحصل نفع الناس من هذا التراب،ثم إن الإنسان يجهل الكثير من أمور الغيب،"إنه خيال الشاعر الذي تتبع عملية التحول التي تصيب الأجسام بعد الموت ،وما يطرأ عليها من تغيير،إذ تتحول بعد فترة من الزمن إلى تراب"[1].

هذا التصور للمادة نجده عند الشاعر في قصيدته المشهورة التي رثى بها الفقيه الحنفي حمزة[2].

سِرْ إن اسْتَطعْت في الْهَواءِ رُوَيْدًا لا اختِيَالا عَلى رُفَاتِ العِبَادِ

رُبَّ لَحْدٍ قد صارَ لَحْدًا مِـرَارًا ضاحِكٍ من تَزَاحُم الأضدَادِ

وَدَفـين عـلى بَقـايَا دفـينٍ في طَوِيـلِ الأزمان والآبادِ

ولكن المعري لم يقف عند هذا الرأي فحسب،بل عاد من جديد ليقف وقفة الحائر عندما يقول(3) :

وَلَيْسَ اِعْتِقادَي خُلُودَ النُّجُومِ وَلَا مَذْهَبِي قدمَ الْعَـالَمِ

والأمر ليس غريبا على المعري،الذي عرف بحيرته وتردده تجاه تلك المواضيع الغيبيـة،وإن كـان بعـض الدارسين،من أمثال محمد سليم الجندي الذي يرى تناقض أبي العلاء تناقضا ظاهريا وأن منشأ التناقض في شعر المعري أصله لفظة (القدم).

ب – الزمان والمكان: يعرف أبو العلاء الزمان والمكان بقوله:"وقد حددته حدا ما أجدره أن يكون قـد سُبق إليه إلا أني لم أسمعه،وهو أ، يقال :الزمان شيء أقل جزء منه يشتمل على جميع المدركات ،وهو في ذلك ضد المكان ،لأن أقل جزء منه لا يمكن أن يشتمل على شيء ،كما تشتمل عليه الظروف"[4].

وقال في اللزوميات[5] :

مَكَانٌ وَدَهْرٌ أَحْرَزَا كُلَّ مُدْرَك وَمَالَهُمَا لَوْن يُحسُّ وَلَا حَجمْ

إلا أنّ الشاعر وهو يتحدث عن مفهوم الزمن"ألحق به صفة القدم مما جعل بعض الدارسين يذهبون إلى أنه يقول بقدمه وخلوده"[6].

يقول أبو العلاء [7]:

خالقٌ لا يُشَكُّ فيه قديمٌ وزمانٌ على الأنام تقَادَم

---

(1) حسن عبد العليم يوسف ،أثر النزعة العقلية في الشعر العباسي، (د ط)،النسر الذهبي للطباعة،ج م ع ،(د ت)،ص81.

(2) أبو العلاء المعري ،ديوان سقط الزند ،(د ط)دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،1957م،ص ص 7،8.

(3) أبو العلاء المعري ،اللزوميات،المصدر السابق ،ج2،ص330.

(4)أبو العلاء المعري، رسالة الغفران،تح:عائشة عبد الرحمن،بنت الشاطئ،(ط10)،دار المعارف،(دت)،ص426.

(5)أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج2،ص378.

(6) حسن عبد العليم يوسف ،أثر النزعة العقلية في الشعر العباسي ،المرجع السابق ،ص83.

(7) أبو العلاء المعري،اللزوميات ،ج2،ص488.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وعليه فإن تحديد الزمن يبقى فوق قدرة الإنسان وتصوره،لأنه أقدم منه.فالزمان قديم بالقياس إلى الإنسان، أما بالنسبة لله فإنه ليس كذلك .إن القدم المطلق صفة خاصة بالله تعالى خالق هذا الكون،لأنه لا يخضع لمقولة الزمان والمكان.

أما المكان فيعرفه الشاعر بقوله [1]:

أمّا المكانُ، فثابتٌ لا ينطوي لكنْ زمانُك ذاهبٌ لا يثبُتُ

وكذلك قوله[2] :

حُوَّانَا مَكَان لَا يَجُوزُ اِنْتِقالُهُ ودَهْر لَهُ بالساكنيه مُرُورُ

يرى أبو العلاء أن المكان يتصف بخاصية وهي الثبوت،والاستقرار، وعدم التنقل،كما وصفه بالإحاطة.ونفى عنه اللون والحجم،لكن ومن خلال التعريفات السابقة للمكان ،نلحظ غياب صفة القدم،أو صفة الحدوث عنها ،وسكوت أبي العلاء عن هذا الأمر،أوجد عدم الاتساق في رؤيته حول الوجود.الأمر الذي جعل بعض الدارسين يعتقدون أن رؤية الشاعر بخصوص المادة والزمان والمكان يطبعها التناقض ومن بينهم الدكتور حماد أبو شاويش الذي يقول:"ومن هنا لا نستطيع أن نثبت لأبي العلاء رأيا محددا في هذه المسألة،وكل ما يمكن قوله في هذا الشأن إنّ أبا العلاء كان يناقض نفسه مناقضة صريحة "[3].

لكن هذه الأحكام تعوزها الدقة ،وحتى تتحقق الرؤية كاملة لا بد أن تكون النظرة لنصوص الشاعر نظرة شمولية،"ويقارنوا من خلالها بين النصوص التي يفهم منها معنى الحدوث ، والتي توحي بمعنى القدم،كما لم يحاولوا أن يمعنوا النظر في النصوص التي ترد فيها صفة القدم مضافة إلى تلك المفاهيم، ويبحثوا عن الخصوصية الدلالية التي تحملها هذه الصفة"[4].

ويذهب الدكتور جميل صليبا في تفسير هذا التناقض إلى القول :"بأن المعري استلهم آراءه من قدم العالم أو حدوثه من منبعين؛أحدهما العقل وثانيهما النقل ؛فكان إذا اتبع أحكام العقل يصرح بالقدم ، وإذا اتبع أحكام النقل يصرح بالحدوث،وإذا شعر بما في هذين القولين من تناقض عاد إلى عقله،واتهمه بالعجز عن إدراك هذه الحقائق التي تجاوز طوره"[5].

ولعل ما ذهب إليه الدكتور جميل صليبا ،خير تفسير في تناقض أبي العلاء وحيرته أمام تلك القضايا الغيبية حتى آخر سن عمره،فلا يرى اليقين ،فالأدلة تتقابل وتتكافأ تارة وتتناقض وتتعارض مرة أخرى.

---

(1)أبو العلاء المعري ،اللزوميات،ج1،ص160.

(2)المصدر نفسه ،ج1 ،ص307.

(3)حماد حسن أبوشاويش،النقد الأدبي الحديث حول شعر أبي العلاء المعري،(ط1)دار إحياء العلوم،بيروت،لبنان،1989م،ص 174.

(4) حسن عبد العليم يوسف، أثر النزعة العقلية في الشعر العباسي،المرجع السابق ،ص87.

(5)جميل صليبا،تاريخ الفلسفة العربية ،(دط)،دار الكتاب اللبناني،بيروت ،1986،ص ص 131،132.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

والجدير بالذكر أن بعض الباحثين يرى أن تناقض المعري يرجع إلى أنه لا يقدم لقارئه أبحاثا مفصلة في الطبيعة ،على طريقة الفلاسفة الذين لهم مذاهب في تفسير الظواهر والبحث في تفاصيلها وردها إلى مبادئها بالبحث والتقصي والتعليل.

ومهما يكن من تناقض وتردد وحيرة في شعر أبي العلاء ،إلا أن رؤاه شكلت لوحة فنية ازدان بها الشعر العربي ،جمعت بين القيمة الفنية والقيمة الفكرية والفلسفية والعلمية، حتى أضحى شعره قبلة للباحثين والدارسين لآرائه التي أشغلت عقولهم إلى يومنا هذا.

ج- تناهي الأبعاد: اختلف الدارسون في رأي أبي العلاء في قضية تناهي الأبعاد ،منهم طه حسين الذي يرى "أنّ أبا العلاء سلك مسلك الفلاسفة وقال بقدم المادة والزمان والمكان،فلم يلزمه القول بتناهي الأبعاد"[1].

من ذلك قوله[2]:

ولو طارَ جبريلُ بقيَّة عمرِه عن الدَّهر ما استطاع الخروجَ من الدَّهْرِ

وقوله[3]:

وهل يأبِقُ[*] الإنسانُ من مُلك ربّه فيخرُجَ من أرضٍ لهُ وسماءِ؟

لكن الدكتور سليم الجندي يخالف طه حسين في طرحه هذا ،بقوله :"إن أبا العلاء في هذه الأبيات لا يريد أن يقرر مسألة فلسفية ،ولا حقيقة علمية،ولا أن يبين رأيه في تناهي الأبعاد وعدمه،وإنما أراد أن يبين تذمره من الحياة،وما انتابه من الكوارث"[4].

وخلاصة لما سلف؛فإنه يمكننا أنْ نستنتج أنّ أبا العلاء درس الفلسفة الطبيعية دراسة جدية،اتسمت بالروح العلمية ، رغم ماشابها من تناقض وحيرة وتردد، ولعل مرد ذلك ظروف نشأته التي ساهمت بقسط كبير في تشكيل شخصية أبي العلاء القلق،المتشائم ، المحتار ،الزاهد والشاك،فانعكست هذه الرؤى في أدبه ،لتخرج بتلك الصورة.

---

(1) طه حسين ، تجديد ذكرى أبي العلاء ،المرجع السابق ، ص249.

(2) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج1،519.

(3) المصدر نفسه ،ج1،64.

(4) محمد سليم الجندي ،المرجع السابق ،ج3،ص1288.

(*)يأبق:يهرب.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ثانيا :الفلسفة الإلهية

إنّ الحديث عن الذات الإلهية، وكنهها،وصفاتها موضوع قديم في الفكر الفلسفي اليوناني، وقد تعددت المذاهب في هذا الشأن،من ذلك المذهب الروحي الذي يقول :"بوجود العالم،ووجود قوة روحية غير مادية خلقته،أو صنعته،أو هي قديمة معه ولكنها تدبره،وهذا هو المذهب الروحي بجميع أشكاله"[1].

ويمثل هذا المذهب أفلاطون ،وأرسطو،وكل واحد وتصوره للذات الإلهية، وعلاقتها بالعالم."وقد وجدت تصورات كل من أفلاطون وأرسطو صدى في الفكر الفلسفي العربي ، خاصة عند ابن رشد،وابن سينا والفارابي. مع تكييفها مع دعائم التصور الإسلامي،وأسسه التي جاء بها القرآن الكريم"[2].

وأمام الكثير من الإشكالات التي لم يستطيع الفكر الفلسفي اليوناني أن يجد لها تفسيرا ، جاء الإسلام بتصور آخر للذات الإلهية،وصفاتها يخالفها في الرؤية وفي طريقة طرح المسألة آخذا بعين الاعتبار قصور العقل البشري عن إدراك تلك الحقيقة،إذ أشار إلى أن الله هو خالق هذا الكون بكل مكوناته وأنه مدبره والمتصرف فيه كما يشاء[3].

أمام هذا التصور للذات الإلهية،كما ورد في القرآن الكريم،وكما تناوله الفلاسفة المسلمون فيما بعد، نجد فلسفة أبي العلاء في الذات الإلهية تدور على محض التنزيه والتقديس ،فهو يؤمن بالله تعالى إيمانا لا يتزعزع، "وتصوره للصفات يقوم على السَّلْبِ حذرا من التشبيه"[4]. وفي اللزوميات من الشواهد ما أثبت بها الشاعر وجود إله حكيم خالق هذا العالم ومدبره ،فقال[5]:

أثبتُ لي خالقاً حكيمًا ولستُ من معْشَرٍ نُفاة

وقال[6] :

إلهنا اللهُ مُلَّكِ أَوَّلَ أَحَـــدَّ تُطِيعُهُ مِنْ صُنُوفِ النَّاسِ آحادُ

وقال[7]:

توحّـدْ، فإنّ اللَّهَ ربَّـكَ واحـدٌ ولا ترغبْ في عِشْرَةِ الرّؤسـاءِ
يُقلُّ الأذى والعيبَ، في ساحة الفتى وإن هو أكدى، قِلّةُ الجلساءِ

---

(1)حسام الألوسي،حوار بين الفلاسفة والمتكلمين،(ط2)،المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ،بيروت1980،ص 13.

(2) المرجع نفسه،ص14.

(3) ينظر:حسن عبد العليم يوسف، أثرالنزعة العقلية في الشعر العباسي ،المرجع السابق ،ص 66.

(4)عبد الله العلايلي،المعري ذلك المجهول،رحلة في فكره وعالمه النفسي،ط 3،دار الجديد،1995م،ص167.

(5) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج1،ص175.

(6) المصدر نفسه ،ج1 ،ص 243.

(7) المصدر نفسه ،ج1،ص ص 52،53.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

إنها دعوة من أبي العلاء إلى التوحيد ،ونهي عن مخالطة الرؤساء وعشرتهم،التي لا تجلب إلا السوء. إنه يعلن عقيدته صريحة مدوية ،لا لبس فيها ولا غموض،عقيـــدة التوحيد ،بل أكثـــر من هذا نجـــده يتحدث عن الذات الإلهية وصفاتها،فيصف الله بالتفرد ،وغيرها من الصفات التي تثبت وحدانيته،يقول[1]:

حِكَمٌ تَدُلُّ على حكيمٍ قادِرٍ متفَرّدٍ في عزّه بكمالِ

في هذا البيت إشارة إلى اتصاف الله بالحكمة والقدرة والانفراد والعز والكمال،ونجد له نفس الفهم، في قوله[2]:

اِنْفَرَدَ اللهُ بِسُلْطـــانِهُ فَمَـــالَهُ فِي كُلّ حالٍ كِفَاءُ
ماخفيت قُدْرَتُهُ عَنْكُمْ وَهَلْ لَهَا عَنْ ذِي رَشادٍ خَفَاءُ

إنّه يؤكـــد إيمانه بالله وبوحدانيته سبحانه وتعالى،و لم يكن له في كـــل حال كفؤا، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾[3] .وأن قدرته تعالى تتجلي فيمـــا خلق، ولا تغيب عن ذي رشـــد هـــذه الحقيقة.

لكنّ أبا العلاء وهو يعتقد بوحدانية الله،نجده يستخدم العقل في توحيده لله،"ورؤيته هاته رؤية تنويرية نجد أسسها، ومنطلقاتها في الدين الإسلامي الذي حث على استعمال العقل،ونوه بالذين يحتكمون إليه عند النظر إلى كثير من القضايا والأمور"[4].ويرفض التقليد دفعا للأوهام والاعتقاد الفاسد،يقول أبو العلاء [5]:

فِي كُلِّ أَمرِكَ تَقْليدٌ رَضِيَت بِهِ حَتَّى مَقَالَكَ رَبِّي واحدٌ أَحَدُ

وهو هنا لا يقصد الدعوة إلى ترك التقليد في الاعتقاد بوحدانيـــة الله،إنمـــا قصده دفع تـــلك النمطية في الاعتقاد،وهذه دعوى نجدها في القرآن الكريم،حينما سخر الله تعالى من قوم إبراهيم﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٥٤ ﴾[6].

ولقد حذر أبو العلاء من هذا الأمر في قوله[7] :

عَاشُوا كَمَا عَاشَ آباء لَهُمْ سَلفُوا وَأَوْرَثُوا لِجيلَكَ تَقْليدًا كَمَا وَجَدُوا
فَمَا يُرَاعُـــونَ مَا قَالُوا وَمَا سَمَّعُوا وَلَا يُبَـــالُونَ مِنْ غَيٍّ لَمِنْ سَجَدُوا

---

(1) شرح اللزوميات،نظم أبي العلاء المعري ، تح :زينب القوصي،المرجع السابق،ج3،ص41.
(2) المصدر نفسه ،ج1،ص59.
(3) سورة الإخلاص.
(4) حسن عبد العليم يوسف،أثر النزعة العقلية في الشعر العباسي ،المرجع السابق ،ص69.
(5) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج1،ص238.
(6) سورة الأنبياء،الآيات 51،54 .
(7) شرح اللزوميات،نظم أبي العلاء المعري ،تح :زينب القوصي وآخرون،المرجع السابق،ج1،ص347.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

إنّ أبا العلاء وهو يخوض في مسألة الذات الإلهية ،" لم يقف عند مستوى الإثبات والتوحيد،بل حاول أنْ ينظر إليها من زاوية بعض المفاهيم،كالزمان والمكان، والحركة والسكون، والقدم، والحدوث،هذا رغم إقراره بأن إدراك كنه الله مما لا يستطيعه الإنسان، مهما بلغت درجة علمه"[1].

وتجدر الإشارة هنا،أن كثيرا من هذة القضايا لم ترد في القرآن الكريم ،كوصف الله بالقديم، وإنما كانت نتاج فكر وفلسفة المتكلمين[*] الذين خاضوا في هذا الأمر، من ذلك ما ذهب إليه المعتزلة في هذا الشأن.

أما فيما يخص رؤية أبي العلاء،فقدكان شأنه شأن الكثير من المتكلمة،من ذلك قوله [2]:

لنا خالقٌ لا يمتري العقلُ أنه قديمٌ فما هذَا الحديثُ المولَّدُ

ولعلّ ما يستشف من البيت ،أن وصف الشاعر الله بالقدم،يعني الإقرار بعدم خضوعه لمفهوم الزمان والمكان،فالله فوق الزمان والمكان ،وهذا ما أثبته أبو العلاء في قوله[3] :

والله أكبرُ لا يدنُو القياسُ له ولا يجوزُ عليهِ كانَ أو صارَ

فالشاعر هنا ينفي عن الذات الإلهية القياس والخضوع للزمان والتغيير،فالله أكبر من ذلك.

أما فيما يتعلق بالصفات ،فقد نأى بها الشاعر عن كل تشبيه أو تمثيل، وقد ذهب في ذلك مذهب أهـــل السنة ،وبذلك بقى بعيدا عن الجدال الذي كان يخوض فيه المتكلمون،من ذلك قوله[4] :

أُقرُّ بأنَّ لي ربًا قديرًا ولا ألقى بدائعَهُ بجَحْدِ

وقوله[5] :

يَغني الذي مالهُ فناءُ وذلك الواحدُ القديمُ

إنّ الله هو الغني المغني في هذا الكون، وهو الإله الواحد الأحد، وهو الإله الأزلي سبحانه وتعالى.

وقوله[6] :

مَادَامَ غيرُ الله من دائـــــمٍ فاغْضَب على الأقدارِ أو سَلِّم

يقر أبو العلاء،أن كل ما في الكون إلى فناء،إلا وجه الله تعالى،فإنه حيي لا يموت ، مصداقا لقوله تعالى :

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾[7].

---

(1) حسن عبد العليم يوسف، أثرالنزعة العقلية في الشعر العباسي ،المرجع السابق ،ص70.

(2) شرح اللزوميات،نظم أي العلاء المعري ،تح :زينب القوصي وآخرون،،ج 1،ص 388.

(3) المرجع نفسه، ج2،ص 158.

(4) المرجع نفسه،ج2،ص9.

(5) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ، ج 2،279.

(6) شرح اللزوميات،نظم أبي العلاء المعري ،تح :زينب القوصي وآخرون،،المرجع السابق، ج3،229.

(7) سورة الرحمن،الآيات26، 27،28.

(*) صفة "المتكلمة "بدأت منهجيا مع المعتزلة، قيلت بداية للتمييز بين الفرق التي تكثر من التأويل .

ومن صفات الله ،الحق،وفي هذا يقول أبو العلاء [1] :

واللهُ حقٌ وابنُ آدمَ جاهــلٌ من شأنهِ التفريطُ والتكذيبُ

وقوله [2]:

واللهُ حقٌ وإنْ ماجتْ ظنونكُم وإنْ أوجبَ شيءٍ أن تُراعوهُ

فالله حقيقة يقينية وإن تضاربت الآراء، وتلاطمت الشكوك، والحق أحق أن يراعى وأن يتبع.

ومن صفات الله تعالى العدل،لذلك نجد الشاعر يتلمس هذا العدل،في عفو الله ومغفرته جزاء ما عاناه الشاعر في حياته،فيقول[3] :

أأخْشَى عــذابَ اللهِ واللهُ عادلٌ وقدْ عِشتُ عيْشَ المُستَضَامِ المعذَّبِ

والشاعر هنا لا يقصد البتة أنه لا يخشى عذاب الله من باب الاستعلاء أو عدم الاهتمام ،إنما عدم خشيته من العذاب لأنه يرجو عدل الله.**جاء في فتح البــاري في شــرح صــحيح البخــاري:" حــدثني عبــد الله بــن محمد، حدثنا عبد الملك بن عمرو، حدثنا زهير بن محمد، عن محمد بن عمــرو بــن حلحلة، عن عطــاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه"**[4].

ويقول[5]:

مولاكَ مولاكَ الذي مالــــه ندٌّ،وخاب الكافرُ الجاحــــــدُ

إنّ ملاذ الإنسان الحقيقي هو الله عزوجل لذلك نجد الشاعر يستعمل اللفظ التوكيدي مولاك مولاك،وهذا المولى الذي ليس له ند، ولا مثيل ،ومن يعتقد غير ذلك فهو كافر جاحد.

ومن صفات الله تعالى عالم الغيب،فالله تعالى عالم الغيب والشهادة،ويؤكد أبو العلاء هذه الصفة فيقول[6] :

الله عالمُ غيبٍ لا أحــاوله من ذي نجومٍ ولا أبغيهِ في الكَهنِ

ويقر أبو العلاء بعجزه في الاطلاع على الغيب ،ولا يحاول أن يطلعه ومعرفته عند الكهان،الذين يدعون معرفة ما يخبئه الغيب ،وقد قال الله تعال في كتابه الكريم: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [7].

---

(1) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج1،ص86.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ،ص410.

(3) المصدر نفسه ، ج1 ص112.

(4) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ،(د ط)، دار الريان للنشر ، ج5، 1986م ،ص2137.

(5) أبو العلاء المعري،اللزوميات ،ج1 ص254.

(6) أبو العلاء المعري،اللزوميات،ج2،ص379

(7) سورة التوبة ، الآية 78.

إلى غير ذلك من الصفات ،التي حاول من خلالها الشاعر أن يعلن وحدانية الذات الإلهية وتميزها ،تنزيها لها من أي تشبيه ،أو تجسيد،وقد خاض أبو العلاء صراعا عظيما،ضد المعتزلة(*)في باب الصفات الإلهية،الذين خاضوا فيها بوجه ينافي العقيدة الصحيحة حتى عرفوا بالمعطلة ،"لأنهم ينفون عن الله الصفات مع اختلاف ملابسات ذلك المفهوم التعطيلي بين النسبية والإطلاق عند أعلام الفكر الاعتزالي"[1].

وبهذا نأى أبو العلاء بنفسه عن الجدال الحاد الذي دار بين المتكلمين ،فالذات الإلهية عنده فوق التحديد ، ويتجلى ذلك واضحا في قوله[2]:

ضلُّوا عنِ الرُّشْدِ فمنهم جَاحدٌ جحِدُ أَوَمنْ يَحُـــــدُّ وهل لله تحديــدُ؟

وأكثر من هذا نعى على المعتزلة موقفهم من قضية الصفات،حينما قال[3]:

إذَا كُنتَ منْ فَرْطِ السَّفاهةِ معطلا فيا جاحد اشهدْ أنني غيرُ جَاحدِ

أخـــافُ منَ اللهِ العقُوبـــة أجلاً وأزعمُ أنَّ الأمرَ في يد واحـــدِ

إنّ رؤية الشاعر هذه ناتجة عن موقفه من المعتزلة خاصة ، ومن المتكلمين عامة،ذلك الموقف الذي يؤاخذهم من خلاله على سلوكهم في ظل مجتمع يعيش التمزق والضياع،كما قد يكون راجعا إلى عامل أمني اتقاء لشر الفقهاء والحكام [4].

واستخلاصا لما سلف،يمكن أن نقف عند حقيقة يقينية وهي أن أبا العلاء،كان يؤمن بالله إيمانا لا يخامره شك ولا تشوبه شائبة،وكان يستخدم العقل في توحيد الربوبية والصفات ،لأنه أحسن هادٍ لفعل الخير والسير في درب الرشاد.

ثالثا:الفلسفة الرياضية

لقدكانت للخلفية المعرفية الإسلامية لأبي العلاء تأثيرها البالغ،في تكوين ثقافتة الرياضية، وإن لم تكن بقدر ما ناله من معارف أخرى في مجالات أخرى ، وذلك لفقدان بصره الذي أعاقه عن الحساب والرصد ،"فحياته لم تؤهله لأن يكون مهندسا أو حاسبا" [5].إلا أن أبا العلاء نظر إلى الأعداد نظرة عميقة،فمثلا العدد خمسة،له رمزيته ودلالته الروحية ،"إن الخمسة في رمزيتها ،أعلى مراتب الوصول الإنساني ،وأرفع منازل التوحيد، ولذا الحواس في الكائن الحي خمسا ،....كما يجد المعري شاهده في أركان الإسلام التي هي خمسة، وفي الصلوات المفروضة وهي خمس "[6].

---

(1) حسن عبد العليم يوسف،النزعة العقلية في الشعر العباسي ، المرجع السابق،ص78.

(2) شرح اللزوميات،نظم أبي العلاء المعري ،تح :زينب القوصي وآخرون،المرجع السابق،ج1،ص416.

(3) المرجع نفسه،ج1،ص266.

(4) ينظر : حسن عبد العليم يوسف،النزعة العقلية في الشعر العباسي ، المرجع السابق،ص79.

(5) طه حسين ،تجديد ذكرى أبي العلاء، المرجع السابق ،ص250.

(6) عبد الله العلايلي،المعري ذلك المجهول،رحلة في فكره وعالمه النفسي،المرجع السابق ،ص161.

(*) المعتزلة فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري (80 هـ – 131 هـ)،في البصرة (أواخر العصر الأموي) وقد ازدهرت في العصر العباسي . اعتمد المعتزلة على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على النقل، وقالوا بأنّ العقل والفطرة السليمة قادران على تمييز الحلال من الحرام بشكل تلقائي.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

يقول أبو العلاء[1] :

وما يجملُ التقصيُر في كلِّ موطنٍ ولا كلُّ مفْروض الصَّلاة لهُ قصْرُ

وقوله [2]:

خمسةٌ في نظيرِها خمسُ خمساتٍ تتَّمتْ والنصفُ في النصفِ رُبعُ

يشرح عبد الله العلايلي الأبيات فيقول[3] :"من المعروف في الشريعة الإسلامية أن الصلوات تقصر في السفر مثلا،ولكن الذي يقصر منها ماهو الظهر والعصر والعشاء أي الزوجيات المركبة ،أما صلاة الصبح ،وهي ركعتان،وصلاة المغرب ،وهي ثلاث ركعات ،فلا يلحقهما قصر أصلا،على أن حاصل ركعاتهما خمس باندماج الفردية المركبة بالزوجية البسيطة".

ويذهب عبد الله العلايلي أبعد من ذلك في شرح البيت الثاني،حي يرى أن أبا العلاء استخدم في هذا البيت مصطلحين:" أولهما حسابي ،وهو حاصل ضرب خمسة في مثلها ؛وثانيهما فلكي يعني قطر الدائرة الذي يمر بنصفي قطبيها فيُربعها، وعمد في البيت إلى التوهيم،ولذا غمُض فهمُه على شارحيه"[4].

وقد أبدى أبو العلاء تساؤلات كثيرة عن الفلك وما يدور فيه من كواكب ،ويرى الشاعر أن العناصر التي تتركب منها الكواكب ،أربعة :الماء والهواء والنار والتراب ،وهي أصل الموجودات عند الحكماء المتقدمين.

يقول أبو العلاء [5] :

الخلقُ من أربعةٍ مجمَّعةٍ نَار وماء وتُربة وهَوَا

كما يعتقد أبو العلاء أن الكواكب كغيرها تتركب من هذه العناصر فيقول[6] :

أَرى أرْبعًا آزَرَتْ سبعةً وتلكَ نوازلُ في اثنى عشر

ويقول [7]:

جسدٌ من أربعٍ تلحظُها سبعةٌ رَاتبةٌ في اثني عَشرْ

ويقصد بـــ"الأربع":العناصر التي يتركب منها الجسد في اصطلاح المتقدمين، وهي الماء ،والهواء،والتراب، والنار،ويريد بالسبعة،الكواكب السيارة، وبالاثنى عشر ،برجها.

ولعل ما يمكن أن نستنتجه،هوأن أبا العلاء أراد أن يوسع دائرة الشعر، لتضم خطرات الفكر الفلسفي الرياضي،للنظر إلى ما حوله بعين العالم،المدرك لحقائق الكون،فاكتملت رؤيته العلمية برؤيه الفنية .

---

(1) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج1، ص300.

(2) المصدر نفسه ،ج2،ص90.

(3)عبد الله العلايلي،المعري ذلك المجهول ،رحلة في فكره وعالمه النفسي،المرجع السابق ،ص 161.

(4) المرجع نفسه ، ص ن.

(5) أبو العلاء المعري، اللزوميات ،ج2،ص435.

(6) المصدر نفسه ،ج1،ص436.

(7) المصدر نفسه ،ج1،ص 431.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

رابعا : الفلسفة العملية

تتناول الفلسفة العملية الحديث عن أصل الإنسان ، والدنيا والعدم ، والدهر، والحظ،والزواج، وغرائز الإنسان، ،وشخصيته، ومصيره(الموت) ،ثم اختلاف الناس خلُقيا وماديا[1].

تأثر أبو العلاء المعري بالنكبات التي مرت به في حياته منذ الطفولة إذ أصابه الجدري في الرابعة من عمره فقد على إثره بصره ، ثم فقده لأبويه ، وإساءة الناس إليه ،أضف إلى ذلك قبح منظره ، ونحول جسده ، وقصر قامته .

كل تلك الأسباب مجتمعة جعلت المعري يعيش عيشة الزهد والتقشف ، ويكره الدنيا وما فيها ، ويصر على عدم الإنجاب ويحبس نفسه في بيته بعيدا عن الناس من حوله متشائما مما يراه من نكبات ومصائب ألحت عليه طول عمره .

فقد كانت لآراء المعري المختلفة دليلا واضحا على رؤيته التشاؤمية في الحياة وخاصة تلك الآراء التي تحدث فيها عن الطبيعة البشرية والدنيا والموت والمرأة والعدم والنسل والسياسة ، تلك الآراء التي كانت بمثابة الخيوط التي تكونت منها حياة المعري التشاؤمية .

لقد قرر أبو العلاء أن يكون حبيس بيته ،مبتعدا عن أي شكل من أشكال الحياة العامة ، أو أي نوع من أنواع ملذاتها ، وأن يعيش عيشة الزهد منتظرا نهاية الحياة .

يقول أبو العلاء[2]:

أراني في الثلاثة مِنْ سجوني فلا تسألْ عنِ الخبرِ النَّبيثِ
لفقدِي ناظري ولزومِ بيتي وكونِ النفْسِ في الجسدِ الخبيثِ

وتراه يصرح بالشكوى من العمى فيقول [3]:

وكم اشتكتْ أشفارُ عين سُهْدَها وشفاؤُها ممَّا ألَمَّ شِفارُ
ولطالما صابرْتُ ليلا عاتما فمتى يكونُ الصُّبحُ والإسفارُ

عاش المعري حياة طويلة مضطربة فيها قلق وتشاؤم ونقمة ومرارة وشكوى ، معتمدا على نفسه منطويا على ذاته وكان لعناصر شخصيته أثر كبير في توجيه تفكيره ، وصبغ آرائه بصبغة خاصة ميزت المعري عن غيره من الشعراء والأدباء،وخاصة بعد أن قرر المعري لزوم بيته،وانصرافه عن كل شيء في الحياة إلى النقد والتهكم . ورغم ذلك لم يتركوه ، فلحقه الطلاب في بيته ، ونقده النقاد على آرائه ، واتهموه بالإلحاد والزندقة ،فرأى الناس من حوله داء ،العزلة منه الشفاء . ثم إنّ الصراع الذي شهده أبو العلاء المعري في عصره بين مختلف الطوائف السياسية والدينية ، والدويلات المتفرقة في قلب العالم الإسلامي

---

(1) ينظر :محمد سليم الجندي،الجامع في أخبار أبي العلاء المعري ،المرجع السابق ،ج3،ص 1288.

(2) أبو العلاء المعري ،اللزوميات،ج1،ص 188.

(3) المصدر نفسه،ج1،ص334.

(4)

تلك الظروف التي طبعت عصره بطابع الصراع العنيف بين العامة والخاصة ، والمذاهب التي تنصبت مدافعة عن الدين ، فأصبح المجتمع مضطربا واغتصاب في الحكم واستبداد بالرعية ، وقد أدى ذلك إلى فساد الأوضاع الاجتماعية ، فقسم غرق في الثروة ينفقها على لذاته ، وقسم يموت جوعا ، فعم الفساد وانتشر في جميع مناحي الحياة[1].

وعلى الصعيد الشخصي ترك أكل اللحم واكتفى بما نبت من الأرض ، وشعره بصدق يصور حالة العصر الذي عاش فيه ، صورة صادقة نابعة عن تجربة مؤلمة في مجتمع تحكمه المادة ، وحب النفس ، والتعالي على الآخرين ، ولذلك اتجه المعري إلى أمر آخر يحقق به ذاته ، وهو التفرغ للعلم والمعرفة.

أ-أصل الإنسان:

صرح القرآن الكريم في آيات كثيرة بأن أصل الإنسان،هو سيدنا آدم عليه السلام،منها قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ﴾[2].

جاء في فتح الباري :**"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآن"**[3].

أما أبو العلاء ،فكان يرى أن آدم هذا مسبوق بأوادم كثيرة ،فقال [4]:

جائزٌ أن يكونَ آدَمٌ هذا قبْلــهُ آدمٌ على إثرَآدمْ

بل إنه يجزم بالتعدد ،فقال [5]:

وماآدَمُ في مذهبِ العقلِ واحداً ولكنَّه عند القياسِ أوادِمُ

---

(1) محمد سليم الجندي،الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره،المرجع السابق، ص ص 274،275.

(2) سورة السجدة ، الآيتان7،8.

(3) فتح الباري ،شرح صحيح البخاري،المرجع السابق ،المجلد 11، الحديث 6227.

(4) أبوالعلاء المعري ،اللزوميات،ج 2،ص336.

(5) شرح اللزوميات،نظم أي العلاء المعري ،تح :زينب القوصي وآخرون،المرجع السابق،ج3،ص83.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وهو برأيه هذا يخالف ، ما ذهب إليه القدماء على أن أصل الإنسان قرد،فقال [1]:

قالَ قومٌ ولا أدينُ بماقـــــــــا لوهُ إنَّ ابنَ آدمٍ كابن عِـــــرْسِ
جهلَ الناسُ ما أبوهُ على الدهـــ ـــــرِ ولكنَّهُ مُسمَّى بحَـــــرْسِ
في حديثٍ رواهُ قـــومٌ لقـــومٍ رَهنَ طِرس مُستنْسَخ بعد طرسِ

ويعلل محمد سليم الجندي ،"أنّ أبا العلاء ، مهما يك من أقواله في اعتقاد تعدد آدم أو الشـــك فيه ،فإنه يثبت وجود آدم ولا ينكره .وينفي ما يذكره طه حسين في أن أبا العلاء يشك في كـــون آدم أباً للإنسان" [2]. ويستند محمد سليم الجندي في ذلك بكتبه التي ملئت بذكر آدم وأخباره،منها:رساله التي عزى بها خاله بأخيه ،فقال:"توفي آدم – صلى الله عليه وسلم – بعدما رأى الجنة وسكنها" [3].

ب–الدنيا :

يقول أبو العلاء[4]:

أَلَا إِنَّمَا الدُّنيا نُحُوسٌ لأَهلِهَا فَمَا فِي زَمانٍ أَنْتَ فِيه سُعُودُ

ويقول[5]:

دنياكَ دارُ شرورٍ لا سُرُورَ بها وليسَ يدْري أخُوها كيفَ يحترسُ

ينظر أبو العلاء إلى الدنيا على أنها دار شرور ولا شيء يبهج فيها،ثم أنك مهما حاولت أن تحترس مـــن شرورها فإنك لن تستطيع ،وكأنها ريشة فنان متشائم يرسم للدنيا، صورة يكتنفها الشر والألم والحزن ولا أثر فيها للسرور والبهجة .

وأكثر من هذا، ولخسة الدنيا ومن لؤمها وخستها اشتق لؤم الإنسان وخسته،حتى أنه كنّاهابـــ"أم دفر"[*].

فقال[6] :

دنياكَ تُكنَّى بأُمّ دَفرٍ لم يَكْنِها الناسُ أمَّ طِيبِ

إنّ ذم الدنيا أصبح مذهب أبي العلاء، وما البقاء عنده إلا طول شقاء، ويكرر هذا المعنى في صور عديدة، والبقاء في رؤية أبي العلاء مصيبة.فيقول [7]:

---

(1)أبو العلاء المعري، اللزوميات ،ج2،ص 52.
(2) طه حسين ،تجديد ذكرى أبي العلاء،المرجع السابق ،ص 277.
(3) محمد سليم الجندي ،الجامع في أخبار أبي العلاء ، المرجع السابق ،ص ص 1490،1491.
(4) شرح اللزوميات،نظم أي العلاء المعري ،تح :سيدة حامد وآخرون،المرجع السابق،ج1،ص396.
(5) أبو العلاء المعري،اللزوميات،ج2، ص22.
(6) اللزوميات ، المصدر السابق ، ج1، ص127.
(7) أبو العلاء المعري،اللزوميات ، ج1،ص117.
(*) الدفر :النتن،فهي كنية قبيحة تعرب عن احتقار واضح.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

بَقائِي فِي الدُّنْيا عَلَيّ رَزِيَّةٌ وَهل أَنَا إلّا غَابِرٌ مِثْلُ ذاهب

أما الذين يحبون الدنيا ويركنون إليها ويأمنون غوائلها، إنما هم مغرورون ،مشغولون بما يضرهم ولا يفيدهم في شيء،فيقول [2]:

وحبُ الأنفسِ الدّنيا غُرورٌ أقامَ النّاسَ في هَرجٍ ومرَجِ

وحب الدنيا والتمسك بأهدابها هو جهل كبير ينبغي تركه ، يقول[3]:

وحبُك هذي الدّارَ أُسّ إمامةٍ لجهلِكَ والبادي على باطنٍ سترُ

ومن يحب الدنيا يلبس ثوب الصغار والذلة، فيقول [4]:

ومَنْ هويَ الدّنيا الكذوبَ فإنّه رهينٌ بثوبَيْ ذِلةٍ وصَغار

كما أنّ الدنيا في نظره غادرة،ذميمة الأخلاق ،فيقول [5]:

دنياكَ غادرةٌ وإن صَادتْ فتى بالخلقِ فهي ذميمةُ الأخْلاقِ

وبما أنّ هذه الدنيا غادرة ،فإن النجاة منها تقوى الله وحسن عبادته ،فيقول [6] :

ومن يُبلَ بالدُّنيا وسوءِ فِعَالِها فليْسَ لهُ إلاّ التعبّد والنُّسُكُ

ويشبه أبو العلاء الدنيا بأم،وينادبها:أنت أم البشر ومنك ضلالهم فضاعوا وأضاعوا،وأسرفوا في غير وادع،ويتمنى لو بإمكانه التبرؤ منها ،لكنه لم يستطع،فيقول [7]:

يــا أمّ دفْر لحــاك اللهُ والــدة منك الإضاعةُ والتفريطُ والسَّرفُ

لو أنَّك العرس أوقعتِ الطلاقَ بها لكنَّك الأمّ هل لي عنكِ مُنصرفُ؟

---

(1)أبو العلاء المعري ،اللزوميات ، ج1،ص 115.

(2)شرح اللزوميات،نظم أي العلاء المعري ،تح :سيدة حامد وآخرون،المرجع السابق،ج1،ص326.

(3)المرجع نفسه ،ج1،ص 297.

(4)شرح اللزوميات،نظم أبي العلاء المعري ،تح :سيدة حامد وآخرون،المرجع السابق،ج1،ص188.

(5)أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،المصدر السابق،ج2،ص144.

(6)شرح اللزوميات،نظم أي العلاء المعري ،تح :زينب القوصي وآخرون،المرجع السابق،ج2،ص341.

(7)المصدر نفسه ،ج3،ص385.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ويقرر الشاعر أن الدنيا دار عذاب وشقاء والموت خير منها،فهي حية رقطاء تلسع أبناءها كل حين،أو هي امرأة سفيهة بعيدة من الطهر،بل بغي تمارس العهر ،فيقول [1]:

تَــزوَّجَ دُنيــاهُ الغبيُّ بجهــلِهِ فقدْ نَشزَتْ من بعدما قُبضَ المهرُ

تَطهَّرْ ببعدٍ من أذاها وكيــدِها فتلكَ بغيٌّ لا يصحُّ لهــا طهْــرُ

و فساد الدنيا في نظر الشاعر من فساد البشر،لذلك نراه يوجه اللوم والعتاب لهم،بعد أن وصف دنياهم بأسوأ الصفات ،فقال[2]:

لا ذنْبَ للدُّنيا فكَيْفَ نَلومُها واللوْمُ يلحَقني و أهْلَ نحَاسِي[*]

ثم ينتهي المعري في نهاية الأمر إلى التحذير من الدنيا ،ويدعو إلى الزهد فيها والتخلي عن حطامها الزائــل، ويبدي خوفه من شرها ومن همومها، ولا يصرف هذه الهموم شرب الخمور ،فيقول [3]:

لا تلبَس الدُّنيا فإنَّ لباسَــها سَقمٌ وعرِّ الجسمَ مِنْ أثوابِهَا

أنا خائفٌ من شرها متوقعٌ إكآبها لا الشُّرْبَ من أكوابِهَا

إنّ الزهد كفلسفة ورؤية فكرية،" ليس مجرد ميل فطري إلى الزهادة وتقوى الله،أو التعبير من خلاله عــن حالة عقائدية إيمانية يصورها الشاعر كما يحدث معه عندما يصور شعورا ينتابه أو خاطرا يعرض له،وإنما هو فكرة عميقة يعتنقها الشاعر وفلسفة يتبناها"[4]. وهذا ما يمكن أن نسميه الزهد الفلسفي ،الذي يتميز عن الزهد الديني، الذي نادى به الإسلام،وهذا الزهد كان نتيجة ردة فعل للهو والمجون، وهو زهد يؤدي بصاحبه إلى الهروب مــن واقع الحياة ،ليتخذ سبيلا للعيش في عالم الأوهام.

وبناءً عليه فإن أبا العلاء قد زهد زهدا فلسفيا ،حيث أنشأ عالما زهديا من صنعه وألزم نفسه بمبالغــات لم يفرضها عليه الدين، "فتقشف تقشفا شديدا واقتضى خشن الملبوس والمأكل وزهد في ملذات الدنيا وحرم علــى نفسه الطيبات التي أحلها الله،فكان غذاؤه العدس وحلاوته التين ولباسه القطن،وفراشه اللباد وحصيرة برديه" [5].

وكان يرضى بالقليل،فيقول[6]:

الحمدُ لله قد أصبحتُ في دَعةٍ أرْضى القليلَ ولا أهتمُّ بالقُوتِ

كما يرى أبو العلاء أن الوحدة والعزلة هي الراحة ، واللذة الكبرى،خاصة وأن النــاس فسدت طبائعهم،

---

(1) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج1، ص301.

(2) المصدر نفسه ،ج2، ص50.

(3)المصدر نفسه ،ج1،ص134.

(4) محمد مصطفى هدارة،اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني هجري،ط2،دار المعارف ،القاهرة،1970،ص284.

(5) ينظر : مصطفى السقا وآخرون ، تعريف القدماء بأبي العلاء ،المرجع السابق،ص 274.

(6) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ، ج1، ص173.

(*) النحاس : أصل الشيء.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

واستولت عليهم غرائزهم،حتى أضحوا ثقالا عليه ،فيدعو إلى الوحدة،فيقول[1]:

في الوحدةِ الراحةُ العُظمى فآخ بها قلباً وفي الكون بين النَّاس أثقالُ

وبالإضافة لما ذكره في سبب زهده واعتزاله الحياة ،فساد طباع الناس ،فيقول [2]:

وزهَّدَني في الخلقِ معرفتي بهم وعلمي بأنَّ العالمينَ هَباءُ

بل إنّه لم يتكسب بشعره ،و لم يطلب مالا،أو يسأل عطاءً،شعاره في ذلك قوله [3]:

إذا مدحُوا آدميًا مدحتُ مولًى الموالي وربّ الأممِ

إنّ زهد أبي العلاء ،كان نتاج رؤيته الفلسفية للحياة،فقد طبق على نفسه حياة الكفاف والتقشف ،واعتمد في عيشه على ما تنبته الأرض ،فقال [4]:

فاترك لأهْلِ الملكِ لذَّاتِهم فحسبُنا الكمأةُ والأحبَلُ(*)

أما الشق الآخر من فلسفته في موقفه من الحياة هو الرأفة بالحيوان وعدم التعرض له بسوء ، بل إنه التزم بهذا الأمر إلى آخر يوم في حياته،ولعل أهم الأبيات نظمها في هذا الموضوع قوله [5]:

غَدَوتَ مَريضَ العَقلِ وَالدينِ فَالقَني لِتَسمَعَ أَنباءَ الأُمورِ الصَحائِحِ
فَلا تَأكُلَن ما أَخرَجَ الماءُ ظالِماً وَلا تَبغِ قوتاً مِن غَريضِ الذَبائِحِ
وَأَبيَضَ أُمّاتٍ أَرادَت صَريحَهُ لِأَطفالِها دونَ الغَواني الصَرائِحِ
وَلا تَفجَعَنَّ الطَيرَ وَهيَ غَوافِلٌ بِما وَضَعَت فَالظُلمُ شَرُّ القَبائِحِ
وَدَع ضَربَ النَحلِ الَّذي بَكَرَت لَهُ كَواسِبَ مِن أَزهارِ نَبتٍ فَوائِحِ
فَما أَحرَزَتهُ كَي يَكونَ لِغَيرِها وَلا جَمَعَتهُ لِلنَدى وَالمَنائِحِ

إنّه رجل يختلف عن باقي البشر،فهو إنسان لا يأكل ما يأكلون،وقد أعزى المؤرخون أن أبا العلاء قد تأثر بالفلسفة الهندية البرهمية(*) في هذا الأمر ،وخاصة طائفة تدعى(الجائينية)،التي من مبادئها ،"أن منعت أكل اللحوم ،فلا حق للأتباع أكل لحم مهما كان نوعه،كما يمنع قتل الهوام..."[6]. وقد حملت كثيرا من أشعاره بين ثناياها هذا الاعتقاد، وخاصة في ديوانه اللزوميات.

---

(1) أبو العلاء المعري،اللزوميات ،المصدر السابق ،ج2،ص182

(2) المصدر نفسه ،ج 1،ص42.

(3)المصدر نفسه ،ج2،ص491.

(4) المصدر نفسه ،ج2،ص192.

(5) اللزوميات، المصدر السابق ،ج 1،ص110.

(6) كمال اليازجي ،أبو العلاء ولزومياته ،ط3،دار الجبل،بيروت،لبنان1997م ،ص199.

(*) الأحبل : اللوبياء.

(*) البرهمية :ويطلق عليها كذلك الهندوسية، ديانة وثنية ، يعتنقها معظم أهل الهند. للهندوسية عدد هائل من الكتب عسيرة الفهم ، غريبة اللغة،منها الفيدا : (veda) وهي كلمة سنسكريتية ، معناها الحكمة والمعرفة ، وتصور حياة الآريين، ومدارج الارتقاء للحياة العقلية من السذاجة إلى الشعور الفلسفي . وفيه أدعية تنتهي بالشك والارتياب ، كما أن فيه تأليهاً يرتقي إلى وحدة الوجود ، وهي تتألف من أربعة كتب.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ويتحدث عن لباسه ،فيقول [1]:

لباسِي البِرْسُ(*)فلا أخضر ولا خَلوقِيَ(*)ولا أَدْكَنُ

وقوله [2]:

وغالوا بأثوابهم فما حَسُنُوا في ذهَبِيِّ اللِّباس بل قُبحوا

ولشدة عفته وقناعته،كان يُظن به أنه واسع الثراء،على جهل الناس فقر حاله ولقد أكد هذا الأمر، ،فقال[3]:

من لي أنْ أقيم في بلـــدٍ أذكـــرُ فيه بغير ما يجـــبُ

يظن بي اليسر والديَّانـــة والعلم وبيني وبينها حجبُ

وقوله [4] :

إني أواري خلَّتي فأريهم رياً وفي سر الفؤادِ أوارُ

أما رؤيته الفلسفية في عدم الزواج والإنجاب، فيعللها بقوله [5]:

هذاَ جناهُ أبي عليَّ وما جَنيتهُ على أَحَدْ

ولأنّ الدنيا عنده دار شرور،ومصائب جم،فكان التناسل عنده جناية وشرا ،لأنه سيزج بتناسله بأحياء جديدة في هذه الحياة،كانت في نعمة العدم،لذلك كره الزواج،فالأهل عنده جناة ،والأولاد ضحية.

" فإذا كان بعض الدارسين يرى أن الزواج رابطة تقوم على الاستقرار والثبات،فإن أبا العلاء كان يرى فيه تغذية مستمرة لعملية الموت،وعلى المرء أن يتوقف عن إمداده بهذه المائدة البشرية طواعية ومحبة"[6].فيقول[7]:

دعِ النَّسل! إنَّ النسل عقباهُ ميتةٌ ويهجرُ طيب الراحِ خوفاً من السكرِ

وقوله[8]:

فليت حواء عقيم غدت لا تلد الناس ولا تحبلُ

يرى الدكتور زكي المحاسني،"أنّ أبا العلاء يرمي من إبطال الزواج إلى نفي الصلة بالمرأة أصلا،فصمم نقده في قلب الزواج درءا للأولاد؛لأن الزواج وسيلة لإيجادهـــم في الدنيا،فهو ينفي السبب(الزواج) من أجل المسبب (أي الأولاد) الأبرياء"[9].

---

(1) شرح اللزوميات،نظم أبي العلاء المعري ،تح :سيدة حامد وآخرون،المرجع السابق،ج3،ص218.

(2) المرجع نفسه،ج1،ص356.

(3)المرجع نفسه ،ج1،ص130.

(4)أبو العلاء المعري،اللزوميات،المصدر السابق،ج1،ص461.

(5) شمس الدين الذهبي ،تاريخ الإسلام ووفيات الأعيان،تح:بشار عواد عوف،(دط)،دار الغرب الإسلامي،لبنان،ج9،(دت)،ص727.

(6) عبد القادر زيدان،قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، (د ط) الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة،1986،ص ص 274-276.

(7) شرح اللزوميات،نظم أبي العلاء المعري ،تح :سيدة حامد وآخرون،المرجع السابق،ج2،ص178.

(8) أبو العلاء المعري،اللزوميات ، ج2،ص280.

(9) زكي المحاسني،أبو العلاء ناقد المجتمع،(د ط)،بيروت ،دار المعارف،1963، ص ص 41،42.

(*) البرس:القطن.

(*) الخلوقي :الأملس المصبوغ بالزعفران.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ج – السياسة والحكم :

يعتبر الفساد السياسي،من أعظم المفاسد التي كان يراها أبوالعلاء ،ورؤيته السياسية هذه نابعة من فساد المجتمع الذي كان يعيش فيه ،حيث ساد المكر وانتشرت والرشوة وعم الفحش ، ولكون الحكام جماعة فوضى ورذيلة، يتبعون هواهم ويسومون الرعية ظلماً وينعمون بمالها وثمرة أتعابها. وقد أدت الأوضاع القائمة إلى تحرر في الدين وميل إلى الظلم والتعسف، ممّا كان له أكبر الأثر في نقمة أبي العلاء المعري على الحكام. وقد ترك المعري آراء سياسية فيها الكثير من الجرأة،من ذلك أنه يرى أن الملوك ما هم إلا خدم لإصلاح شؤون الناس،فيقول [2]:

إذا ما تبيّنا الأمور تكشفت لنا وأمير القوم للقوم خادمُ

ويستنتج من البيت،أن الشاعر يريد أن يعيد إلى الأذهان صورة افتقدت من وعي الإنسان العربي في عصره،صورة مجيدة تمثلت في حكم الخلفاء الراشدين،إذ كانت مهمتهم خدمة الناس،مهما كلفهم من جهد.

وواقع الحال أنّ الحكام في عصر الشاعر،لا همَّ لهم سوى الجاه والمال وفرض الضرائب. فانظر إليه يصف سياسة سلاطين العصر،فيقول[3]:

يكفيكَ حزناً ذَهابُ الصالحين معاً ونحنُ بعدهم في الأرض قَطّانُ
إنّ العراقَ وإنَّ الشَّام مُد زمنٍ صفران ما بهما للملك سلطانُ
ساس الأنام شياطين مسلطةٌ في كلّ مصرٍ من الوالين شيطانُ
من ليس يحفل خمص الناس كلهم إن بات يشرب خمراً وهومبطانُ
أمّا كلابٌ فأعيا من يغالبهم كأنّ أرماحهم في الحرب أشطانُ

ويعتقد أن الساسة في عصره يصرّفون أمور الدولة والرعية بغير عقل وتفكير،فيقول [4]:

يسوسُون الأمورَ بغيرِ عقلٍ وينفُذ أمرُهمْ و يقالُ ساسَة
فأفٍّ من الحياةِ وأفٍّ مني ومن زمنٍ رياستُه خساسَة

ويدعوهم إلى استخدام العقل في إدارة البلاد وسياستها، قائلاً لهم [5]:

إذا الرئاسةُ لم تُعَنْ بسياسةٍ عقليَّةٍ خَطِإ الصوابَ السَائسِ

ويزداد بغي الحكام حتى نراه يغضب ويصرخ،فيقول [6]:

مُلّ المقامُ فكم أُعاشرُ أُمةً أمرَتْ بغيرِ صلاحِها أمراؤُها
ظَلموا الرَّعيّة واستجَازواكيْدَها فَعدَوْا مصالحَها وهم أُجَراؤُها

---

(1)أبو العلاء المعري، اللزوميات،ج 2 ،ص 272.
(2) شرح اللزوميات،نظم أبي العلاء المعري ،تح :سيدة حامد وآخرون،المرجع السابق،ج3،ص82.
(3) المصدر نفسه ، ج3،ص214.
(4) أبو العلاء المعري، اللزوميات،ج 2 ،ص 31.
(5) المصدر نفسه ،ج2،ص29.
(6) المصدر نفسه ،ج2،ص44.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

إنّ الحاكم النموذج في تصور أبي العلاء، وحسب تلك الرؤية المفعمة باليأس والتشاؤم،شيء يستحيل وجوده في هذا العالم .وأمام هذا الوضع نجد الشاعر، ومن خلال ذلك النقد الموجه للحكام والسياسين ،يقدم بعض الصفات التي يجب أن تتوفر في الحاكم ،وأولاها صفة العدل،فهي أساس الحكم ولبه ،فيقول [1]:

متَى يقومُ إمام يستفيدُ لنا فَتعرِفَ العَدْلَ أجيالُ وغيطانُ؟

صَلُّوا بحيثُ أردتُم فالبلاد أذًى كَأنَمَا كُلُّهَا للإبَلِ أعطانُ

ومن المعلوم أن كلمة العدل،كلمة واسعة المفهوم،ولكي يكون الحاكم عادلا لابد أن تتوفر فيه الكثير من الصفات الخلقية،كالإخلاص والصدق والأمانة،كون هذه الأخلاق تمنعه من الجور، وكل هذا كان مفقودا في مجتمع الشاعر،يقول [2]:

غدا العصفورُ للبازى أميرًا وأصبحَ ثعلبا ضِرغامُ تَرْجِ

إنها قمة السخرية في وصف واقع سياسي مر،تعكس بحق الحال الذي آل إليه عصر أبي العلاء.

د – الدهر:

كان العرب يذمون الدّهر، ويسبونه؛ وذلك لِما ينزل بهم من موت أو هرم .ووردت كلمة الدّهر في القرآن الكريم مرتين، قال تعالى:﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [4].

لقد جاءت كلمة الدّهر في الآية الأولى بمعنى مجازي يدل على القوة والغلبة ،أما الآية الثانية فقد وردت الكلمة عينها بالمعنى الحقيقي أي مدة من الزمن ، ،والناظر في الآيتين يلاحظ العلاقة الوثيقة بين الإنسان والدهر، وهذه والعلاقة علاقة قهر وقوة وسلطة بيد الدهر الذي يؤثر سلبا على الإنسان مع مرور الزمن.

وقد أكثر الشعراء العرب من استخدام الدهر ومترادفاته كالزمان والليالي والأيام والقدر والعيش في الشعر.

والدهر عند أبي العلاء،أحد العوامل المفسدة للحياة،المنغصة لعيشها،ويرى أنه لا مفر من أذى الدَهر،فيقول [5]:

والفَتى غيْرُ آمنٍ مِنْ أَذَى الدَّهرِ ولو كانَ شخْصُهُ البِرْجيسَا

وكثيرا ما دعا أبو العلاء الناس إلى الاعتبار بما فعل الدهر ،فهو يتصرف بالناس كما يشاء،فيخفض الكريم

---

(1) شرح اللزوميات،نظم أبي العلاء المعري ،تح :سيدة حامد وآخرون،المرجع السابق،ج3،ص214.

(2) المرجع نفسه، ج 1 ، ص 328 .

(3) سورة الجاثية ،الآية24.

(4) سورة الإنسان ،الآية 1.

(5) أبو العلاء المعري،اللزوميات ، ج 2 ،ص 33.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ويرفع الوضيع،ويعاجل الطفل ،ويمهل الشيخ ،فقال [1]:

وهوَ الزمانُ قضَى بِغَيرِ تناصُفٍ بيـــن الأنامِ فضاعَ جُهدُ الجَاهِدِ

سَهِدَ الفتَى لمطالـــبٍ ما نَالَها وأصابَهـــا من بات ليس بساهِدِ

إنّ أبا العلاء يحكم العقل في كل شيء ،فهو دينه وعقيدته،وعقل الإنسان قاصر على أن يدرك حكم الله في خلقه،فكيف به يقول أن الزمان قضى بغير تناصف،والله حكم عدل، ولا يضيع جهد الجاهد.

وكثيرا ما كان يرى أن الناس هم الذين أفسدوا الزمان،بتزيف الحقائق ،فيقول [2]:

أرى النّاسَ شرّاً من زمانٍ حَواهمُ فهَلْ وُجِدَتْ للعالمـــينَ حَقائقُ؟

وقد كَذَبوا عَن ساعَةٍ ودَقيقَـــةٍ وما كذَبَتْ ساعاتُهم والدّقائِقُ

إذا لم يكـــنْ لي، بالشقيقةِ مترلٌ فلا طُهِرَتْ عَزّاؤها والشّقائقُ

وقوله [3]:

نَشْكُو الزمانَ وما أُتِيَ بجنَايةٍ ولو استَطَاع تكلماً لَشكَانَا

مُتَوَافِقِينَ على المظالِمِ رُكِّبت فينا وقارَبَ شرَّنا أزكانَـــا

والدَّهرُ لايدري بمن هوكائِنٌ فيه فكيْفَ يلامُ فيما كَانَـــا

ومعنى ذلك أننا نحمل الزمان ما يصيبنا،وهو لو استطاع التكلم لقال أننا نحن الذين جنينا عليه وأفسدنـــاه بشرورنا وظلمنا،فالظلم في رؤية أبي العلاء طبع في الإنسان ، ركب في الشريف فينا وأدنانا.

هـــ ــ المصير الإنساني :

إنّ خوض أبي العلاء في قضية المصير الإنساني ،كان نتاج تفكيره العقلي الذي أخذ بـــه في كـــثير مـــن القضايا،ولقد كان تفكيره في هذه القضية نابعا من رؤية إسلامية،التي ترى أن مصير الإنسان بعد الموت هو نقطة التحول الأخيرة في الوجود،يقول تعـــالى بـ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾[4]

إنّ نفور الشاعر من الحياة وإقباله على الموت،كما ير ى كمال اليازجي،"هذا النفور الجديد الذي يتملـــك أبا العلاء من الفساد البشري، والتفكك الاجتماعي،وهذا الاحتقار الذي يكنه للمجد الزائل، والحطام الباطـــل،لا يشمل كل ما في مذهبه الزهدي ،بل هو يستخف بالحياة نفسها ، ويسخر من الجهد المبذول في طلبها فيفضـــل على الحياة الموت،وعلى الوجود العدم"[5].

---

(1) شرح اللزوميات،نظم أبي العلاء المعري ،تح :سيدة حامد وآخرون،المرجع السابق،ج2،ص19.

(2) المرجع نفسه ،ج2،ص 419.

(3) المرجع نفسه ،ج3،ص ص 245،246.

(4) سورة المؤمنون، الآيتان 99،100.

(5) كمال اليازجي،أبو العلاء ولزومياته،ط2،دار الجيل،بيروت ،لبنان،1997،ص514.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

يقول أبو العلاء [1]:

سلِ الفؤادَ عن الحيـــاةِ فإنهـــا شـــرٌّ وشرُّ
قد نلْتَ منها ما كفاكَ فما ظفِرتَ بما يسرُّ

يقول أبو العلاء ثم إن تأمل الشاعر في المصير الإنساني،يأتي في خضم مجموعة من التصورات المنتشـــرة في الساحة الإسلامية،"منها الهندي المترع،ومنها اليوناني، هذا فضلا عن الرؤية الإسلامية . وحضـــور التصـــورات الأجنبية في الثقافة العربية و الإسلامية تم بفعل الترجمة، والنقل الذي تم خلال القرون السابقة، وكان الشاعر على معرفة بها ، واطلاع على دقائقها، وهو شيء تؤكد أماليه الشعرية والنثرية.إن التصور الهندي للمصير الإنســـاني يتأسس عن فكرة تناسخ الأرواح التي يتحدد في إطارها الثواب والعقاب، وقد وقف الرجل من هذا التصور موقف الرافض له ، بل إننا نجد نبرة السخرية . والاستهزاء مبثوتة بشكل خفي وهو يعرض ذلك التصور"[2].

يقول الشاعر[3]:

يقولون إن الجسمَ يُنْقل رُوحُهُ إلى غَيْـــرِهِ حتى يُهذِّبها النَّقْلُ
فـــلا تقبلنْ ما يُخْبرونَكَ ضَلَّةً إذا لَمْ يُؤَيِّد ما أتَوْك به العَقْـــلُ

أما التصور اليوناني فيتقارب والتصور الهندي ،حيث نجد أفلاطون يدافع في محاورة(فيدون)عن فكرة خلـــود النفس مستعرضا دلائل متعددة منها"أن النفس إلهية، والخلود صفة من صفات الآلهة،وقد كان اليونان يعنون بما هو إلهي وخالد أنه لا يكون ولا يفسد،فإذا كانت النفس الإلهية خالدة فليس لها أصل نشأت عنه ولا هـــي تخضـــع للفساد"[4].

إنّ هذه التصورات المنتشرة زمن الشاعر ما كانت لتؤثر في فلسفته الإسلامية،فهو يقر بالبعث،باعتباره حيـــاة ثانية يحياها الإنسان ،وتتحد طبيعة هذه الحياة نتيجة لسلوكه،وأعماله في الحيـــاة الـــدنيا،فإما جنـــة للصـــالحين المتقين،وإما جحيم للكافرين، ولاشيء بينهما،يقول[5]:

وهي الحياةُ فَعِفَّةٌ أوفِتْنَةٌ ثُم الممات فجنَّةٌ أونَارُ

وهو بهذا الاعتقاد ينسجم مع الرؤية الأخلاقية،عنده،تلك الرؤية التي كررها كثيرا في شعره ،فقال [6]:

ومتى شاءَ الذي صورَّنَا أشعر الميْتَ نشورًا فنشِرْ
فافعلِ الخيرَ وأمِّل غِبَّهُ فهو الذُّخْرُ إذا اللهُ حشرْ

وهو بهذا الموقف يثبت قدرة الله على الحشر، ويدحض الكثير من الفلسفات الأجنبية الـــتي نفـــت البعـــث بالشكل الذي طرحه الإسلام،وهو الشكل المادي والروحي معا،وما يصطلح عليهم (الدهريون) ،قال الله تعالى :

---

(1) أبو العلاء المعري،اللزوميات،ج1،ص341.
(2) حسن عبد العليم يوسف،النزعة العقلية في الشعر العباسي ، المرجع السابق،ص112.
(3) شرح اللزوميات،نظم أبي العلاء المعري ،تح :سيدة حامد وآخرون،المرجع السابق، ج2،ص397.
(4) محمد عبد الرحمن مرحبا ،من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،(ط2)،منشورات البحر المتوسط،بيروت،1981م،ص137.
(5) شرح اللزوميات،المرجع السابق، ج2،ص115.
(6) أبو العلاء المعري،اللزوميات، ج1، ص ص 431،432.

﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[1].

كما أنّ أبا العلاء بتصوره هذا ،ينفي عن نفسه ما أخذ به من إنكار للبعث والحشر،من قبل الدارسين والمؤرخين ،قدامى ومحدثين، ويوعز محمد سليم الجندي هذا الأمر إلى "هذا المأخذ الذي أصبح لصيقا به حتى عرف به على امتداد العصور ،وذلك راجع إلى بعض الاستعمالات التي عدل فيها المنحى التقريري،إذ تناول المسألة بطريقة فنية تبتعد أحيانا عن أسلوب الحقل المعرفي الذي يخوض فيه"[2].

ويؤكد هذا الاعتقاد،فيقول [3]:

بِحِكْمةِ خالقِي طيِّي و نَشْرِي وليس بمُعْجزِ الخلاَّق حَشْرِي

والبعث في نظره يتم بالروح، والجسد جميعا،كما في قوله[4]:

عُودي يخافُ من الإحراق صاحبهُ إنْ قالَ ربي لأجسام البلى عودِي

حاشَـــا لربكَ من إخلافِ موْعدِه وإنما الخُلف في قوْلي ومَوعُودِي

وقوله [5]:

إذَا ما أعظُمي كانت هباءً فإن اللهَ لا يُعيبهُ جـــمعيْ

وهو نفس التصورالذي جاء به الإسلام،قال الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾[6].

لكن بالمقابل توجد نصوص شعرية جعلها النقاد، دليلا على عدم إيمان أبي العلاء بالبعث ،أو الشـــك فيه ،أو إيمانه بالبعث الروحي دون الجسدي ، "وأرجعوا مواقفه تلك إلى تأثره بثقافات أجنبية، ومنشأ هذا في نظرنا إلى الخلط في القراءة بين نصوص الشاعر التي تتراوح بين التقريرى والإيحائي، ذلك أن النصوص الـــتي يتناول فيها المسألة بعيدا عن المنحى العلمى تكون مدعاة أحيانا للتأويل البعيد عن مقصديته الصحيحة"[7].

أطال أبو العلاء التفكير كثيرا في مصير الإنسان ، وحاول أن يتخيل طبيعة وجود الإنسان في الآخـــرة ، باستعمال خياله الخصب، انطلاقا من المعطيات الدينية ، والأخبار المروية التي تتحدث عن يوم القيامة ،والحشر

---

(1) سورة الجاثية ، الآية 24.

(2) حسن عبد العليم يوسف، أثر النزعة العقلية في الشعر العباسي ، المرجع السابق ، ص ص114،115.

(3) شرح اللزوميات،نظم أبي العلاء المعري ،تح :سيدة حامد وآخرون،المرجع السابق،ج2،ص215.

(4) أبو العلاء المعرينااللزوميات،ج1،ص276.

(5) المصدر نفسه ،ج2،ص96.

(6) سورة يس،الآيتان 78،79.

(7) ينظر :محمد سليم الجندي،الجامع في أخبار أبي العلاء المعري ،المرجع السابق ،ج3،ص 117.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

والبعث والجنة والجحيم، وكان سعيه هذا بحثا عما يعوضه عن هذه الحياة الدنيا التي عاشها،فقال[1]:

زعمـــُوا أنني سأرجعُ شرخا كيْفَ لي كيْفَ لي وذاك التِمَاسِي؟

وأزورُ الجِنـــانَ أَحْبرُ فيـــها بعدَ طولِ الهُمود في الأرمـــاسِ

وتـــزولُ العيـــونُ عـــني إذا حُمّ بعينِ الحيـــاةِ ثم انغماسِـــي

يفسر محمد سليم الجندي أبيات أبي العلاء فيقول:" يذهب دارسو الأحلام من الوجهة النفسية إلى أنّ المبدعين نادرا ما يحلمون في نومهم ، وليس ذلك ناتجا عن قصور ، أو ضعف في شعورهم ، أو إحساسهم ، أو في نفسيتهم ، وسلوكهم ، أو أنهم يحققون كل ما يصبون إليه في عالم الواقع، بل يرجع ذلك إلى كونهم يحلمون في إبداعهم، وإنتاجهم فيكون إبداعهم عبارة عن حلم يقظة، و المعرى في هذا النص لا يعود مضمون هذا التصور، فهو وقف مشدوها أمام هذا الخبر (خبر بعثه شابا) رغم عدم تأكده من صحته، وهذا ما يعكس الفعل (زعموا) وتعجبه من ذلك الخبر، وأعلن أن ذلك هو ما يرجوه، وبأمله ، ويلتمس تحققه في الآخرة، ونستطيع أنْ نقول أنّ الشاعر في مثل هذه النصوص يكشف عن رغبات دفينة تكونت لديه بفعل العاهة ، ونتيجة ما عاناه من الناس، ومن شرورهم ، وأيضا نتيجة معاناته خلال مرحلة الشيخوخة، لذا فهو يأمل أن يبعث شابا معافا من الوهن، والضعف و العجز الذي يصاب غالبا فترة الشيخوخة، وأن يبعث سالما من عاهة العمى، وهذا ما يحوي به صدر البيت الأول بشكل ضمني (وأوزور الجنان أحبر فيها)،كما كان يأمل أن يكون بعيدا عن أذى الناس،وشرهم الذي عانى منه كثيرا "[2].

إنّها أحلام الشاعر التي حاول من خلالها أن يتصور الطريقة التي يتم بها بعث الإنسان،لعله يصل إلى الكيفية التي تزيل عنه هاجس الشك،كون النص القرآني لم يقدم أي كيفية التي يتم بها النشر،ثم إن الفلسفات الأجنبية لم تكن ترى البعث بالطريقة التي أثبتها الإسلام.

وما يثبت صحة اعتقاده بالبعث نصوص أخرى من أشعاره ، من ذلك قوله [3]:

وقدرةُ اللهِ حقٌ ليس يُعجزُها حشرٌ لخلقٍ ولا بعثٌ لأمواتِ

وهكذا لم يبق مجالا للشك في الرؤية العلائية لقضية البعث بعد الموت،لأن ما طرحه من رؤى وتصورات كلها تصب في اعتقاده به،ذلك أن الخلفية الأخلاقية للرجل لن تكون لها مصداقيتها ومشروعيتها في حالة أنكر البعث، لأن الذي يوجد التوازن في المجتمع ويعمل على تهذيب الطباع وصقل الأخلاق، الاعتقاد بالبعث والحساب،ثم يأتي الجزاء على حسب أعمال المرء.

لقد ذهب الكثير من المفكرين أن أبا العلاء المعري صاحب رؤية فلسفية وفكرية،إذا بحث في المسائل الطبيعية والرياضية والعملية ،وما إلى ذلك من المسائل المعقدة،بكل تشعباتها واهتماماتها،"لأنه لم يكن يتناول تلك المسائل

---

(1) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج2،ص53.

(2) محمد سليم الجندي ،الجامع في أخبار أبي العلاء المعري،المرجع السابق ،ص118.

(3) شرح اللزوميات،نظم أبي العلاء المعري ،تح :سيدة حامد وآخرون،المرجع السابق،ج1،ص175.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الفكرية تناولا جماليا ،بحثا، يجعل منه مجرد تمويهات شاعر،بل كان يعرضها بدقة ويحللها بعمق ،ويحكم فيها العقل دائما ، ثم يصبها في قالب فني رفيع ،وما أشبهه بـــ (نيتشه)(*)من بين المحدثين "[1].

حرص المعري في مقدمة لزومياته على تبيان الهدف من رؤيته الكلية،حيث يقول":وكان من ســـوالف الأقضية أني أنشـــأت أبنية أوراق، توخيت فيها صدق الكلمة،ونزهتها عن الكذب والمَيْـــط (*) ولا أزعمهـــا كالسِّمْط (*)المتخذ وأرجو ألا تُحسب من السُّمَيْط(*)، فمنها ما هو تمجيدٌ لله َ شرُف عن التمجيد،ووضع المنن في كل جيد،وبعضُها تذكيرٌ للناسين وتنبيه للرَّقدَةِ الغافلين "[2].

ويستحضرني في هذا المقام قول طه حسين في فلسفة أبي العلاء، "أن المسلمين لم يعهدوا بينهم في قـــديمهم وحديثهم فيلسوفا مثله(يقصد المعري)،فقد جمع بين الفلسفة العلمية والعملية،ثم بينهما وبين العلم واللغة ، وأبو العلاء هو الفيلسوف الفذ الذي التزم ما لا يلزم عند المسلمين في سيرته ولفظه"[3].

إنّ شعر أبي العلاء،وخاصة "اللزوميات" منها،مزيج من حق وباطل، وشك ويقين حول الحقيقة الهاربة منـــه والتي حيرته. ومهما يك من أمر أبي العلاء فله شأن كبير في تاريخ الفكر العربي القديم، وله من عمـــق الاعتبـــار الفلسفي ما بوأه مرتبة عقل كبير، وشاعرية حكيمة لقحت شعوره وشعره بالتأمل الفلسفي العميق،فجاورت فيه المادة بالروح، والتبست فيه علاقة الخير بالشر، في موقف يتسم بالسخرية تارة ،و في موقف الشيخ الفيلسوف تارة أخرى، مما لا يسع معه إلا الإعجاب بما خلفه من آثار جليلة ناطقة بعظمة فكره ظلت ولا تزال جديرة بالوقوف عندها تحليلا ومدارسة وقراءة.

---

(1) إبراهيم العاتي ،الزمان في الفكر الإسلامي (ابن سينا،الطبيب الرازي ،المعري)، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ،لبنان1993م،ص45.

(2) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،المصدر السابق ،ج1،ص5.

(3) طه حسين ،المعري شاعر أم فيلسوف؟مجلة الهلال ،ج م ع ،يونيو 1938م.

(*) نيتشه :فيلسوف ألماني(1844-1900م).

(*) الميط: البعد ,وأراد هنا المغالاة.

(*) السمط: الخيط إذا كان منظمًا فيه خرزات العقد وإلا فهو السلك.

(*) السميط: الآجر المبني بعضه فوق بعض.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

المبحث الثاني :الرؤية الدينية

تنازع المؤرخون والدارسون في عقيدة أبي العلاء وفي رؤيته الدينية، ولا يزال الناس إلى اليوم مختلفين في هذا الأمر،ولمقاربة الحقيقة يجب" أن نلقي نظرة على عصره وعلى ماكان له من الأثر في نفسه .لقد عاش أبو العلاء في فترة احتكت فيها الروحية السامية التي حملت إلى الناس الإيمان بالتوحيد والمعاد والآداب الدينية بالعقلية اليونانية التي حملت إليهم البحث المنطقي والنظريات العلمية.وكان من جراء ذلك الاحتكاك اشتداد الفرق الكلامية وتعدد المنازع الفكرية بين مناصر النصوص الدينية أو مضاد لها. ومن الانصاف هنا أن نقول أن هذا النزاع بين النقل والعقل كان يضعف أو يشتد بالنسبة إلى الأحوال الاجتماعية أو السياسية . على أن العصور الوسطى مدينة للغة العربية في أنها (أي العربية) اتسعت يومئذ للتفكير العلمي ، فكانت الموئل الذي حفظت فيه ثمار العقول القديمة"[1].

ولاشك أن هذا النزاع الفكري أحدث في العقول ميلا إلى النظر النقدي في الكون والحياة والدين والمعاد ، فتسرب الشك إلى عقول بعض المفكرين،" واستولى عليهم روح الإنكار، فرفضوا ما لم تقبلهم عقولهم من تعاليم وسنن، ونادرا إلى الرجوع إلى المبادئ الأولية في الحياة الروحية والاجتماعية . ومن هؤلاء شاعرنا ، فقد نشأ في هذا الجو الفكري المضطرب تواقا إلى المعرفة وإلى بلوغ الحقائق ، وفي نفسه اصطدمت تقاليد الدين بأحكام العقل فاضطرب وصار يتلمس طرقه توصلا إلى ما يشفي أوامه، فلم يوفق تمام التوفيق : كان الإيمان أساس حياته ولكنه قضى الحياة حائرا تتقاذفه لجج الشك والتشاؤم.ومن هنا هذا الاختلاف في الحكم عليه"[2].

أولا:رؤية أبي العلاء في معتقده في الله تعالى:

"العقيدة في اللغة، فهي على وزن فعيلة بمعنى مفعولة، كقتيلة بمعنى: مقتولة، وفريضة بمعنى: مفروضة، وطبيعة بمعنى: مطبوعة، فهنا عقيدة بمعنى شيء معتقَد؛ أي: إن عقيدة بمعنى معقودة، وأصل كلمة العقيدة مِن العَقْدِ؛ وهو الرَّبطُ، والإبرامُ، والإحكامُ، والتوثُّقُ، والشَدُّ بقوة، والتماسُك، والمراصةُ، واليقين والجزم.

وأصل العَقْد نقيض الحل، ثم استعمل في جميع أنواع العقود في البيوعات وغيرها، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم[3]، ويقال: عَقَده يعقِده عَقْدًا، ومنه عُقْدَة اليمين والنكاح؛ قال تعالى :﴿ **لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ** ﴾[4].

و"المعتقد، مصدر ميمي، بمعنى الاعتقاد؛ أي ما يعتقده الإنسان.والعقيدة،الحكم الذي لا يُقبل الشك فيه لدى معتقده؛ فهي أمور وقضايا لا تقبل الجدال ولا المناقشة"[5].

---

(1) أنيس المقدسي ،أمراء الشعر العربي في العصر العباسي،(ط17)،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،1989،ص399.

(2) المصدر نفسه،ص ص 399،400.

(3) ابن منظور،لسان العرب،المصدر السابق، (مادة عقد).

(4) سورة المائدة ،الآية ،89.

(5)سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي ،(ط2)،دار الفكر، دمشق ،سورية ،1988،ص 256.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

والعقيدة الإسلامية هي"الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخِر، والقدر خيره وشرّه، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والإتباع لرسوله – صلى الله عليه وسلم–.

ومما لا شك فيه ولا اختلاف عليه إن علم العقائد الإسلامية أو (أصول الدين) وكما يدل اللفظ على معناه هو أساس هذا الدين وبه تصح العبادات ليكون هو معنى الإسلام الحقيقي ولأن هذا العلم يحتوي الفهم الكامل والتصور التام لمعنى وحقيقية التوحيد الذي جاء به الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) والأنبياء من قبله بوحي من الله سبحانه وتعالى"[1].

ما ارتاب أبو العلاء ،أو شك يوما في وجود الله تعالى،وفي قصائده على كثير من الأبيات ،التي يوحد فيها الله تعالى ويسبح بحمده ،ويمجده ويقدسه،ولقد أتينا على شيء من هذا في مبحث (الفلسفة الإلهية)،فقال [2]:

أقرُّ بأنَ لِي ربًا قديرًا ولا ألقى بدَائعُهُ بجحْدِ

كما يرى أنه رب عظيم جدير بالحمد والثناء،فكل شيء يسبح بحمده حتى العجماوات،فقال [3]:

كلٌ يسبِّح فافهم التقدِّيسً في صوتِ الغرابِ وفي صَّياحِ الجُدجُدِ[*]

كما أن الله تعالى عليم خبير ،لا يعزب عنه مثقال ذرة،ولا يخفى عليه شيء من هواجس النفوس،فقال[4]:

اذكُرْ إلهكَ، إنْ هَببتَ من الكَرى وإذا هَمَمْـــتَ لهَجعةٍ ورُقــادِ

احذَرْ مجيئكَ في الحساب بزائفٍ فاللّــهُ ربُّــكَ أنْقَدُ النُّقــّاد

وهو المنعم ،صاحب الفضل على عباده،سواء أكانوا أهلا للفضل أم لم يكونوا، وسواء آمنوا به أم كفروا، فقال[5]:

تورَّعوا يا بني حواءَ عن كذبٍ فمالكم عند ربٍ صاغكم خَطَرُ

لم تُجدبوا لقبيح من فعالكُــم ولم يجئكمُ لحسن التوْبة المــطرُ

كما أنّ كل ما يحققه الإنسان في هذه الحياة من نجاح ،فبفضل من الله، لا بسعي الإنسان وكده ،فقال [6]:

لم تبلغْ الآراب شدَّة ساعدِ مالم يعنْها الله بالإسْعَادِ

ونلاحظ في هذا المبحث ،أن أبا العلاء يقر بوجود الله تعالى، ويعترف بعظمته، ويشير إلى فضله،فالله صاحب الفضل والنعمة،وإليه يرجع الأمر كله.

---

(1) محمد إبراهيم محمد،عقيدة أهل السنة والجماعة،(ط2)،دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع،م ع س،1988،ص ص 8،9.

(2) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ، ج 1، ص278.

(3) المصدر نفسه،ج1،ص282.

(4) اللزوميات،ج1،ص287.

(5) المصدر نفسه،ج1،ص312.

(6) المصدر نفسه ،ج1،ص286.

(*)الجدجد:طوير يشبه الجراد تسميه العامة الصرصار.

لكن بالمقابل هناك من يزعم أن أبا العلاء كان من منكري وجود الإله جل وعلا،عندما قال [1]:

قُلتُمْ لنا خالقٌ حكيمٌ قلنا صَدقْتمْ كذا نقولُ

زعمتـــوهُ بلا مكان ولا زمـــانٍ ألا فقولُوا

هذا كـــلامٌ له خبيءٌ معناهُ ليستْ لنا عقُولُ

والأبيات في مجملها لا تشير إلى إنكار، يقول أحمد تيمور باشا [2]:" ليس في هذه الأبيات إنكـــار لوجـــود الإله، وحسبك قوله:"قلنا صدقتم ،كـــذا نقول"،لكن يؤخذ من ظاهرها إثبات الزمان والمكان لله تعالى،وهو ما لا يقول به إلا المجسمة وأضرابهم،تنزه الله عما يقولون".

ثانيا:النبوات والأديان والشرائع

ناقش المعري قضية النبوة في إطار رؤيته الشكيّة،مقتفيا في ذلك طريقة الجاهليين في موقفه من النبوة،فالقول ما قال الحكماء ،رغم أن العرب الجاهليين لم تكن لهـــم رؤية دينية واضحة المعـــالم،فهم كانـــوا أقـــرب للرؤية الوجدانية، وشعرهم خير شاهد على ذلك.

كما أنه يرجع الأمور كلها إلى زمام العقل المستنير المتوقد،بل المتمرد،ويرفض دونه أي خنوع أو خضوع لأي سلطة كانت، ولو كانت دينية،فقال [3]:

يرتجي الناسُ أن يقـــومَ إمـــــامٌ ناطقٌ في الكتيبةِ الخرســـَـــاءِ

كذبَ الظنُّ لا إمامَ سوى العقل مشيرًا في صُبحه والمســـَـــاءِ

وقال[4]:

أيها الغرّ إنْ خُصِصْتَ بعقلٍ فاتّبعْهُ فكلّ عقلٍ نبي

من هذه الرؤية ينطلق المعري في معتقده بالنبوات،فهو يرفض التوارث والاتباع، ولا يريد العيش كما عاش الأسلاف،وأن يقتفي خطى أبائه وأجداده،دون استخدام للعقل،فقال [5]:

عاشوا كما عاشَ آباءٌ لهم سَلَفوا وأورثُوا الدّينَ تقليداً كما وَجَدُوا

فما يُراعونَ ما قالوا، وما سمـــعوا ولا يُبالونَ، من غيٍّ، لمن سجدُوا

والعُدْمُ أرْوَحُ ممّا فيـــه عالَـــمُهمْ وهو التكلّفُ إن هبُّوا وإن هجدُوا

فهو يرفض التقليد الأعمى،ثم إن كثيرين منهم لايأبهون بجهلهم لمن سجدوا،والعدم أكثر راحة من عالم هؤلاء، حتى لو أكثروا التهجد،لأنهم لا يعبدون الله عن علم وبصيرة.

---

(1)أبو العلاء المعري ، اللزوميات ،المصدر السابق ،ج2، ص185.

(2) أحمد تيمور باشا ،أبو العلاء المعري،نسبه وأخباره وشعره ومعتقده،(د ط)،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والشعر، القاهرة ،1940،ص138.

(3) اللزوميات ،المصدر السابق ،ج1، ص 55.

(4) المصدر نفسه ، ج2،ص439.

(5) المصدر نفسه ،ج1،ص235.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

إنّ حديث المعري عن النبوات والشرائع،ترك جدلا عظيما،ولا زال تفسير وتأويل شعره إلى يومنا هذا،مدار المحققين والدارسين،كل حسب رؤيته وفكره،وكان نتاج تأويلاتهم وتفسيراتهم ،أن أقر له البعض بإيمانه بالأنبياء، وماجاؤوا به من عند الله، وبين منكر لإيمانه بهم،"لقد أنكر هذا الأخير النبوات وهاجم الوحي ونقضه وسفه الديانات بطريقة لا تنقصها الجرأة،وقد كان منكرا للنبوات،جاحدا لصحتها"[1].فقال[2]:

يا آلَ يَعقوبَ! ما تَوراتُكُم نبأٌ ... من وَرْيِ زندٍ ولكن وري أكبادِ

إن كـانَ لم يبدُ للأغمارِ سِرُّكم ... فإنّـهُ لِيَ، في أكنـانه، بـَـادِ

لقدْ أكلتمْ بأمرٍ، كلُّه كـذِبٌ ... عـلى تقـادُمِ أزمانٍ وآبـادِ

ورابني أنّ أحباراً لكمْ رَسخوا ... في العلم، ليسوا على حالٍ بعُبّادِ

يقصد أبو العلاء هنا "آل يعقوب"،اليهود،فهو يناديهم ليخبرهم أن توراتهم من صنع نفوسهم المريضة،وإن لم يظهر سرهم لعامة الناس ،فإن ماخفي ،باد لشاعرنا،ويرى أن هذا دأب اليهود وشأنهم عبر العصور،فقد شغلوا بتلفيق الأمور،ثم أعلن لهم صراحة أن الذي جعله يشك في دينهم،معرفته بعلماء وأحبار ليسوا متدينين ولا صالحين وأتقياء.

كما أنه كان يدعو النصارى،أن يكفوا عن أحقادهم،وعدواتهم،ويقول[3]:

لاتبدؤُني بالعداوةِ منـكُم ... فمسيحُكم عندي نظيُر محمَّد

يؤمن أبو العلاء بنبوة النبي- صلى الله عليه وسلم- "والإسلام عنده مفضل على الجميع،لذلك تراه يهاجم اليهود والنصارى والفرق الإسلامية المختلفة كالمعتزلة والمرجئة وبعض الشيعة والصوفية"[4].

يقول أبو العلاء [5]:

دَعـاكمْ إلى خَـيرِ الأمورِ محمّـدٌ ... وليـسَ العَوالي في القَنـا، كالسّوافلِ

حداكمْ على تَعظيمِ مَن خلقَ الضّحى ... وشُهـبَ الدُّجَى من طالعاتٍ وآفِـلِ

وألـزمكمْ ما ليسَ يُعجزُ حَمـلُهُ ... أخـا الضّعْفِ من فَرْضٍ لـه ونوافـلِ

وحَثّ على تَطهيرِ جسـمٍ ومَلبـَسٍ ... وعاقَبَ في قَذفِ النّساءِ الفَواضـلِ

وحرّمَ خمراً، خِلتُ ألـبابَ شَربِـها ... من الطّيشِ، ألبابَ النّعامِ الجوافـلِ

يجروّنَ ثَوبَ المُلـكِ جرّ أوانـسٍ ... لدى البَدْوِ أذيـالَ الغَواني الرّوافـلِ

فصـلّى عليهِ اللّهُ ما ذرّ شـارِقٌ ... وما فَتّ مِسـكاً ذكـرُهُ في المَحافـلِ

---

(1)عبد القادر زيدان،قضايا العصر في أدب أبي العلاء،(دط)،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،ج1،الإسكندرية،ج م ع ،2003م،ص105.

(2)أبو العلاء المعري، اللزوميات ، ج1،ص276.

(3) المصدر نفسه ،ج1،ص283.

(4)أنيس المقدسي ،أمراء الشعر في العصر العباسي، المرجع السابق ،ص413.

(5) اللزوميات ،ج2 ،ص ص 222 ،223.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ويرى في دعوة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – دعوة الحق ،التي تهذب الناس وترشدهم إلى الطريق الحق ،فقال [1]:

جاء النبيُّ بحقٍ كي يُهذِّبكمْ فهلْ أحس لكم طبعٌ بتهذيبِ؟

والحق أنا المعري لم ينصف النبي – صلى الله عليه وسلم- إذ كان مدحه له وكأنّه رجل مصلح، أتى بهذه التعـــاليم المستحسنة لديه من عنده وليست من عند الله .ومع ذلك نراه يهـــاجم اليهود،لتكذيبهم النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال [2] :

ومتَى ذكرتُ محمداً وكتابَهُ جاءت يهودُ بجَحْدها وكتَابِهَا

أفَمِلةُ الإسلام يُنكرُ مُنكرٌ وقضاءُ ربِّك صاغَها وأتَى بِهَا

وأكثر من هذا نراه يهاجم شرائع اليهود،التي حرفوها وبدلوها ،ويدعو عدم الأخذ بها،ولا بأحكامها،لأنهم نسبوها إلى الله بهتنا وزورا ،فقال [3]:

ضَلَّت يَهودُ وَإِنَّما تَوراتُها كِذبٌ مِنَ العُلَماءِ وَالأَحبارِ

قَد أَسنَدوا عَن مِثلِهِم ثُمَّ اِعتَلوا فَنَموا بِإِسنادٍ إِلى الجَبّارِ

وَإِذا غَلَبتَ مُناضِلاً عَن دينِهِ أَلقى مَقالِدَهُ إِلى الأَخبارِ

وقال [4]:

ولا تُطيعن قومًا ما ديانتُهـــم إلا احتيالٌ على أخذِ الإتاواتِ

وإنما حمَّـــلَ التوراة قارئهـــا كسبُ الفوائد لا حبّ التلاواتِ

إن الشرائعَ ألقت بيننا إحنًا وأودعتنا أفانين العـــــــداواتِ

بل أكثر من هذا يرى تحالف اليهود مع النصارى في محاولة قتل المسيح عليه السلام،فيقول [5]:

توافَقتِ اليهـــودُ مع النَّصـــارَى عـــلى قتلِ المسيـــحِ بلا اختلافِ

وما اصطلحوا على ترك الدنايا بلْ اصطلحُوا على شربِ السُلاَفِ

و لم تسلم النصارى من شاعر المعرة ،لكنه كان أخف حدة عليها وأقل اهتماما،ليس كما فعل مع اليهود وشرائعهم المحرفة ،فقال [6]:

---

(1) أبو العلاء المعري،اللزوميات ،ج1، ص125.

(2) المصدر نفسه ، ج1،ص134.

(3) المصدر نفسه ،ج1،ص420..

(4) المصدر نفسه ،ج1،ص175.

(5) المصدر نفسه ،ج2،ص113.

(6) المصدر نفسه ،ج2،ص419.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

عَجَباً لِلمَسيحِ بَيــنَ أُنــاسٍ وَإلى اللهِ والِــدٍ نَسَبــــوهُ
أَسلَمَتهُ إلى اليَهودِ النَصارى وَأَقَــرّوا بِأَنّهُم صَلَــــبوهُ
يُشفِقُ الحازِمُ اللَبيبُ على الطِفلِ إذا مــا لِداتُهُ ضَرَبــوهُ
وَإذا كانَ ما يَقولونَ في عيسى صَحيــحاً فَأَينَ كانَ أَبوهُ
كَيفَ خَلّى وَليدَهُ لِلأَعــادي أَم يَظُنــّونَ أَنَّهُــم غَلَبوهُ

ومجمل معنى الأبيات،أن أبا العلاء يتعجب من قول النصارى في المسيح –عليه السلام– بأنهم نسبوه لله تعالى، ثم أسلموه لليهود فقتلوه،ثم إن الرجل العاقل ليمنع ولده من رفاقه إذا أرادوا ضربه.وإذا كان إدعاء النصارى على سيدنا عيسى **– عليه السلام –** صحيحا،فأين كان أبوه؟! و لِمَ لمْ ينصره؟!وكيف له أن يترك ولده للأعادي،أم أنه غلب عن أمره،فضعف واستسلم؟!.

وما ينفك أبو العلاء أن ينتهي من تحريف اليهود والنصارى لدينهم ،حتى يمضي أبعد حد من ذلك ،لما يشبه عقيدة أهل فارس في ضلالها بعقيدة اليهود والنصارى ،فيقول[1]:

وفارس قد شبت لها النار وادّعت لنيــرانها أن لا يجوزُخُبُــوتها
فَمَــا هذه الأيــام إلا نظائــرٌ تســاوت بها آحادُها وسبوتها

ثم يذهب أبو العلاء ليصور عباداتهم ،فيقول[2]:

فيا للنَّصارى إذا أمسكُوا ويا لليهود إذا أسبتُوا
وقد سُئِلوا عن عبادتهمْ فما أيَّدوها ولا تثبَّــتُوا

فالنصارى واليهود في صيامهم ونسوكهم،لا يملكون صحة إثبات ذلك،فهم في ريبهم يترددون،بما يدينون.

أما المجوسية،فقد جعلها أبو العلاء من جملة الأديان الوثنية،لأنها تدعو إلى عبادة الشمس وتعظيم الكواكب، ويرمي أتباعها بالضلال، وشر ما يسفههم به نكاح الأخوات ،فيقول[3]:

سألنا مَجُوساً عن حقيقةِ ديــنها فَقالت: نعمْ لا ننكِحُ الأخواتِ
وذلك في أصــل التّمجّسِ جائزٌ ولكــنْ عدَدْنــاهُ من الهفواتِ
ونأبى فظيعاتِ الأمور ونَبتغي سُجوداً لنُور الشمسِ في الغَدواتِ

وإذا قوبل الإسلام بسائر الأديان،نرى موقفه مضطربا،"ولكن اضطرابه اضطراب مؤمن يحاول أن يجمع بين العقل والنقل،فيقع في شيء من الارتباك.ومن الخطأ أن نحكم عليه من شعره بالجحود"[4].

واضطرابه هذا يرجع إلى حالات عصبية وتشاؤمية كانت تعتريه في بعض الأحيان، عندما يحس بالعاهة التي

---

(1) اللزوميات ، ج1،ص ص 175 ،176.
(2) المصدر نفسه ،ج1، ص165.
(3) المصدر نفسه ،ج1،ص172.
(4) أنيس المقدسي ،أمراء الشعر العربي في العصر العباسي،المرجع السابق ،ص410.

ألمت به ،فيتحدث دون تريث أو حساب العواقب،من ذلك أنه أنكر الكثير من الشعائر الدينية،فقال [1]:

يدُ بخمسِ ميـــئين عسجدٍ وديت ما بالها قُطعتْ في ربعِ دينارِ

تناقضٌ مالنا إلا السكـــوتُ لـــه ونستعيذ بمـــولانا من النَّـــارِ

يتعجب المعري ويقول:مابال اليد اليمنى إذا قطعت وديت بخمسمائة دينار ذهب ؟ وهي تقطع إذا سرقت ربع دينار ؟ويرى في هذا الأمر تناقض ليس له إلا التسليم،لكن هذا شرع الله ودينه،قال الله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[2].

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره العظيم[3]،وقد ذكروا: " أن أبا العلاء المعري،لما قدم بغداد،اشتهر عنه أنه أورد إشكالا على الفقهاء في جعلهم نصاب السرقة ربع دينار ، ونظم في ذلك شعرا دل على جهله وقلة عقله فقال :

يدُ بخمسِ ميـــئين عسجدٍ وديت ما بالها قُطعتْ في ربعِ دينارِ

تناقضٌ مالنا إلا السكوتُ لـــه ونستعيذ بمـــولانا من النَّـــارِ

ولما قال ذلك واشتهر عنه تطلبه الفقهاء فهرب منهم . وقد أجابه الناس في ذلك فكان جواب القاضي عبد الوهاب المالكي ــ رحمه الله ــ : لما كانت أمينة كانت ثمينة ، ولما خانت هانت .

ومنهم من قال : هذا من تمام الحكمة والمصلحة وأسرار الشريعة العظيمة ، فإنه في باب الجنايات ناسب أن تعظم قيمة اليد بخمسمائة دينار لئلا يجنى عليها ، وفي باب السرقة ناسب أن يكون القدر الذي تقطع فيه ربع دينار لئلا يتسارع الناس في سرقة الأموال ، فهذا عين الحكمة عند ذوي الألباب" .

والمراد بهذا بين، لو كانت اليد لا تقطع إلا في سرقة خمسمائة دينار ،لكثر سرقة ما دونها طمعا في النجاة، ولوكانت اليد تفدى بربع دينار، لكثر من يقطعها، ويؤدي ربع دينار دية عنها وبالتالي لم يكن لأبي العلاء أن يعترض على حكم الله،لأن الإنسان عاجز عن تفسير الكثير من الأشياء في هذه الحياة،مهما أوتي من عقـــل وحكمة.كما كانت له آراء كثيرة في أصول الدين،كالحج، وتوزيع الميراث وقراءة القرآن،من ذلك قوله[4] في قارئ القرآن:

وقَارِئُكمْ يَرجُو بتطرِيبِهِ الغنى فَاض كَمَا غنى ليكسبَ زلزلُ

أي إذا كان ترتيل القرآن عبادة لله تعالى ،فإن قارئ القرآن الذي يحسن تجبيره وترتيله ويتغنى به،غُنْماً غايتـــه الارتزاق به ،فاستوى في ذلك مع المغنين.

إنّ المعري" لم يفصل بين العقل والدين فهو رجل عقل ودين في آن واحد.وهو عندنا اســـتطاع أن يتعـــرف جوهر الدين في حدود عقله،ولم يتعرف عليه من خـــلال نوافذ هذا العقل،فكان الشرع والإيمـــان القلبي طريقه

---

(1) أبو العلاء المعري،اللزوميات ،المصدر السابق ، ج1، ص 391.

(2) سورة المائدة،الآية 50.

(3) الحافظ بن كثير،تفسير القرآن العظيم ،تح:سامي بن محمد السلامة ،(ط2)،دار طيبة، ج3،ج م ع ،1999،ص110.

(4) أبو العلاء المعري، اللزوميات،المصدر السابق ،ج2،ص 178.

في ذلك"[1].

و مما يدلل على رؤية أبي العلاء السابقة ،قوله[2]:

وإذَا ما سألتَ أصحاب دينٍ غَيَرُوا بالقياسِ ما رَتَبُوهُ
لا يدينونَ بالعقولِ ولكـــن بأباطيلِ زخرفٍ كذبوهُ

وقوله [3]:

دينُ وكفرٌوأنْبَاء تُقَــصّ وفرْقَــانُ يُنــصُّ وتــوراةٌ وإنجيـــــلُ
في كــلِّ جيل أباطــيلٌ يــدان بها فهـــــل تفرَّد يوماً بالهدى جيلُ؟

فأبو العلاء يرى"مفارقة عظيمة بين الدين والعقل،فهناك طوائف في الدين لم ينتهجوا الــدين علــى أصــوله المعروفة ،بل حادوا عنه كثيرا، وتناقضوا فيها،وخاصة فيما يتعلق بالنظر والعمل في مجال الدين،فالــدين ســلوك وطريقة وليس مجرد شعائر"[4].

إنّ أبا العلاء لا ينكر النبوة ولا ينتقد الرسل،بل ينقد برؤيته الحكيمة أفعال هؤلاء المتدينيين،الذي اتخذوا الدين مطية،لكسب بعض حطام الدنيا، ولأجل تحقيق غايتهم هذه بدلوا وحرفوا،فضلوا وأضلوا وحادت بهم نفوســهم عن الهدى والحق.

إنّ أبا العلاء بموقفه هذا من الأديان، لم يقصد الأديان في حد ذاتها،وإنما هاجم أصحابها،سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهودا،فقد اختلف أصحاب كل دين، وتفرقوا مذاهبا وأحزابا،وقوله [5] يثبت ذلك :

أَقرُوا بالإلهِ وأثبتُوه وقالُوا لانبيَ ولا كتابُ

ففي البيت الشعري يقر أبو العلاء بالنبوة وبالكتب، غير أنه ينتقد نمطية التقليد الديني، إنه من القلائل الــذين أرادوا أن يحرروا الدين من النمطية والتقليد.

إننا نمارس الكثير من الشعائر والعبادات تجعلنا نحمل هوية المجتمع المسلم ، لكن ذلك بعيد كل البعد عن إثبات مدى إيمان الفرد، أو إخلاص نيته لله. هذه المظاهر هي مجرد شكل فقط. والدليل على ذلك أن المنافقين منذ عهد النبوة كانوا يمارسون ذلك الإسلام المجتمعي فكانوا يصلون ويصومون ويزكون بل أن بعضهم كان يخرج للجهاد مع جيش المسلمين إذن ليس الدين بالوراثة والتحدث باسم الله، واعتبار أنفسهم ممثلين وحيدين لكلمته علـــى الأرض.

سيبقى دين الله في متناول الجميع، هو ليس حكرا فئة دون أخرى، لأنه للعالمين، لكل نفس على هذه الأرض، واختيارنا أن نكون مقلدين نمطيين فيما لا نص فيه، يبدو أسوأ الاختيارات، لأن انطلاق رحلة الإيمان الحقيقي،تبدأ

---

(1)سناء خضر،النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين ،المرجع السابق ،ص208.

(2) أبو العلاء المعري،اللزوميات ،المصدر السابق ،ج2،ص 419.

(3) المصدر نفسه،ج2،ص183..

(4)سناء خضر ، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، المرجع السابق ،ص209.

(5) اللزوميات ،المصدر السابق ، ج 2،ص80.

من قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [1] . وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [2].

هكذا تتضح منزلة العقل وتأثيره في الحياة ، وهناك آيات كثيرة تتحدث عن هذا المعنى الذي يبين عظم منزلة العقل عند الله تعالى، وتحفيزه على التأمل والتفكر الموصلين له وإلى تمييز الحق عن الباطل.

ثالثا : الجبر والاختيار

تعتبر مسألة الجبر والاختيار من المسائل الشائكة في الفكر الإسلامي،والتي أثارت جدلا كبيرا، نظرا لصعوبة الإجابة عن السؤال القائل :هل الإنسان مخير أم مجبر في أفعاله؟ ومن ثم تحديد المسؤولية المترتبة عن ذلك.

الجبر في الاصطلاح الفني الكلامي"هو نفي الفعل حقيقة عن الإنسان وإضافته إلى الله تعالى،وهناك جبرية خالصة،وهي التي لا تثبت للعبد فعلا،ولا قدرة على الفعل،وجبرية متوسطة،وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا"[3].

والجبرية (fatalism)" مذهب يعتبر كل حوادث الحياة الإنسانية مثبتة قبل حدوثهما،ولا يمكن لأي قوة أن تمنع الحدوث وغالبا ما يكون وراء هذا النظام الصارم سبب واحد ميتافيزيقي.وهذه الجبرية موجودة في الحكمة الصينية التي تقول بوجود قوى خلفية تربط بين جميع الموجودات والحوادث الطبيعية.أما الفكر الإغريقي ،فلا نجد فيه الجبرية للأهمية الفائقة التي أعطاها اليونان للعقل وأحكامه، والمنطق وقوانينه"[4].

ومما لا شك فيه أن الباحثين،والفلاسفة والدارسين وجدوا صعوبة جمة في تحديد مفهومي الجبر والاختيار،ومن ثمة تحديد مسؤولية الإنسان عن أفعاله ونتيجة لصعوبة هذه القضية،"انقسم الناس إلى آراء ثلاث،فرق أول يؤمن بجبرية الإنسان، وأن الإنسان أن مجبور في أفعاله ،لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار.وفريق ثان يؤمن بحريته في خلق أفعاله ،وأن الإنسان حر فيما يفعل سواء أفعال حسنة أو قبيحة،وعليه يتوجب عليه الثواب أو العقاب ، ومن أشهر هذا الاتجاه المعتزلة،وتولد عن الرأيين السابقين ،رأي نعَت بالتوسط بين الجبر والاختيار، وحاول كل فريق أن يدعم موقفه بآيات من القرآن الكريم،أو بأحاديث نبوية يفسرها حسب الخلفية التي تتلاءم

---

(1) سورة البقرة ،الآية164.

(2) سورة الحج ،الآية46.

(3) سناء خضر،النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين ،المرجع السابق ،ص244.

(4) المصدر نفسه ،ص ن.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وموقفه من المسألة"[1].

كانت هذه إضاءة لابد منها،لنقف عند رؤية شاعـــرنا أبي العلاء،وخاصة وأن رؤيته عصية عن الحصر أحيانا، فهو"كما يعلن موقفه الجبري ،يعلن موقفه الاختياري، ويدعو إلى التوسط في المسألة ،وأحيانا أخرى لا يعلن شيئا فيكتفي بالحياد ، وعدم الخوض في المسألة" [2].

من ذلك قول أبي العلاء [3]:

إنْ سألُوا عن مذهبِيْ فهو خشيةٌ من الله لا طوقًا(*) أبتُ ولا جبرَا

إنّ مما يستشف من البيت الشعري، أن أبا العلاء يقرر توقفه الأخذ بغير خشية الله،"غير مدفوع إلى ذلك بموقف خاص في قضية الجبر والاختيار"[4].

لكن بالمقابـــل نجد الشـــاعر، تصورات أخرى تناقـــض هذا التصـــور،ومنه فإن رؤاه قد تعـــددت في هذا الموضوع،والنصوص التي يستقى منها جبرية أبي العلاء كثيرة،من ذلك ثنائية الحياة والموت،اللتان لا دخل للإنسان فيهما ،يقول أبو العلاء [5]:

ماباختيَاريْ ميلاديْ ولا هَرَمِيْ ولا حَيَاتِيْ فهل لي بعد تَخْيِيرُ

وكثيرا ما يتردد هذا المعنى في شعره ،فيقول [6] :

ولمْ نحلِلْ دُنيَانا اختيـــارًا ولكن جَاء ذاكَ على اضْطِرَارِ

إن مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا لم يكن باختياره ولا بإرادته،بل جيء به مضطرا ،ثم إن رحيله عن هذه الحياة الدنيا ،سيتم دون استشارته وأخذ رأيه،يقول أبو العلاء [7]:

ولمْ أَرَد المنية باختيَارِي ولكن أوشَكَ الفتيانُ سَحْبِي

ولو خيرتُ لم أتركْ محليْ فاسكنُ في ضيقِ بعدَ رحبِ

ويقول كذلك [8]:

إذَا نَزِلَ الِمْقدَارُ لم يكن للقَطَا نُهوضُ ولا للمخدراتِ إباءُ

فالشاعر يعترف،بعدم قدرته على رد كثير من أمور،إذا كانت قدرا مقدورا،ولا تتأبى ذلك حتى على اللواتي في خدورهن.

---

(1) ينظر :حسن عبد العليم يوسف،أثر النزعة العقلية في الشعر العباسي، المرجع السابق ،ص ص88،89.

(2) المرجع نفسه ،ص90.

(3) شرح اللزوميات،نظم أي العلاء المعري ،تح :سيدة حامد وآخرون،المرجع السابق،ج1،ص348.

(4)حسن عبد العليم بوسف ، المرجع السابق ،ص 90.

(5) شرح اللزوميات،نظم أي العلاء المعري ،تح :سيدة حامد وآخرون،المرجع السابق،ج2،ص81.

(6) المرجع نفسه،ج1،ص404.

(7) المرجع نفسه ،ج1،ص1128.

(8) المرجع،ج1،ص34.

(*)الطوق :القدرة؛أي الاختيار والإرادة.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

إنّ مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا لم يكن باختياره ولا بإرادته،بل جيء به مضطرا ،ثم إن رحيله عن هذه الحياة الدنيا ،سيتم دون استشارته وأخذ رأيه،يقول أبو العلاء [1]:

ولمْ أَرَد المنية باختيَارِي ولكن أوشَكَ الفتيانُ سَحْبِي

ولو خيرتُ لم أتركْ محليْ فاسكنُ في ضيقِ بعدَ رحبِ

ويقول [2]:

وجمعنا بقدرِ وافترقنَا بمثلهِ وتلكَ قبورُ بدأتْ في مَسَاكِنِ

فالشاعر يقر أن كل شيء بقدرالله تعالى،ومشيئته ، فهذه قبورنا نسكنها بدل منازلنا،ويردد معنى البيت الشعري السابق،فيقول [3]:

بالقضاءِ البليغِ كُنَا فَعِشْنَا ثم زلنَا وكل خلقٍ يزُولُ

وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى:﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾[4].

وقوله تعالى:﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[5]. إن المعري أمام ثنائية الحياة والموت جبري خالص، يبدي ضعفه وعجزه عن اتخاذ أي قرار،أوردة فعل تجاههما،فالإنسان عاجز وليس له إلا التسليم.

كما تمتد جبرية أبي العلاء إلى أمور كثيرة منها،المرض والعجز والرزق وغيرها كثير،فلا حيلة للإنسان فيها،فهو عاجز عن رد أمور لا طاقة له بردها ،فيقول [6]:

سُبب الرزقُ للآنـــــام فما يقـــ ـــطعُ بالعجزِ ذلكَ التسبيبُ

وجَرى الحنفُ بالقضاءِ فما يســـ ـــلمُ ليثٌ ولاغزالٌ ربيبُ

ومرجعية أبي العلاء في نصوصه هذه ،ماجاء به القرآن الكريم وأحاديث ـ النبي صلى الله عليه وسلم ـ من معان، تثبت عجز الإنسان أما م إرادة الله تعالى،سواء كانت خيرا أو شرا ،يقول الله تعالى :

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[7].

إنّ جبرية أبي العلاء تنحصر في المسائل الغيبية التي لا قدرة للإنسان أن يعرف أسرارها وماهيتها،ومعرفة

---

(1)أبو العلاء المعري ، اللزوميات ،ج1، ص128.

(2)المصدر نفسه ،ج 2،ص375.

(3)المصدر نفسه ،ج2، ص196.

(4)سورة الأعراف ،الآية 25.

(5)سورة الرحمن ،الآية 26.

(6)اللزوميات ، ج1 ،ص84.

(7)سورة يونس ،الآية 107.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ملابساتها ، من ذلك ثنائية الحياة والموت ،وما يصيب الإنسان من مصائب في الحياة الدنيا كالمرض والعجز،أما ما يتعلق بالجانب العملي الذي يتقرر عنه مصيره في الآخرة،فكان يرى أنه حر،له حق الاختيار في الإقدام على أي شيء يريد أن يفعله ،أو الإمساك عنه، يوجهه في ذلك عقله،باعتباره لديه قدرة على الاختيار.

ولقد أثبت أبو العلاء حرية اختياره عمليا،منافيا قوانين الطبيعة،فقد أمات شهواته،وقضى على لذاته ،وقطع نسله،فأكد إرادته على نفسه ،وبذلك ملك الحرية في أفعاله،وخير شاهد على هذا قوله[1]:

كَذِبَ امرؤُ نَسَبَ القبيحَ إلى الذيْ خلقَ الأنَامَ وخط في برْسَامِهِ

فالشاعر هنا يصرح باستحالة كون الله تعالى قد يجبر الإنسان على فعل السوء،ثم يعاقبه عليه،لأنه يعتبر ظلما،تعالى الله علوا كبيرا ،والشاعر يتره الله عن هذه الصفة،التي نزه الله تعالى نفسه عنها، وذلك في قوله تعالى :

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[2].

ويحمل أبو العلاء الإنسان المسؤولية على أفعاله،وأنه هو صاحب الذنوب الذي يرتكبه والدهر بريء من ذلك ،فيقول [3]:

فَمَا أذْنَبَ الدهرُ الذي أنتَ لائِمٌ ولكِنَ بنو حواءَ جارُوا وأذْنَبُوا

وعليه،فإن ما يمكننا أن نستنتجه،أن أبا العلاء،لا يتردد في أن يحمل الإنسان مسؤولية ما يأتيه من أفعال، استشعارا بمدى خطورة الأمر،كأن يركن الإنسان إلى السلبية في التعاطي مع أمور الحياة ،يقول شوقي ضيف :"إنما يأخذ(أي الشاعر) بالجبر في حياته ،وموته،ووجوده،فكل ذلك يحدث بقدرة الله تعالى ولا دخل لإرادة الإنسان فيه...أما في أعماله وأفعاله فهو حر مختارمثله مثل غيره ،بل قل مثل المعتزلة القائلين بحرية الإرادة الإنسانية..."[4].

وهكذا يتضح لنا الأمر أن الشاعر،يقر بحرية الاختيار في أفعاله،لأن الحياة الإنسانية تتطلب العمل والجهد من أجل استمرارها، وذلك على الصعيدين الديني والدنيوي.

وذهب آخرون إلى أن أبا العلاء توسط بين الجبر والاختيار ،وعلى رأسهم ،طه حسين الذي "يرى أن الإنسان عند "المعري" ليس مسؤولا كل المسؤولية عن سيئاته ،لأنه لم يبتكر أسبابها ، ولكنه في نفس الوقت نفسه ليس معفى كل الإعفاء من هذه السيئات ،لأن له عقلا يهديه.فمن الحق عليه أن يهتدي، وهو ملوم إذا لم يفعل .إذن فهو الجبر الملطف،الجبر الذي يعذر الإنسان بعض العذر ولكنه لا يعفيه من التبعات كلها .الجبر الذي يبيح "لأبي العلاء"أن يلوم الناس على آثامهم،ويأمرهم بالخير"[5].

ويقول في التوسط بين الجبر والاختيار [6]:

---

(1) أبو العلاء المعري،اللزوميات ،ج2،ص324.

(2) سورة فصلت ،الآية 46.

(3) شرح اللزوميات ، ج1،ص70.

(4) شوقي ضيف، فصول في الشعر ونقده ،ط2،القاهرة ،1977م،ص120.

(5) طه حسين،مع أبي العلاء في سجنه،ط14،دار المعارف،مصر،1989م،ص ص 57،84.

(6) اللزوميات ،ج،2،ص535.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ولعل ما يمكننا أن نستنتجه من البيت الشعري ، أنّ المعري كان متوسطا بين الجبر والاختيار،فهو يرى الجبر في مسائل يعجز العقل البشري أن يدرك أسبابها ومسبباتها،كالغيبيات ،أما الأفعال الإنسانية فهو مختار فيها"،معلنا خشيته من الله تعالى،ولعل هذه الرؤية العلائية متفقة تماما مع الرؤية الإسلامية"[1].

إنّ ما يمكننا أ نستنتجه من رؤية أبي العلاء الدينية والتي طالت العديد من القضايا ،هو البحث عن التدين الحقيقي ،كالتنسك والابتعاد عن مباهج الحياة والدعوة إلى الخير والحض على إصلاح النفوس والصدق في القول والعمل، وتجنب النفاق والزيف والتظاهر. ويرى أن من يتصف بهذه الصفات هو ضعيف جبان، يستر عجزه عن الجهر بالحقيقة والجرأة عليها بالنفاق والمواربة وإن أحوجه ذلك إلى الحلف الكاذب واليمين الغموس،فقال [2]:

أمسى النفاقُ دروعاً يُستجَنُّ بها من الأذى، ويُقوي سردَها الحَلِفُ

على أنّ ما كان ينكره أبو العلاء أشد الإنكار، أن معظم الناس قد حسبوا التدين مجرد عبادات جسدية وحركات بدنية، إذا أداها المرء فقد التزم بطاعة الله وحظي برضوانه، وهو غافل عن أن الغرض من هذه العبادات، ليس تكبيد الجسد ألواناً من التعب والنصب، وإنما هو السمو بالروح والارتقاء بالنفس والصفاء في العمل والإقبال على الخير،فقال [3]:

ما الخيرُ صومٍ يذوبُ الصَائِمُونَ لَهُ ولا صَلاَةٌ، ولا صَوفٌ على الجسدِ

وإنما هو تركُ الشَرِ مطرّحـــاً ونفضك الصَدْرَ من غلٍ ومن حسدِ

وفي موضع آخر من اللزوميات يؤكد هذا المعنى، ويبين أن الحكمة المرجوة تكمن في لجم النفس عن أطماعها المادية، وكفها عن أهوائها الدنيوية،فقال [4]:

سبحْ وصل وطُفْ بمكةَ زائراً سبعينَ لا سبعاً فلسْتَ بناسِكِ

جَهِلَ الديانةَ من إذا عرضتْ له أطمَاعه، لم يلفْ بالمتمَاسِكِ

وانتصارا لآرائه ومواقفه يطالعنا أبو العلاء في كثير من المواضع في شعره، بضرورة الأخذ بأسباب العلم والفهم، وتحكيم العقل في إدراك حقائق الأمور وتبصرها على الوجه الذي يسلح المرء بالقدرة على نبذ الجهل والخرافة والانحراف.

إنّ الدين في رؤية أبي العلاء قول وعمل، وفي ذلك يستحضر قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[5].

---

(1) سناء خضر ، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين ،المرجع السابق ،ص249.

(2)أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج2، ص 104.

(3)المصدر نفسه،ج1، ص272.

(4)المصدر نفسه ،ج2، ص165.

(5)سورة العصر.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

لقد استطاع النقاد قديما وحديثا تقييم أبي العلاء من كل النواحي عدا الناحية الدينية التي ما زال أكثرهم يتردد قبل إصدار حكمه عليه، فإما أن يتهم بالزندقة والكفر وإما أن يوصف بأنه من أشد الناس إيماناً بوجود الله تعالى، مستندين في ذلك إلى بعض شعره وأقواله،بأن الله حق وأنه لا ينبغي أن يشك أحد في وجوده، فيكفي لأن ننظر إلى الكون ونرى عجائبه لنؤمن بتلك القوة الالهية التي تسير أموره.

وقضية الإيمان بالله لم ينقسم فيها النقاد ذلك الانقسام، الذي انقسموه عندما يتطرق المعري إلى الإيمان بالملائكة والرسل والكتب المنزلة، وربما كان من يقف معه قد ينقلب ضده عندما يقرأ شعره في موقفه في "اللزوميات" خاصة، فقضية الإيمان عند المعري ليست قضية كتب وأنبياء وتعاليم، بل هي قضية إيمان بوجود الله فقط والتسليم له في كل الأمور، ويهاجم الأديان كلها؛ فإذا كان الإيمان واحد، لماذا كل هذه الطوائف والمذاهب؟ وقد سبب هذا الرأي فتنة عظيمة عند عامة الناس ،رغم أنه يؤمن بالرسول -صلى الله عليه وسلم- وكان يمدحه أحيانا ، ويقيم الصلاة ويحث على الزكاة، لكن كان كثيرا ما يبدي شكه من التعاليم التي جاء بها الإسلام ، ولربما نجد له عذرا، وأن سبب ذلك يرجع إلى حالات نفسية وتشاؤمية، كانت تعتريه في بعض الأحيان عندما يحس بالعاهة التي ألمت به، فينطق بأقواله دون تريث وتعقل. خاصة وأنه كانت له تلك الفرص، عندما حبس نفسه،و يطلق العنان لفكره بذلك، فدخل مؤمنا بكل التعاليم الدينية الصحيحة ، وخرج وهو لا يؤمن إلا بوجود خالق لهذا الكون هو الله، وهجر كل العقائد فأقر الإيمان بالله وحده، وسعى إلى ترك كل قبيح من قبائح الدنيا وملذاتها ،والأكثر من هذا لام نفسه على أنه خدع عقله بعض الوقت،حينما صدق أرباب الأديان،فقال[2]:

أَدينُ بِرَبٍّ واحِدٍ وَتَجَنُّبٍ قَبيحَ المَساعي حينَ يُظلَمُ دائِنُ

لَعَمري لَقَد خادَعتُ نَفسِيَ بُرهَةً وَصَدَّقتُ في أَشياءَ مَن هُوَ مائِنُ

نعم ،قد نحسن الظن بـ"المعري"حتى لا نظلمه، ونأخذه بحسن نية ،لكن والحق يقال،أن مما يلاحظ على شعره ،ازدواجية الرؤية، فتخاله من أهل الكرامات،كما ذهب إلى ذلك،حسين فتوح في كتابه:

"أبي العلاء المعري ودفع ما نسب إليه من الإلحاد والحيد عن الشرائع" أو كما ذهب ابن العديم في كتابه"أبو العلاء المعري،دفاع ابن العديم عنه".أو تراه ملحدا زنديقا في دينه واعتقاده ،كما ذهب الكثير من العلماء والفقهاء، كالإمام "السيوطي" في كتابه "التبري من معرة المعري"والزمخشري"،عندما اتهمه بمعارضة القرآن في"الكشاف".

وإلى الله ترجع الأمور.

---

(1) أبو العلاء المعري،اللزوميات ،ج2،ص339.

(2) المصدر نفسه،ج2،ص339.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

المبحث الثالث :الرؤية الاجتماعية

تقوم الحياة الإنسانية في عمومها على مجموعة من العلاقات الاجتماعية التي يحكمها مبدأ تبادل المنافع والحاجات؛والإنسان محكوم إلى مجتمعه،مرهون بتعاليمه،خاضع لقوانينه ونواميسه،لا ينفك عنه إلا القليل النادر،ولا ينقده إلا من كان يمتلك ناصية القوة والبصيرة النافذة.

عاش أبو العلاء في مجتمع مرَ بأحداث مختلفة ،أين تغيرت الحياة الاجتماعية، وتغيرت معها التصورات الثقافية،التي علقت بالإنسان العربي منذ فجر تاريخه ،ومرد ذلك فساد الحياة السياسية من جهة ، وتأثر البيئة العربية بروافد بشرية حملت عقلية اجتماعية وثقافية وحضارية وفكرية مختلفة المنابع والرؤى،حيث سادت"نزعة التحرر من قيود المجتمع، والتحلل من العادات العربية القديمة، والسنن الموروثة، ومن ضوابط الدين ونواهيه، والانطلاق في حرية مسرفة"[1].نحو الإسراف في الموبقات بشكل لم تعرفها الحاضرة العربية.

لم يقف الأمر عند الاستهتار السلوكي ،بل تعدى ذلك كله إلى نزعة عبثية عند الكثير من الشعراء والكتاب،بعد أن اختلط الكثير من العرب بغيرهم من الأمم والثقافات الوافدة،التي حملت عادات وأفكار دخيلة،عما اعتادته الحياة العربية البسيطة.كل هذه العوامل ساهمت في تشكيل رؤية أبي العلاء، كيف لا؟ وهو يرى البلاد العربية،وما آلت إليه من الضعف والاضطراب،والفساد الأخلاقي،فراح يتصدى لكل المفاسد والرذائل ،التي لا تقرها نفس حرة أبية،تواقة إلى معاني العدل والإحسان والرقي الاجتماعي.

لقد كان أبو العلاء واضحا صريحا وجريئا في كشف هذه المفاسد والآفات الاجتماعية،برؤية تتسم بالشمول وبطريقة مباشرة ،وكانت رؤيته هذه تعرية لمجتمع الزيف والتضليل والخداع والاستهتار بالقيم. "فقد أنكر أبو العلاء هذه الحياة من حوله، ودعا إلى إصلاح المجتمع وتغيير المنكر فيه"[2].

أولا :الآفات الاجتماعية

1-الظلم: الظلم يضر الفرد ويهلكه ويوقعه في كل ما يكره، والظلم يخرب البيوت العامرة، ويجعل الديار دامرة، الظلم يبيد الأمم ويهلك الحرث والنسل،ولكثرة الظلم في واقع شاعرنا،أضحى طبعا ، وكل من يتلمس العدل، لا ينتصر له،ولن يأخذ حقه،والرعية المغلوبة على أمرها،هي التي تقع عليها أعباء هذا الظلم .

قال أبو العلاء [3]:

الظلمُ في الطبعِ فالجارات مرهَقَةٌ والعُرفُ يستُر والميزانُ مبخُوسُ

والطرفُ يضربُ والأنعام مأكلةٌ والعير حاملُ ثقلٍ وهو منخُوسُ(*)

استبد ظلم الحكام بالرعية ،فكان هجوم المعري عليهم ،عنيفا وصريحا في كثير من الأحيان ،ويرفض النفاق

---

(1) محمد زكي العشماوي، موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ،(د ط)ار النهضة العربية ،بيروت ،1981،ص65.

(2) مصطفى البشير قط،قراء ات في النقد والأدب،ط1،مكتبة الآداب،القاهرة، 2008،ص82.

(3) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج 2 ،ص25.

(*) نخس الجمل أصابه الناخس ، وهو ضاغط يصيب البعير في إبطه ، أو جرب عند ذنبه. (ينظر لسان العرب،المصدر السابق ، مادة نخس).

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

السياسي،فيقول [1]:

لم أرضَ رأيَ ولاة قوم لقبُوا ملكا بمقتدرٍ وآخر قَاهـــــرَا

ويقول [2]:

مـــلَّ المقامُ فكم أعاشـــــرُأمـــةً أمرت بغـــــير صَلَاحِها أمراؤُهَا

ظلمُوا الرعيَّةَ واستاجزُوا كيدهَا فعـــدُوا مَصَالحَها وهمْ أجـــراؤُهَا

ثم إن هؤلاء الحكام يسوسون رعيتهم بغير عقل، ويظنون أنفسهم الأقدر على تسيير شؤون الرعية ،فيرثي حالهم،ويتأفف لواقعهم، ومن الزمان الذي أضحى فيه ساسة الأمة من الوضعاء،فيقول[3]:

يسوسُون الأمورَ بغيرِ عقـــلٍ وينفُذ أمـــرُهمْ و يقالُ ساسَـــة

فأفٍّ من الحياةِ وأفٍّ مـــــني ومـــن زمـــنٍ رياستُه خساسَة

إن الملوك جميعا في نظر أبي العلاء مستبدون،ففي كل بلد حاكم كأنه شيطان،فقال [4] :

ساسُ الأنامُ شياطينٌ مسلطةٌ في كلِ مصر من الوَالينَ شيطانُ

2- انتشار الجهل والفقر:بالرغم من بلوغ الحضارة الإسلامية قمة ازدهارها العلمي والأدبي في عصر أبي العلاء ،إلى أن معالم التراجع في انتشار التعليم وشيوعه قد وضحت للعيان وكان ذلك التراجع محصلة للقلاقل والفتن والاضطرابات التي يموج بها العالم الإسلامي، هذا بالإضافة إلى فساد الحياة السياسية والاجتماعية، مما جعل الجهل والفقر سمة هذا العصر، فالغلبة للقوة والبطش ،فلا عجب وأن ينشد أبو العلاء [5]:

ولما رأيـــتُ الجهلَ في الناسِ فاشيَا تجاهلـــتُ حتَى ظُنَ أني جَاهْلُ

فوضا عجبًا كم يعيْ الفضل ناقصُ ووأسفًا كم يظهرُ النقصُ فاضِلُ

ويعلق أبو العلاء على انتشار الفقر وتحامل المجتمع على الفقير،فيقول[6]:

كنت الفقير فخطئت لك صبب ورزقت إثراء فقيل موطس(*)

وقال[7]:

والفقرُ موتٌ غيرَ أنَّ حليفَهُ يُرجى له بتموُّلٍ انْشَـــارِ

3-شرب الخمور: لقد انتهج الإسلام خطة حكيمة في معالجة الأمراض الاجتماعية،وبين أنّ الخمر أم الخبـــائث ،فحرمها بصورة قطعية ، وإن جاءت على مراحل ، وانطلقت حكمة التشريع الإسلامي من أضرارها الاجتماعية

---

(1) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج1، ص367.

(2) المصدر نفسه ، ج1،ص44.

(3) المصدر نفسه،ج2،ص31.

(4) المصدر نفسه ،ج2،ص345.

(5) أبو العلاء المعري،ديوان سقط الزند،دار صادر للطباعة والنشر،بيروت ،لبنان،1963م،ص194.

(6) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،المصدر السابق ،ج2،ص29.

(7)اللزوميات ،المصدر السابق ، ج1، ص324.

(*) الموطس : المصيب فيما يفعله.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

والصحية والمادية والروحية، إلا أن دواعي الضلال وتزيين الشياطين حدا بضعاف النفوس إلى معاقرة بنت الحان، ولقد سجل أبو العلاء نقده للخمر وشاربيها في أكثر من موقف وبشدة ،حيث قال[1]:

إيـــاكَ والخمرَ فهي خالبةٌ غالبةٌ خابَ ذلك الغلبُ
خابيـــةُ الراح ناقه حفلتْ ليـــسَ لهَا غيرَ باطل حلبُ
أشأمْ من ناقةِ البَسُوسِ على الناس وان نيل عندها الطلبُ
أفضل مما تضمه كؤوسَـــهَا ماضمنته العساسُ والقلبُ

ومن ذلك قوله[2]:

لا أشربُ الراحَ ولو ضمنتْ ذهاب لوعاتِي وأحـــزانِي
مخـــففًا ميزانَ حلميْ بهـــا كأنَّني مـــا خفَّ ميـــزانِي

وقوله[3]:

توخَ بهجـــر أم ليـــلَى فإنـــهَا عجوز أظَلَت حي طسم ومأرب[*]
دبيب نمالِ عنِ عَقَارِ تخالـــــها بجسمكَ شر من دبيبِ العقاربِ
عدوةٌ لب سلت السيف واعتلت به القوم إلا أنها لم تضـــــاربِ
تعري الفتى من ثوبه وهو غافِلٌ وتوقع حرب الدَّهر بين الأقاربِ

4-الغدر: الغدر ضد الوفاء بالعهد ، وهومن رذائل الأخلاق التي لا يخلو منها مجتمع إنساني ويمثل الطعنة في الظهر تأتي من حيث لا تحتسب وتزداد الفاجعة حينما يكون بين الأصدقاء والأصفياء ومن مأمنه يؤتى الحذر ،وفيه يقول أبو العلاء [4]:

تهوي الثُريا ويلينُ الصـــفا من قبل أن يوجد أهل الصفاءْ
واستشعرَ العاقلُ في سُقمهِ إنَّ الردَى مما عناه الشفاءْ
قد فقدَ الصدقَ ومات الهدى واستحسنَ الغدرُ وقل الوفاءْ
واعتـــرفَ الشيخُ بابـــنائه وكلـــهم يُنذِرُ منه بانتفاءْ
رباهُم بالرفِقِ حتى إذاشبُّـــو عـــنا الوالدُ منهم جـــفاءْ

5-الغش: *الغش ظاهرة تدل على سلوك غير سوي ، سلوك منحرف وغير أخلاقي ، وهو سلوك مرضي يهدف إلى تزييف الواقع لتحقيق كسب مادي أو معنوي ،أو من أجل إشباع بعض الحاجات أو الرغبات لدى الفرد والغش من الناحية الأخلاقية مثله مثل الكذب والرياء والخداع*، بجانب المعنى الخاص للغش وهو التدليس في البيـــع

---

(1) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج1،ص87.
(2) المصدر نفسه ،ج2،ص572.
(3)المصدر نفسه ،ج1، ص147 ص ص 116،117.
(4)المصدر نفسه ،ج1،ص60.
(*) أم ليلى والعجوز:من ألقاب الخمر :طسم:قبيلة من العرب البائدة،مأرب: مدينة باليمن.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

والشراء وأمور التجارة فإن معناه العام ينسحب على التدليس و النصب والاحتيال في كافة شؤون الحياة ومختلف نواحيها. يقول أبو العلاء في محترفي هذه النقيصة المشينة [1]:

قد عمنا الغِشُ وأزرىَ بنا في زمنٍ أعــوز فيه الخــصوصْ
إن نُصِحَ السلطان في أمرِه رأي ذوي النُصح مثل الشصوصْ
وكلُ من فوق الثرى خائنٌ حتى عدول المصر مثل اللصوصْ

ويقول[2]:

قد كثر الغِشُ واستعَانَتْ به الأشداء والأركهْ
فما ترَى مسكة مجال إلَا وَقَدْ مزجتْ بسكهْ(*)
ولم يجدْ ســائل عليــمَا يزيل بالموضحاتْ شكهْ

6-النفاق:النفاق مرض اجتماعي يتفشى في المجتمعات حينما تختفي معاني العدل والإحسان ،وعندما يخفت صوت الحق ويعلو صوت الباطل.كان أبو العلاء يدعو إلى الخير ويحض على إصلاح النفوس ،والصدق في القول والعمل ،ويكره النفاق والزيف والتظاهر،ويرى أن من يتصف بهذه الصفات ،هو ضعيف جبان يستر عجزه عن الجهر بالحقيقة والجرأة عليها بالنفاق والمواربة،وإن أحوجه ذلك إلى الحلف الكاذب واليمين الغموس ،فقال[3]:

أمسَى النفاق دروعاً يُستجنُ به من الأذى ويُقوي سردهَا الحلفُ
تُــرجي الحياة اذا كانت مودعةً وقلَ خيرُ حياةٍ حشوهَا كلفُ

إنّ المعري يبلور رؤيته الحكيمة،لما يحذر من شرب الخمر،كونه يترك أضرار صحية خطيرة ،هي شبيهة بسم العقارب ،ثم إن عاقر الخمر،لا يدرك النتائج الوخيمة المترتبة عند تعاطيها ،كما أنها توقع العداوة والحروب بين الأقارب مدى الدهر.

7- ضعف الدين و اصطناع التديّن: أصيب الكثيرون من أبناء العصر بحب الدنيا حبا ألهاهم عن الآخرة، فسعوا إلى التكالب على الثروة والجاه. وكان أثر ذلك وبيلا على الدين والاستخاف بشعائره، وعلى الأخلاق التي أصابها الكثير من الفساد . فهو يرى الدين قد أصابه الضعف حتى اضمحل يوما بعد يوم.فقال [4]:

أخلتَ عَمُودَ الدينِ في الأرضِ ثابتاً وفي كل يومٍ يضْمَحِلّ على مَهْلِ

---

(1)أبو العلاء المعري ، اللزوميات ،ج2،ص66.
(2) المصدر نفسه ، ج2،ص161.
(3)المصدر نفسه،ج2،ص 104.
(4)المصدر نفسه ،ج2، ص219.
(*) السكة :العملة،الأرك:الضعفاء،المسكة:واحدة المسك :الطيب المعروف،مسكه:نوع من الطيب المصنوع يغش به المسك.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وقد وصل هذا الاضمحلال إلى حد إهمال الشعائر،فقال [1]:

قَدْ أصبـــحَ الدينُ مضمحِلاً وغيّرت آيَـــة الـــدُهُـــورِ
فـــَـــلَا زكـــاةٌ ولا صـــيامٌ ولا صـــلاةٌ ولا طهـــــورِ
واعتاضَ جلّ النكاحِ قـــومٌ بنسوةٍ مـــالهـــا مـــهـــورِ

كره أبو العلاء الذين يتخذون المبادئ والعقيدة وسيلة للوصول إلى مكاسب شخصية،الذين يضللون العامة بجهلهم وقلة تبصرهم ،ثم هم يفعلون بخلاف ما هم به يأمرون، ويعتبرهم مسؤولين عن فساد المجتمع،فهم في نظره مرائين جهلة،فقال[2]:

رويدكَ قد غررتَ وأنت حرٌّ بصاحبِ حيلة يعظ النساءَ
يحـــرم فيكم الصَهباءَ صبحا ويشربها على عمدٍ مســـاءَ

ويقول في أحد المتدينين[3]:

بخيـــفة الله تعبدتَـــنا وأنتَ عين الظالم اللاهيْ
تأمرنا بالزُّهدِ في هذه الدنيا وما همكَ إلَا هِيْ

ويقول أيضا[4]:

توهمتَ يا مـــغرور أنك دين عليَّ يمـــينَ الله مالـــكَ دينُ
تسير إلى البيتِ الحرامِ تنسكَا ويشكوك جار بائس وخدينُ

والمعري يتصدى لهذه الآفة ،برؤية دينية تقوم على التذكير بالله الذي يرى ويسمع ،والتذكير بوعده ووعيده وعقابه والرجاء لثوابه وعلى التذكير بالموت والقبر والحساب والجنة والنار، تنبيها للغافلين وزجرا للاهين وحثا لهم على التزود بالعمل الصالح استعدادا للموت وما بعده،فقال[5]:

اذكرْ إلهكَ إن هببتَ من الكري وإذا اهممتَ لهجعةٍ ورقادِ
احذر مجيئكَ في الحسابِ بزائفٍ فالله ربّكَ أنقدُ النقـــــادِ

وهو يحث على الاستكثار من العبادة ويقول[6]:

اركع لربك في نهارك واسجدِ ومـــتى أطقتَ تهجّداً فتهجّدْ

---

(1)أبو العلاء المعري ، اللزوميات ،ج1،ص295.
(2)المصدر نفسه ،ج1، ص ص 50،51.
(3) المصدر نفسه ،ج2،ص434.
(4) المصدر نفسه ،ج2،ص342.
(5) المصدر نفسه ،ج1،ص287.
(6) المصدر نفسه ،ج1،ص265.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ويقول أيضا[1]:

ادأبْ لربكَ لا يلومك عـــاقـــلٌ في سجنِ هذي النفس أوإدآبِهَـــا

ويدعوإلى التزود من التقوى، في قوله [2]:

تقواكَ زادٌ فاعتقد أنّـــه أفضلُ ما أودعتهَ في السّقاءِ

ويدعو المؤمن إلى استغفار دائم من الذنوب ،فهو أجدر من أن يشغل لسانه بلغو الكلام،فقال [3]:

وشغل فمٍ يستـــغفر الله ذنبـــهُ أحقٌّ بهِ من ذكرِ زينب أوجملْ

8- **التنجيم والشعوذة**:اهتم الإنسان منذ أن وجد نفسه على هذه البسيطة، باستقراء الغيب ومعرفة المجهول،أملا في تحصين نفسه من مخاطر المجهول والاطمئنان على المستقبل والرغبة في الأمان، وسلك في ذلك الســـبيل طرقـــا متعددة ،كرصد النجوم ومعرفة الطوالع وقراءة الكف وما أشبه ذلك من وسائل، حتى لجأ إلى طرق منافية للعقل والتفكير الصحيح، وأصبح هذا الباب مدخلا للدجالين والمشعوذين على مر التاريخ، ومع أن علم الغيب مما استأثر الله سبحانه بعلمه ،إلا أن الأنفس لم تزل تواقة إلى استقرائه، ومن هنا جاءت سخرية أبي العلاء بمرارة من هـــؤلاء الضعاف العقول ،الذين لم يزالوا يترددون بين منجم ومشعوذ، فقال[4]:

لقد بكرتَ في خُفها وازارها لتسأل بالأمرِ الغريرَ المُنجمَا

وما عندهُ علمٌ فيخبرها بـــه ولا هو من اهل الحِجاَ فيرجمَا

يقول غداً او بعده وقعُ ديمة يكون غياثاً ان تجودَ وتَسجُمَا

ويوهِمهمُ جُهالَ المحـــلة أنـــه يظلُ لاسرار الغيوب مُترجمَـــا

ويقول [5]:

سألتْ منجمها عن الطفلِ الذي في المهدِ كم هو عائشٌ من دهرهِ

فأجابَـــهَا مائة ليأخذ درهمـــاً وأتـــى الحِمامُ وليدها في شهرهِ

9-حب المال والحرص عليه : المال زينة الحياة الدنيا ويؤكد هذا ،قوله تعالى: ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾[6].والإسلام يذم أن يسيطر المال على قلب الإنسان وهواه فيتخذه هدفا وغاية، ويرى فيه خير مطيه للمؤمن لوأخذه بحقه ووضعه في حقّه. فالمؤمن يلتمس المال من وجوهه المشروعة، ويتحرى فيه الحلال، ويطلبه بنفس عزيزه راضية.

---

(1)أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج1،ص 133.

(2) المصدر نفسه ،ج1،ص 59.

(3) المصدر نفسه ،ج2،ص221.

(4) المصدر نفسه ،ج2،ص295.

(5) المصدر نفسه ،ج1،ص409.

(6) سورة الكهف ،الآية46.

كره أبوالعلاء المال وذم جمعه ،لأن كل مايجمعه الإنسان،ينتقل إلى غيره بعد موته،فقال [1]:

وكم جَمع النــفَائس ربّ مالٍ فــلمّا جدّ مــرتحلاً ذراهَا

وهذه الآفة الاجتماعية في عصر المعري، أدت الى ظلم اجتماعي كبير وهوسوء توزيع الثروات والأمــوال، فالأموال ليست موزعه توزيعا عادلا والحصول عليها عسير ،فهناك أناس يتضورون جوعا، بينما جيرانهم يشكون ألم البطنة ومن الناس من ينال فوق حاجته بأدنى سعي وأيسر جهد ،ومنهم من لاينال حاجته إلا بالكد والتعب أولاينالهم لها أبدا. فهويشارك الناس في حل هذه المشكلة الاجتماعية، فيتصور الحلول لتلك الأزمات الخطيرة التي تهدد كيان المجتمع وروح الدين القويم. فإذا كان هناك مثل هذا الظلم الاجتماعي، فالواجب تأدية الزكاة ،ولوأن الناس أخرجوا أموالهم لما كان هناك محروم ،ولما حدث هذا التفاوت الاجتماعي بين الناس ،فقال [2]:

وأحسبُ الناسً لوأعطوا زكاتهمْ لمارأيتُ بني الأعــدام شاكينَا

وأبو العلاء يرى الحرص هو الدافع إلى طلب المال وطلب الدنيا.فيقول [3]:

نهاهم عن طلاب المال زهــدٌ ونادى الحرصُ ويبكم اطــلبوهُ

فألقَــاها إلى أسمــاع غُــــثرٍ إذا عرفوا الطّريق تنكّــبوهُ

سَعُــوا بين اقترابٍ واغترابٍ يمــوت بغــّةٍ متغرّبــــوهُ

غــدوا قوتــاً لمثلهم تــساوى خبيــــثوه لديــه وطيّبوهُ

وأكد على خطر آفة الحرص وحب المال،على الأخلاق،فحيث توجد هذه الآفة تنتشر الشرور الخلقية .فقال[4]:

المالُ يسكتُ عن حقٍ وينطق في بطلٍ وتُجمع إكراماً لهُ الشيعُ

واقتران الطمع والحرص بالذلة والخضوع ،من المعاني التي ألح أبوالعلاء عليها ،في مجابهته لآفة حب المال لما شهده عصره من كثرة الجشعين، الذين أراقوا ماء وجوههم على عتبات الملوك والأغنياء ،ولاسيما الشعراء المتكسبون بشعرهم.فقال [5]:

فلسٌ ما اخترت إنّ أروح من يسار قارون عفةٌ وفــلَسْ

وهويحث على طلب رزق الحلال،فيقول[6]:

كلُوا طيّباً فالطيبُ فيما طعمتــمْ يبين على أفواهكمْ خالصُ الشُكرِ

وهو يذكر بأن الرزق مقسوم، والإنسان لا حيلة له في ذلك ، وإن كد وتعب،والحرص لا يزيد في رزقه

---

(1) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج2،ص428.

(2) المصدرنفسه ،ج2، ص 354.

(3) المصدرنفسه ،ج2، ص 415.

(4) المصدرنفسه ،ج2، ص 83.

(5) المصدرنفسه ،ج2، ص55.

(6) المصدرنفسه ،ج1، ص379.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

شيئا،فيقول [1]:

سيسليكَ أنّ القابضَ الرزقِ باسطٌ وأنّ الذي شادَ البِـنيّة هـادِمُ

ونراه يذم البخل ويحارب هذه، الخصلة السيئة التي ازدادت بين أبناء عصره، لأن المال الذي يهتم صاحبه بجمعه طوال عمره لن يستفيد منه،وما الفائدة فيه،فيقول [2]:

قرّ البخيلَ فأمسىَ من تحفظهِ يلقي علـى الجسمِ ديناراً فديناراَ

يشكُوالشتاءَ فيرجُوأن يدفّئـهُ أوقد صلاءَك ليس المسجد النارَا

ثانيا:المرأة في رؤية أبي العلاء

من القضايا المهمة التي اهتم بها الإسلام وأولاها عناية فائقة وأكد عليها بنصوص ثابتة حماية المرأة وبيـان حقوقها وإبراز مكانتها في المجتمع، فهذا القرآن العظيم يعتني بالمرأة أيما اعتناء ويبين مكانتها في الحياة ولقد بلغـت تلك المكانة مداها وغايتها حين جاءت تسمية بعض سور القرآن باسم المرأة كسورة مريم، وخصص في القـرآن قدر كبير من الآيات للحديث عن أحوال النساء في أمورهن الخاصة والعامة كما جاء في سورة البقـرة وسـورة النساء وسورة الطلاق وسورة المجادلة وغيرهن .

قال الله تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾[3].

هذا بعدمـا كانت المرأة في العهد القديم من سقط المتاع ، فكانت تباع وتشترى ، وكانت تعـد رجسا من عمل الشيطان .وفي شرائع الهند القديمة كانت تقول أن الوباء والموت والجحيم وسم الأفاعي والنار خير مـن المرأة ، وكان حقها في الحياة ينتهي بانتهاء أجل زوجها – الذي هو سيدها – فإذا رأت جثمانه يحـرق ألقـت بنفسها في نيرانه ، وإلا حقت عليها اللعنة . و في الجاهلية كانت سلعة تباع وتشترى، يتشاءم منها وتزدرى، تباع كالبهيمة والمتاع، تكره على الزواج والبغاء، تورث ولا ترث، تملَك ولا تَمْلِك، للزوج حق التصرف في مالها .

احتلت المرأة من الشعر حيزا لا بأس به، تغنى بها الشعراء وتفننوا في وصفها، حتى أخذت من الشعر مساحة ليست باليسيرة. ورغم أن هذا هو الأصل الذي يكشف عن نظرة مقدسة لها، إلا أن غرض الغزل تـأرجح بـين العذري المقبول، والحسي المبتذل في الشعر.

ولعلّ اللغة الواصفة لهذه الملامح التي شكلت وجه القصيدة في أي عصر من العصور، هي لغة أوجدها ذلك العصر، فرضت على القصيدة نسيجا معينا لتخرجها مطابقة لحالة المجتمع السائدة. فالمرأة في الشعر الجاهلي ليست المرأة في الشعر الأموي أو العباسي، فلا المكانة التي تتبوؤها هي نفسها، ولا حالتها في مجتمعها هـي ذاتهـا. وإن كانت تفرض حضورها على الشعر، فإنها تفرضه بالشكل الذي يختاره لها عصرها ويختاره الشاعر نفسه لها.

---

(1) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج2،ص272.

(2) المصدر نفسه ،ج1،ص364.

(3) سورة النساء ،الآية34.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وبالنظر إلى وضع المرأة في عصر بني العباس، وأي أثر كانت تتركه، وأي فساد كانت غارقة في وحله، تتباين آراء الشعراء حولها، فلم تعد المرأة تقتصر على تلك الممدوحة الجميلة التي تشبه القمر في الضياء والشمس في الإشراق، بل تعدته كل التعدي، فلن نعجب كثيرا إن خلت قصيدة من القصائد من ذكرها الذكر الحسن الذي يجلها ويرفعها مكانة سامية، ولن نعجب أبدا إن صار ذكرها مرافقا للهو والشرب والانحلال الأخلاقي، لتصبح المرأة هي الغواية والفساد متشكلة في قينة فاسقة، أو جارية لعوب.

إن أول امرأة تعلق بها الشاعر هي أمه ،التي كان لها الأثر الأكبر في حياته، و لقد أكثر من ذكرها بعد رحيله إلى بغداد، أي بعد وفاتها، وظل يذكرها حتى قضى نحبه.

والمطلع على شعر أبي العلاء، يلحظ أنه يكن عاطفة لأمه أقوى بكثير من عاطفته لأبيه، و لعل سبب ذلك ؛أنها كانت الأقرب إلى الشاعر الضرير الذي يحس بحاجة ماسة إلى يمد له يد العون، ويشاركه ويأخذ بيده ويقيه العثرات. فكانت أمه نعم المعين التي لم تكن لتبخل على ولدها بكل ما يريد، وقد عبر الشاعر عن مشقة الأم وآلامها ،حينما قال[1]:

العيشُ ماضٍ فأكرمْ والديكَ بهِ والأمُ أولَى بإكرامٍ وإحسانِ
وحسبهَا الحملُ والإرضاعُ تدمنهُ أمران بالفضْل نالا كلُ إنسانِ

ولشدة تعلق الشاعر بأمه، فقدحزن لوفاة أمه حزنا شديدا،ورثاها ،فقال [2]:

مضتْ وقد اكتهلتُ فخلتَ أني رضيعٌ ما بلغت مَـدَى الفطامِ
فيا ركب المنون أما رسولٌ يبلغ روحها أرجَ السلامِ
سألت متى اللقاءُ؟ فقيل حتى يقوم الهامدُون من الرجامِ
فصرفنيْ فغيرنيْ زمانُ سيعقبنيْ بحذفٍ وادّغامِ
كفانيْ ريّا من كل ريٍّ إلى أن كدتْ أحسبُ في النعامِ
سقتكَ الغادياتُ فما جهامٌ أظل على محلك بالجهامِ
وقطر كالبحار فلستُ أرضى بقطر صَاب من خلل الغمامِ

هذا الموقف الأول لأبي العلاء،وهو موقف يتسم بشدة العاطفة تجاه المرأة التي هي أمه،أما الموقف الثاني،فيتمثل في نقمته على المرأة ،بل راح يشوه صورتها ويخدش كرامتها،حتى أنه انصرف عن الزواج و لم يرتبط بها،لموقفه من الزواج أولا،ولتجنبه الإنجاب ثانيا.فالمرأة في نظر أبي العلا ء شر،ولكنه شر لا بد منه، وقد أكد هذا في كثير من شعره .

إنّ موقف المعري السلبي من المرأة هو نتاج موقفه السلبي من الدنيا برمتها ، ورؤيته هذه ما هي إلا محاولة للتخفيف من مشاعر الإحباط التي كانت تلازمه. ونوع من الدفاع عن نفسه المقهورة بالإخفاق، لتعويض ما فاته

---

(1) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج2،ص380.

(2) أبو العلاء المعري، سقط الزند ،ص ص 39،40.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

مما حرمته الحياة من ملذات بسبب عاهته البصرية. فكان بهذا الشعر الناقم الناقد يبلسم أزمته النفسية ويصدُّ عن روحه برودة العزلة، وواقعه المرير.

عاش المعري ضريرا لا يبصر الحال ببصره، لكنه أبصر الشناعة والبشاعة كلها بعين بصيرته، فآثر أن ينأى بعيدا عن المرأة، وعن الوحل الذي لطخت نفسها بطينه.فيقول [1]:

ألا إنَّ النساءَ حبالُ غيٍّ بهنَ يضيعُ الشرفُ التليدُ

ويقول [2]:

ودفنُ الغانياتِ لهنَّ أوفَى من الكللِ المنيعةِ والخدورِ

وهو يرى أن طبيعة المرأة فاسدة،ويؤكد أن النساء ناقصات عقل،وطبعهن الحمق،فيقول [3]:

إنا الرجالَ إذَا لم يحمها رشدُ مثل النساءِ عراهَا الخلفُ والخلفُ[*]

وقد صرح في مواطن من شعره،بأنه يوافق على وأد البنات وأن الموت خير للفتاة من الحياة،فمن ذلك قوله [4]:

إن الآوانس أن تزور قبورهَا خير لَها من أن يقالَ عرائسُ

كما لا ينبغي على الرجل أن يرد عليهن السلام ،إذا أشرن إليه بالسلام،لأنهن طرق إلى الغي والفتنة،وهن لا يكتفين بالوسامة الطبيعية نبل يتلمسن الوسامة بالخضاب،فيقول [5]:

ولا ترجعْ بإيمـــاء سلامـــًا على بيض أشرْنَ مسلماتِ
أولات الظلم جئن بشر ظلم وقد واجهْنَنَا متظلماتِ
فوارسُ فتنـــة أعلام غـــي لقينك بالأساورِ معلماتِ
وسامٌ ما اقتنعن بحسن أصل فجئنك بالخضاب موسماتِ
رأين الوردَ في الوجنات خيما فغادين البنان معنمـــاتِ
وشنَّفـــنَ المسامع قائلـــات وكلمن القلوب مكلماتِ

ولا يرى المعري حاجة في تعليم المرأة العلم ،ويكتفى بتعليمها الغزل والنسج ، وإذا تحجج الناس في تعليم المرأة بالصلاة فإن المعري يرى أن قصار الصور تجزيء عن طوالها.فيقول [6]:

علموهن الغزلَ والنسجَ والردنَ وخلُوا كـــتابة وقراءةَ
فصلاةُ الفتاةِ بالحمدِ والإخلاصِ تجزي عن يونسَ وبراءةَ

---

(1) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج1،ص234.
(2)المصدر نفسه ،ج1، ص400.
(3)) شرح اللزوميات،ج3، ص386
(4) اللزوميات ،المصدر السابق،ج2،ص28.
(5) المصدر نفسه ،ج1، ص177.
(6) المصدر نفسه ،ج1، ص52
(*) الخلف(بضم الخاء وسكون اللام)عدم الوفاء بالوعد، والخلف (بضم الخاء واللام) جمع مفرده أخلف أي أحمق.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

تمتكَ الستر بالجلوسِ أمام الستر إن غنتْ القيـــانُ وراءَه

وإذا أرادت المرأة أن تأخذ العلم فلا تأخذه إلا من عجوز مرتعش يداه قد بلغ من الكبر عتيا ، ليس له غرض في هذه الحياة .فيقول [1]:

ليأخذن التلاوةَ من عجوزٍ من اللَاتي فغرن مهتمـــــــاتِ

يسبحنَ المليكَ بكل جنحٍ ويركعْن الضحَى متأثمـــاتِ

ويقول[2] :

ولا يدنين من رجل ضريرٍ يلقنهـــنَّ آيا محكماتِ

سوَى من كان مرتعشًا يداه ولمتهُ من المتنعماتِ

حتى ولو كانت المرأة من بنات الأغنياء فإن الوظيفة الحقيقية لها غزل الصوف.فيقول [3]:

والغزلُ والردنُ للغوانيْ شيئان عدَا من الجزالَةِ

والشمسُ غزالةُ ولكـــن خففت الزَاى في غزالَةِ

ويقول [4]:

إن نشأتَ بنتك في نعمةٍ فألزميها البيت والمغزلاَ

ذلكَ خير من سوارٍ لهَـــا ومن عطايَا والد أجزلاَ

والمرأة سبب الفتنة في المجتمع ، فيقول [5]:

ويتركنَ الرشيدَ بغيرلبٍ أتـــين لهديه متعلمَاتِ

والمرأة من شأنها ارتكاب الآثام باختيارها ، فإذا ما عوتبت كان ردها السكوت خداعا ومكرا. فيقول[6]:

تقلدن المآثم باختيـــــــار أوانس بالفريدِ مقلـــــداتُ

إذا عوتبن في جنفٍ وظلمٍ أبتْ إلا السكوت مبـــلداتُ

---

(1) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج1،ص181.

(2)المصدر نفسه ،ج1، ص181.

(3) المصدر نفسه ،ج2، ص206.

(4) المصدر نفسه ،ج2، ص211

(5) المصدر نفسه ،ج2، ص180.

(6) المصدر نفسه ،ج1، ص155.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

والمعري يخاف على المرأة من الاجتماع بالرجال حتى في الحج ، فإنه لا يأمن عليها منهم ، ولذلك (نهى المرأة عن الحج وعن شهود الجماعات) ولا فرق في ذلك بين العجوز والصبية ،فيقول [1]:

أقيمي لا أعدُ الحجَ فرضًا على عجزِ النساءِ ولا العذارَى

ففي بطحاءِ مكةَ شر قــوم وليسُوا بالحماةِ ولا الغيارَى

والمعري في أمر الزواج متناقض فهو يراه نافعا للمرأة لأنه يخفف عنها أعباء الحياة ، كما أنه يحذر الرجل من الزواج ويراه ضار له ،فيقول[2]:

واطلبْ لبنتكَ زوجًا كي يراعيهَا وخوفْ ابنكَ من نسلٍ وتزويجِ

وإن كان لا بد من الزواج فليكن من عقيمة ، وإذا كانت عند الرجل امرأة عجوز فإنه لا يستبدلها بأخرى أصغر منها ، إن كانت أقل جمالا فإنها أقل عيبا ،فيقول [3]:

إذا شئتَ يوما وصلةً بقرينةٍ فخير نساءِ العالمينَ عقيمهَا

ومن ذلك قوله[4] :

إذا كانتْ لك امرأة عجوزٌ فلا تأخذْ بها بَدَلًا كعابَــا

فإن كانتْ أقل بهاءَ وجــهٍ فأجدر أن تكونَ أقلَ عابَا

لا يقف المعري عند هذا الحد،بل نجده يستنفر كل طاقاته،من أجل التحذير من المرأة العروس،والولد ، فيقول [5] :

عروسُك أفعى، فَهَبْ قربَها وَخَفْ من سليلِكَ، فهو الحنشْ!

ويحسد من أسعده ربه بالعقم، كي لا يلد،فيقول [6]:

أرَى ولدَ الفتَى عبئاً عليهِ لقد سَعِدَ الذي أمسَى عقيمَا

ومن المسائل الاجتماعية التي شغلت بال المعري ونقدها في شعره، مسألة تعدد الزوجات،فيوصي بأن يحتفظ الرجل بزوجته الأولى، ولا يستبدل بها أخرى،فيقول [7]:

إذا كانت لك امرأةٌ عجوزٌ فلا تأخذ بها أبداً كعابَا

فإن كانت أقلَّ بهاءَ وجهٍ فأجدِر أن تكون أقلَّ عابَا

---

(1) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج1،ص61.

(2) شرح اللزوميات،ج1، ص325.

(3) أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج2،ص273.

(4) المصدر نفسه ،ج1، ص103.

(5) المصدر نفسه ،ج1، ص 62.

(6) المصدر نفسه ،ج2، ص300.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ويعيب عليه الزواج المتكرر،فيقول [1]:

ومَنْ جمع الضَّراتِ يطلبُ لذةً فقد بات في الإضرار غيرَ سديدِ

ويهزأ منه،فيقول [2]:

تزوَّجَ بعد واحدةٍ ثلاثــاً وقال لزوجه يكفيكِ ربْعِي

فيُرضيها إذا قنعتْ بقوتٍ ويرجُمُها إذا مالت لِتِبْعِ

ومن جمع اثنتين فما توخَّى سبيلَ الحقِ في خمسٍ وربعِ

ويحثه على الاكتفاء بزوجة واحدة،فيقول [3]:

إذا كنْت ذا ثنتَيْن فاعدِلْ أو اتحدْ بنفسِك، فالتوحيدُ أولى من العدْلِ

وينصحه بالاكتفاء بزوجة واحدة، حرصاً على راحته،فيقول [4]:

وواحدةٌ كفتكَ فلا تجاوزْ إلى أخرَى تجيء بمؤلماتِ

ومن العادات الاجتماعية التي ذمها المعري، عادة ذهاب النساء إلى حمام السوق،فيقول [5]:

ولا تلجي الحمَّامَ قد جاء ناصحٌ بتحريمه من قبل أن يفسدَ الناسُ

تخافين شيطاناً من الجن مارداً وعندَكِ شيطانٌ من الإنسِ خناسُ

وخلاصة لما سبق،فإن أبا العلاء ،كان يدعو إلى الخير ويحض على إصلاح النفوس ويحث على الصدق في القول والعمل، ويكره النفاق والزيف ،لأن النفاق يهتك أستار الشرائع والفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها،وأن على الإنسان ألا تهبط به الأهواء والمطامع والشهوات وأن يبحث عن خلاصه بعيدا عن أباطيل هذه الدنيا وعذاباتها ،فيقول [6]:

هي العذابُ فجدُّوا في تَرَحُّلكم إلى سواها وخلُّوا الدَارَ إعذَابَا

أما فيما يخص المرأة، فقد أوقعنا في حيرة ،ما بين حبه لأمه واحترامه الشديد لها وامتنانه لرعايتها له ، وبين كرهه الشديد للمرأة و نفوره منها والتحذير منها،الأمر الذي جعلنا نتساءل عن هذا التناقض والتضاد في التفكير. أم هي رؤية شاعر خبر الحياة ،وتفسير ذلك أنه لم يكُ يُكِنُّ للمرأة مشاعر خالصة من كره أو عداوة ، بل إن هجمته العنيفة لم تكن على شخصها هي، لمجرد كونها امرأة ،وإنما هي الهجمة الغيورة على حالتها التي سادت في الزمن الذي كان هو فيه معها .أو لأنه كان متشائما حقا حد أنه نسي أن يرصد الخير والصلاح ، و لم يعد يرى فيما حوله إلا السواد والظلمة، مدعيا أنه بعزلته وشعره وفلسفته يكتب ما يعين البشر على الخروج من مدارات العمى والضلال.

---

(1) شرح اللزوميات ،ج1،ص468.

(2)) المصدر نفسه ،ج2، ص268.

(3)) المصدر نفسه ،ج2، ص92.

(4) المصدر نفسه ،ج2،ص182.

(5)) المصدر نفسه ،ج2، ص 14.

(6)) المصدر نفسه ،ج1،ص99.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

الفصل الثاني:

الأداة في شعر أبي العلاء المعري

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الفصل الثاني:الأداة في شعر أبي العلاء المعري

توطئة :

أخذت الدراسات النقدية الأدبية الحديثة بدراسة الأدب دراسة دقيقة متأملة،"تلغي النظرة التي تجزئ العمل الفني،فهي كالكائن الحي في اتصال بعضها ببعض الآخر وهذه الدراسة تعد الفن نتاجا عاطفيا مرتبطا بالمشاعر ونتاجا فكريا ينبع من العقل "[1].ولهذا اتجهت الأنظار إلى دراسة الأدوات الفنية ،لأنها تبرز وتنقل الفكر والعاطفة من خلاله.

يقول ابن طباطبا العلوي :"وللشعر أدوات يجب إعدادها قبل مراسه ،وتكلّف.فمن تعصت عليه أداة من أدواته، لم يكمل له ما يتكلفه منه ،وبان الخلل فيما ينظمه،ولحقته العيوب من كل جهة.

فمنها :التوسع في علم اللغة، والبراعة في فهم الإعراب، والرواية لفنون الآداب،والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم، ومناقبهم ومثالبهم[*]،والوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر والتصرف في معانيه،في كل ما قالته العرب فيه؛وسلوك مناهجها في صفاتها ومخاطباتها وحكاياتها وأمثالها ، والسنن المستدلة منها ، وتعريضها وإطنابها وتقصيرها، وإطالتها وإيجازها، ولطفها وخلابتها،وعذوبة ألفاظها،وجزالة معانيها وحسن مبانيها ، وحلاوة مقاطعها،وإيفاء كل معنى حظه من العبارة،وإلباسه ما يشاكله من اللفاظ حتى يبرز في أحسن زيٍّ وأبهى صورة.واجتناب ما يشينه [*]من سفساف الكلام وسخيف اللفظ ، والمعاني المستبردة، والتشبيهات الكاذبة، والإشارات المجهولة، والأوصاف البعيدة،والعبارات الغثة[*]،حتى لا يكون متفاوتا مرقوعا،بل يكون كالسبيكة المفرغة،والوشي المنمنم والعقد المنظم، واللباس الرائق،فتسابق معانيه ألفاظه،فيلتذ الفهم بحسن معانيه كالتذاذ السمع بمونق[*]لفظه،وتكون قوافيه كالقوالب لمعانيه، وتكون قواعد للبناء يتركب عليها ويعلو فوقها،فيكون ما قبلها مسوقا إليها،ولا تكون مسوقة إليه،فتقلق في مواضعها، ولا توافق ما يتصل بها، وتكون الألفاظ منقادةً لما تراد له،غير مستكرهة ، ولا متعبة،لطيفة الموالج،سهلة المخارج.

وجماع هذه الأدوات كمال العقل الذي تتميز به الأضداد، ولزوم العدل ،وإيثار الحسن، واجتناب القبيح،ووضع الأشياء مواضعها"[2].

وعليه،فإن ما يمكننا أن نستنتجه أنّ الأداة هي القالب الذي يسكب الشاعر فيه ،ثروته اللغوية ،ومفرداته،

---

(1) عبد الفتاح صالح،الصورة في شعر بشار بن برد،(دط)،دار الفكر، عمان ،1983م،ص5.

(2) محمد أحمد بن طباطبا العلوي،عيار الشعر،تح:عباس عبد الساتر،مراجعة :نعيم زرزور،ط2،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،2005ص10.

(*) مثالبهم :المثالب :العيوب والنقائص.

(*) يشينه : يعيبه،يزري به.

(*) الغثة : الهزيلة،المستقبحة.

(*) مونق:جميل ورائع.

وصوره وأخيلته،وقوافيه التي يعلو عليها البناء، ويكون كل هذا في أجمل صورة ،وأزهى حلة،لتمثل رؤيته خير تمثيل.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا ،أننا سندرس الأداة في أشهر ديواني أبي العلاء،ونقصد بهما :سقْط الزند واللزوميات،وسنختارمن الشواهد ، ما يدعم توجهنا في البحث.

"بدأ أبو العلاء حياته الفنية في الشعر بتقليد المتنبي ؛إذ كان يتعصب له تعصبا شديدا،وسقْط الزند ،هو خير ما يفسرهذا الطور من تقليده،إذ نراه ينظم على طريقة المتنبي السابقة،فهو يعتد بالغريب والشاذ في التراكيب،كما يعتد بالتصنع لألفاظ الثقافات المختلفة والتغني بالفيافي والحكم والأمثال والفخر بنفسه وذم الدهر والشكوى منه على نحو ما كان عند المتنبي،إذ كان يردد جميع النغم الذي سمعناه عنده.وكان لا يضيف إلى ذلك جديدا إلا عنايته الواسعة بالجناس،وما زال أبو العلاء على هذا الحال من التقليد حتى يتبين نفسه ،فيستقل عن المتنبي ويؤلف لزومياته، وهي طراز جديد،إذ نراها تتضمن نقدا للحياة الاجتماعية مع دعوة واسعة للزهد والتقشف ورفض الدنيا،يسوده في ذلك كله تشاؤم واسع،فالحياة كلها آلام ونصب وعذاب"[1].

وتعد قصيدته الرثائية الشهيرة (ضجعةُ الموت رقدةٌ)، من القصائد الإنسانية الرفيعة الخالدة.والتي مطلعها :

غَيْرُ مُجْدٍ في مِلّتي واعْتِقادي نَوْحُ باكٍ ولا تَرَنّمُ شادِ

وهذه القصيدة في رأي النقاد تتفوق على كل ما كتبه في اللزوميات من الناحية الفنية،ويعتقد الدكتور طه حسين"أن العرب لم ينظموا في جاهليتهم وإسلامهم، ولا في بداوتهم وحضارتهم قصيدة تبلغ مبلغ هذه القصيدة في حسن الرثاء"[2].

---

(1) شوقي ضيف،الفن ومذاهبه في الشعر العربي،ط11،دار المعارف،القاهرة،ج م ع،(دت)،ص381.

(2) طه حسين ،تجديد ذكرى أبي العلاء ، المصدر السابق ،ص199.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

المبحث الأول :اللغة

أجمع نقاد الأدب على" أن الشعر فن لغوي من حيث الأداة ، وهو نشاط اجتماعي من حيث الطبيعة والوظيفة"[1]، فالبناء الشعري في جوهره يقوم على أساس الفاعلية اللغوية، أي أن رؤية الشاعر،إنما تتحقق باللغة وذلك باستثمار المبدع للإمكانات اللغوية ومدى توفيقه في توظيف كلماتها وأنظمتها.

وعلى وتر اللغة الشعرية يعزف الشاعر، في محاولة منه لإضفاء طابع التميز والإبداع في نتاجاته الفنية من خلال المعرفة بماهية اللغة الشعرية تنظيرا وممارسة.

إنّ اللغة وسيلة لتقديم المعارف والخبرات الإنسانية"وهي تختلف عن لغة الحياة اليومية ؛لأنها تحمل دلالات العمل الفني وسماته الخاصة،كما تعكس شخصية الأديب،فليست وظيفة اللغة مجرد نقل أفكار أو التعامل مع حقائق ثابتة وإنما تتعامل مع عواطف الناس ومشاعرهم وتخاطب هذا الجانب فيهم ،وما من شك في أن المبدع يستعين باللغة لخلق عمل فني يكشف عن مشاعره"[2].كسائر الأدوات الفنية في سائر الفنون من رسم ونحت وغيره.

كما تعد اللغة مادة الفكر ،ومادة التفاعل النفسي والشخصي،ووسيلة لنقل الشحنات العاطفية،"إن اللفظ هو وسيلتنا الوحيدة إلى إدراك القيم الشعورية في العمل الأدبي،وهو الأداة الوحيدة المهيأة للأديب لينقل إلينا من خلالها تجاربه الشعورية،وهو لا يؤدي هاتين المهمتين إلا حين يقع التطابق بينه وبين الحالة الشعورية التي يصورها وعندئذ فقط يستنفذ – على قدر الإمكان–تلك الطاقة الشعورية ويوجهها إلى نفوس الآخرين"[3].

إذاً فإن لغة الشعر أي التركيب الشكلي أو بناء الكلمات والعبارات تختلف اختلافا جوهريا عن لغة النثر.واللغة باعتبارها أداة الفن الشعري،فهي في عصر شاعرنا استطاعت أن تستوعب كل جديد، من مولد ومعرب ومترجم ،وبذلك استطاع الكثير من الشعراء استشراف هذا الأفق الحضاري الجديد.وهذا ما نستشفه من قول يوسف الخال:"إنّ اللغة التي ترسخ فيها تراث شعري تقررت أنماطه وأشكاله تميل إلى الجمود فتمتنع عن الخلق وتقاوم التطور،ويكون على الشاعر الذي يتشوق إلى الأصالة والتجديد أن يشيح عن اللغة التقليدية ويحاول خلق لغة مستمدة من طبيعة تجاربه وتجارب الإنسان في عصره"[4].

اتكأ شعر أبي العلاء المعري على كثير من الأدوات اللغوية التي تهدف إلى تصوير رؤيته الكلية لواقع حياة مريرة، وعلى جميع الأصعدة، ولغة الشعر عند أبي العلاء لغة خاصة في بنائها وتركيبها،حيث التميز والإجادة، من خلال ابتكار المعاني وابتداع العلاقات بين الألفاظ والتراكيب، ومن ذلك الأساليب الإنشائية كالنداء والاستفهام وصيغتي الأمر والنهي، وأدوات العرض و التحضيض .وهذه الأساليب لا تحمل معناها الحقيقي في كل أشعاره،بل خرج كثير منها عن غرضها الحقيقي إلى أغراض بلاغية متنوعة ،ومن الصعب حصرها في ديواني أبي العلاء، وعليه فإننا سنشير إلى نماذج منها، متلمِّسين في ذلك، علاقتها برؤية أبي العلاء الفلسفية والدّينية

---

(1) وهب رومية ،شعرنا القديم والنقد الجديد ،(ط1)،سلسلة عالم المعرفة ،الكويت ، 1999 ،ص24 .

(2) سيد قطب،النقد الأدبي أصوله ومناهجه،(ط 8)،دار الشروق،ج م ع ،2003م،ص79.

(3) محمد عبد المطلب،البلاغة والأسلوبية،(دط)،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1984م،ص129.

(4) يوسف الخال،الحداثة في الشعر،(دط)،دار الطليعة ،بيروت،(دت)، ص19.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

والاجتماعية.ومن التراكيب كذلك الأفعال والتقديم والتأخير وطبيعة مفردات المعجم الشعري.

أولا:الأساليب الإنشائية

1- أدوات النداء:يقول أبو العلاء[1]:

يا أُمـــّةً من سَفاهٍ لا حُلـــومَ لها ما أنتِ إلاّ كضأنٍ غابَ راعيها

تُدْعَى لخَيرٍ، فلا تَصغَى له أُذُنـــاً فَما يُنادي لغَيرِ الشّرّ داعيـــها

إنّ فساد السياسة من فساد الحكام،في رؤية أبي العلاء ،فقد ساسوا الرعية بدون عقل ولا رشد، ولأن الأمر كذلك،نجده يستخدم أسلوب النداء (يا)،وهي أداة نداء للقريب والبعيد،عسى أن يوقظ ضمير هذه الأمـــة، التي أضحى أفرادها لا يستجيبون لدعوة لخير إذا دُعوا ، بل إنهم لينادون إلا للشر، وقد حاق بهم.

وأما قوله [2] :

أيا جسدَ المرءِ ماذا دهَاكَ؟ وقد كنتَ من عنْصر طيِّبِ

تُصَّير طهورا إذا ما رجعتَ إلى الأصل كالمطر الصبيبِ

نلاحظ في البيت الأول أن أبا العلاء لجأ إلى أسلوب النداء ممزوجا بالاستفهام،حيث استعمل الاســـتفهام لإيقاظ هذه الروح التي تسكن الجسد من الغفلة،ثم إن صدر البيت فيه تساؤل يدعو إلى الـــتفكير والتأمل،ولقـــد لعبت أداة النداء هنا دورتقريب الصورة الحقيقة لهذا الجسد والذي سيصير إلى طهور بعد مماته، ويعود إلى أصـــله كالمطر الصبيب.

2-أسلوب الاستفهام : يقول أبو العلاء[3]:

أمَا رأيتَ صروفَ الدهرِ غاديةً على القلوب، بتبغيضٍ وتحبيبِ

ومثل هذا الاستفهام،الذي غرضه التحقير ،أي التحقير من شأن الدنيا التي يتكالب عليها الناس،إنما يدعو به

أبو العلاء الناس إلى الاستيقاظ من غفلتهم، وأن الدّنيا إذا أسرتك يوما تحزنك أياما،وكل وقدر سهمه ،فيغـــدو تعيسا حزينا،أويمسي فرحا مسرورا.

وقوله [4]:

متى يقومُ إمامٌ يستفيدُ لنَا فتعرفَ العدلَ أجيالٌ وغيطانُ؟

كما هو معلوم أن مفهوم العدل مفهوم شاسع،يتفرع عنه كل الخصال الحميدة التي ينبغي أن يتصف بهـــا الحاكم والتي في رأي الشاعر كفيلة بتحقيق التوازن في المجتمع، وعلى جميع المستويات،وقد استخدم أداة الاستفهام (متى) لتحقيق آماله،فمتى الاستفهامية هنا تفيد الظرفية الزمانية المطلقة .

---

(1) أبو العلاء المعري،اللزوميات،ج2،ص423.

(2) المصدر نفسه ، ج1،ص140.

(3) المصدر نفسه ،ج1،ص126.

(4) المصدر نفسه ،ج2،ص345.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

3 – صيغتا الأمر والنهي :من ذلك قول أبي العلاء [1]:

وحـــاذر من الصهباء فهي عـــدوة من الصهب مشت في مفاصلك السكرا

أول ما يتبادر إلى الذهن هو خروج فعل الأمر (حاذر) عن حقيقة معناه الأصلي ،إلى النصح والوعظ والإرشاد،وذلك لتبيين مدى خطورة الموقف، وخطورة السكر،إزاء تعاطي الخمور والمسكرات.

ومن أمثلة جمع الأمر بالنهي ،قوله [2] :

تَوَخَّيْ جَميلاً، وافعَليهِ لحسنِهِ ولا تَحكُمي أنّ المَليكَ به يُجزي

فـــذاكَ إليهِ إنْ أرادَ فمُلْكُهُ عَظيمٌ، وإلاّ فالحِمامُ لَنـــا مُجـــزِ

ولأن مشاعر أبي العلاء مضطربة ، نراه يجمع بين الأمر والنهي في آن واحد ،ففي صدر البيـــت الأول نجد فعلي الأمر(توخي ،افعليه) وفي عجز البيت نجد النهي (لا تحكمي)،فهو متردد بين النصح والإرشاد والتوجيه وبين النهي عما يشين، غايته في ذلك الخوف عليها ، خاصة وأن المرأة في هذا العصر فســـدت فسادا عظيما.

وفي معالجتة لظاهرة اجتماعية أخرى،لجأ أبو العلاء إلى أسلوب الأمرمع النهي،فقال [3]:

طِباعُ الوَرى فيها النّفاقُ، فأقصِهِم وحيداً، ولا تَصحَبْ خليلاً تنافِقُه

ومـــا تُحسِنُ الأيّامُ أن تَرزُقَ الفتى وإن كان ذا حَظٍّ، صديقاً يوافقُه

إنّ أسلوب الأمرفي (فأقصهم) وأسلوب النهي في (لا تصحب)،يبرزان حقيقة رؤية أبي العلاء تجاه مجتمعه ، ولأن الدنيا ملئت نفاقا، وخلت من المخلصين الصادقين ،تراه ينصح بترك مصادقتهم،فذلك أسلم للمرء من تبعات هذا السلوك السيء.

ويقول [4]:

لا تَحلِفَنّ على صِدقٍ ولا كذِبٍ فإنْ أَبَيْتَ فَعَدِّ الحَلفَ باللَّهِ

وذلك مصداقا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: **"عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع عمر وهو يحلف بأبيه فقال: " إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت " متفق عليه** [5] .

استخدم أبو العلاء أسلوب النهي(لا تحلفنّ)،وذلك إعظاما للمولى جلّ جلاله،ومن جهة ثانية حتى لاتؤخذ القيم بالاستهتار ،فيزداد الوبال على المجتمع،سواء الحلف بالصدق أو الكذب.

---

(1) أبو العلاء المعري،اللزوميات،ج1،ص347.

(2) المصدر نفسه، ص6.

(3) المصدرنفسه،ص123.

(4) المصدر نفسه، ص433.

(5) محمد بن علي الشوكاني،نيل الأوطار،(ط1)،دار الحديث،مكة المكرمة ،ج1،1993،رقم الحديث:3821.

(6)

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

د- أدوات العرض والتحضيض[1]:

العرض :أسلوب من أساليب الطلب، وهو طلب برفق ولين ويفهم ذلك من سياق الكلام.

أحرف العرض:وهي (لو،ألا،أما). وهي حروف لا محل لها من الإعراب، مختصة بالفعل.فإذا دخلت على الفعل المضارع أفادت العرض.

استخدم أبو العلاء أدوات العرض،نظرا لأثرها على التشكيل اللغوي،وكذلك لتمتعها بدلالة زمنية متعددة،وهو الذي شد الرحال إلى أماكن عديدة، وفي معرض حديثه عن الخمرة وتنفيره منها ،استخدم (لو) التي أفادت التوكيد من(أن)الواردة بعدها،حيث أن العقل الراجح المميز والمدرك للنتائج المترتبة عن تعاطي الخمر،لا يتردد في ترك الخمر والبعد عنها،فهي لا تعود إلا بالشرور على متعاطيها،حيث قال[2]:

توَخّ بهجرٍ أمَّ ليلى، فإنها عجوزٌ أضلّتْ حيّ طسم ومارِبِ
دَبيبُ نمالٍ، عنْ عُقارٍ، تخالُها بجسمك، شرٌّ منْ دبيبِ العقاربِ
ولوْ أنها كالماءِ طلِقٌ لأوْجبتْ قِلاها، أصيلاتُ النُّهى والتّجاربِ

التحضيض: أسلوب من أساليب الطلب وهو طلب بقوة وشدة.

أحرف التحضيض:وهي (لولا ، لوما ، ألا ،هلّا) وهي حروف لا محل لها من الإعراب.مختصة بالفعل، فإذا دخلت على الفعل المضارع أفادت التحضيض.

كما وظف أبو العلاء أدوات العرض،وظف أدوات التحضيض،من ذلك (لولا) في بيان تأصل العداء بين الناس، مشيرا في ذلك تلميحا إلى قصة الأخوين قابيل وهابيل،حيث عدّ الفرقة وعدم الاستقامة إلى تأصل العداوة في النفس البشرية، فقال[3]:

المينُ أهْلَكَ فوق الأرضِ ساكنها فما تصادقُ في أبنائها الشيعُ
لولا عداوةُ أصلٍ في طِباعهِم كانت مساجدَ مقروناً بها البيعُ

ثانيا: التركيب:

يتمحور التركيب حول رصد الكيفية التي يتشكل بها النص ، وتراكيب الجمل في هذا النص.

وفي شعر أبي العلاء تشكيلات تركيبية ،كان لها الأثر الكبير في تفعيل رؤيته الكلية،والبوح عن فلسفته في الحياة، وبما أن اللغة العادية قائمة في أساسها على المتوقع الترتيب العادي والمتعارف عليه والتي نعتها رولان بارت"بدرجة الصفر؛ أي اللغة بصيغتها المعجمية لا الفنية"[4].فإننا نجد أبا العلاء يخرج عن المألوف والمتوقع ،وكان من الذين لهم قصب السبق في إيجاد لغة مغايرة،تعبيرا وتصويرا، والذي عبر الجاحظ عنه بقوله "إنّ الشيء من غير معدنه أغرب، وكلما كان أغرب،كان أبعد عن الوهم، وكلما كان أبعد عن الوهم ،كان أطرف، وكلما كان

---

(1) حسن عباس،النحو الوافي،(ط3)،دار المعارف،مصر،1985م، ص ص512،513.

(2) أبو العلاء المعري،اللزوميات،ج1 ، ص ص 116،117. .

(3) أبو العلاء المعري ، المصدر نفسه،ج2،ص86.

(4) رولان بارت،الدرجة صفر للكتابة،تر:محمد برادة،(دط)،دار الطليعة للطباعة والنشر، (دت)، بيروت،ص86.

أطرف،كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبدع"[1].

ورد في ديواني أبي العلاء تشكّيلات تركيبية عديدة، ويستحيل الإلمام بها في هذا المبحث ،لذلك سنقف عند عند تراكيب لغوية،تبين عن قدرة أبي العلاء اللغوية ،حيث استطاع أن يخرج اللغة من دائرة المعاني المعجمية الضيقة إلى المعاني الواسعة، من ذلك،التقديم والتأخير والأفعال والضمائر وأخيرا المعجم الشعري.

1- التقديم والتأخير:سخَّر أبو العلاء هذا النوع من التركيب للتعبير عن حالة التشاؤم ونبذ الدنيا وزخارفها، وفي قصيدته الرثائية الشهيرة التي أشرنا إليها سابقا،نراه يفتتحها بجعل الصدرفيها مكان العجز، ليحقق من خـــلال هذا القلب دلالة التشاؤم والنفي ،فيقول [2]:

غَيْرُ مُجْدٍ في مِلّتي واعْتِقادي نَوْحُ باكٍ ولا تَرَنّمُ شادِ

والأصل : **نوح باك ولا ترنم شاد**... **غير مجد في ملتي واعتقادي** ، فهو ابتداء بنكرة مسوغة، إذ أن الإضافة (باك) تسوغ الابتداء بالنكرة (نوح) .ولأن الشاعر يسيطر عليه حالة من التدفق الشعوري ، فجاءت السيطرة الشعورية حاكمة التركيب اللغوي ، وغدت العلاقة بين الفكرة والتركيب اللغوي ، أشبه بعلاقة التابع والمتبوع ؛ لأن التابع (التركيب اللغوي) الممثل في (غير مجد) ...، يتسق اتساقا حميما مع المتبوع (الفكرة) الممثل في التشاؤم .

والشاعر يعيش حالة الحيرة التي تسيطر عليه، وكأنما حالة التداعي بين مفردات التشاؤم (الموت) ،ومفردات السرور (الفرح) صفة متجذرة في القصيدة ، وفي البناء الداخلي للشاعر . ولكي يبين عن حالة حزنه، نراه يبـــدأ بيته الثاني بكلمة (شبيه) فيقدمها على صوت النعي ؛ لأنها تتسق مع حالة الاضطراب و الحيرة ، فهو يقول [3]:

وشَبِيهٌ صَوْتُ النّعيّ إذا قِيـــ ـــسَ بِصَوْتِ البَشيرِ في كلّ نادِ

ولكيلا يصور الدنيا تصويرا سلبيا ، وأنها لا تستحق العناء ، قدم التعب على المؤكد (كلها) والمؤكد (الحياة) على خلاف الأصل ، فهو يقول[4]:

تَعَبُ كُلّها الحَياةُ فَما أعْـــ ـجَبُ إلاّ مِنْ راغبٍ في ازْدِيادِ

والأصل : الحياة كلها تعب .

ولعل التقديم والتأخير في هذا البيت تعدى أن يكون في موقع واحد ، فهو يقدم (تعب) على كلها الحياة، ويقدم (كل) على الحياة، وكأن هذا العدول خروج على أصل الحياة ، وحتى لا يخرج الشاعر من مبدئه ورؤيتـــه المبنية على التشاؤم ، كان لابد له من الابتعاد عن البداية التفاؤلية الممثلة في كلمة (الحيـــاة) ، وأن يتجـــه نحـــو التشاؤم باستخدامه للفظ (تعب) ؛ لأن المقدم هو مركز الحديث والفكرة .

ويحاول المعري أن يخاطب الحمام ذوات اللون الأبيض بقوله ،لإبارز السوداوية، فيقول[5]:

فَتَسَلّبْنَ وَاسْتَعِرْنَ جَمـــيعاً منْ قَميصِ الدّجَى ثيابَ حِدادِ

---

(1) أبو عثمان عمر بن بحرالجاحظ ،البيان والتبيين،تح:عبد السلام هارون ،(دط) مكتبة الخانجي،ج1،1985م،ص89.

(2) أبو العلاء المعري،سقْط الزند ،ص7.

(3) المصدر نفسه ، ص ن.

(4) المصدر نفسه ، ص 8.

(5) المصدر نفسه ، ص 9.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

والتركيب في وضعه الأصلي هو: واستعرن جميعا ثياب حداد من قميص الدجى.

والتقديم والتأخير هنا له اعتباراته ، فقد قدم اللون على الشمولية ، إذ أن قميص الدجى يمثل اللون الأسود ، بينما تمثل ثياب الحداد شمولية المأساة والتقديم هنا تمثيل لعلاقة الجزء بالكل ، فالقميص جزء من الثياب .

ونراه يقدم الإنس على الجن في قوله[1] :

وهوَ مَنْ سُخّرَتْ لهُ الإنْسُ والجـــن بما صَحّ من شَهادَةِ صَادِ

فهو يقدم الإنس هنا دلالة السيطرة على الإنسان ؛ إذ أن الإنسان أضعف من الجن ، فقد زود الجن بقدرات ووسائل تجعلهم قادرين على فعل ما لا يقدر الإنسان عليه. ومن الجدير بالذكر أنه لم يرد في القرآن الكريم حديث عن تسخير الإنسان لسيدنا سليمان عليه السلام،وقد يكون قصد الشاعر هنا تصوير الضعف الإنساني.

2- الأفعال:

إنّ المتأمل في النص الشعري لأبي العلاء،يلفته الشكل الخارجي للغة التي تحمل جملة من الوظائف في بنيتها الفردية، (الكلمة) وبنيتها الكلية (التركيب)،فقد أوجد عالما من الكلمات ساهمت في تشكيل رؤيته الكلية.

تنوعت الأفعال في شعر المعري، من حيث زمنها وبناؤها وقوتها في تأكيد الفكرة، ولعل من أبرز تشكيلات هذه الأفعال، الفعل المبني للمجهول الذي ورد بصيغته: الماضي والمضارع، وأول ظهور لهذا النوع من الأفعال كان في قول الشاعر[2]:

خُلِقَ النّاسُ للبَقَاءِ فَضَلّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ للنَّفَادِ .

ويمكننا أن نستنتج أن أبا العلاء لما استخدم الفعل المبني للمجهول (خُلِق) زاد في اتساق البيت ومغزاه مع المغزى العام ورؤيته في ثنائية الحياة والموت،وأن هذه الدنيا إلى زوال، ولا استقرار لحالها وحال أهلها، ولا عيش إلا عيش الآخرة، فالدنيا لا بقاء لها ويدعم رؤيته بالبيت الموالي للبيت السابق ،إذ يقول [3]:

إنّما يُنْقَلُونَ مِنْ دارِ أَعْمَالٍ إلى دارِ شِقْوَةٍ أو رَشادِ

جاء الانتقال هنا من الدنيا إلى الآخرة ،بصيغة المبني للمجهول، فلا سلطة ولا فاعلية للبشر في خلق الحدث، حتى لو توفرت الفاعلية في إنتاج حدث،فهي من نعم الله على الإنسان ،من ذلك قول الشاعر [4]:

وَهْوَ مَنْ سُخِّرَتْ لهُ الإنْسُ والجِنُّ بِمَا صَحَّ مِنْ شَهادَةِ صَادِ

إذ إنّ التسخير قدرة هائلة، و لم تؤت لسيدنا سليمان بفعل ذاتي بل هو منحة وهبة ربانية.

وهو لا يثق بالبشر في العطاء والعلم والفائدة، وإن كان الأمر كذلك فلم التفاعل مع هذه الحياة التي لا تعطي و لا تجود عليه بما ينميه، فهو يقول[5]:

---

(1) أبو العلاء المعري ،سقط الزند، ص10.

(2) المصدرنفسه ، ص 8.

(3) المصدرنفسه ، ص ن.

(4) المصدرنفسه ، ص 10.

(5) المصدرنفسه ، ص 12.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وَإِذَا البَحْــرُ غَاضَ عَــنِّي وَلَمْ أَرْ وَ فَــلا رِيَّ بِادِّخارِ الثِّمَادِ

وحققت الأفعال بأزمانها المختلفة ما أراد الشاعر من المقابلة بين الموت والحياة، فها هو يســتخدم الأفعــال المؤكدة بحرف التحقيق (قد)، إذ يوضح سيرورة اللحود وصيرورتها بقوله [1]:

رُبَّ لَحْدٍ قدْ صارَ لَحْدًا مِــرَارًا ضَــاحكٍ مِــنْ تَزاحُمِ الأَضْدادِ

فعملية التحول واضحة ومرئية وملموسة لا يزيغ عنها إلا هالك، و لا ينكرها إلى جاحد، لا سيما أن هذه القبور كثيرة جدا وهو ما أفادته كلمة (ربّ) التي تفيد التكثير .

وهو ما يوضح حتمية الموت حتى للأنبياء المصطفين و أبنائهم ، ممثلا على هذا بسيدنا سليمان، رمز القــوة والسيطرة على الطبيعة ومقدراتها، فهو يقول[2]:

وَتَــوَخَّى لَــهُ النَّجاةَ وَقَــدْ أَيْــ ــقَــنَ أنَّ الحِمَامَ بــالمِرْصَادِ

ونراه أخرى يركز على ضعف الإنسان أمام الموت وعدم قدرته على مواجهة المنايا،فهو يقول واصفا المرثي[3]:

قَــدْ أَقَرَّ الطَّــبيبُ عَنْكَ بِــعَجْــزٍ وتَــقَضِّى تَــرَدُّدُ الــعُــوَّادِ

ويوضح الشاعــــر من خلال (قد) ضعف الفاعلية البشرية ، على مواجهة الموت ،فلا حيلة له إلى ذلك.

ثالثا:المعجم الشعري

يهتم المعجم الشعري بدراسة الألفاظ وبيان دلالاتها إذ يعد اللفظ أحد وسائل اللغة المهمة، ويعرف بأنه "المادة الأولى في بناء القصيدة الشعرية"[4] فضلا عن أنه يميز النص الإبداعي بمجموعة من الخصائص الفنية التي يتفرد بها، او يجب ان يتفرد بها كل مبدع في أية لغة وأي أدب" [5].وقد أولى النقاد العرب القدماء اهتمامهم بالألفاظ ووضعوا شروطا للفظ، ومن هؤلاء النقاد ، قدامة بن جعفر الذي اشترط في اللفظ"أن يكون سمحا، سهل مخارج الحروف، مع الخلو من البشاعة"[6].

يتخذ الشعر مسارا مختلفا مع أبي العلاء،لتلك الثقافة اللغوية التي يتمتع بها ، وقد يكون مرد ذلــك تعــدد مصادر ثقافته، واطلاعه على كثير من اللغات إضافة إلى لغته الأم،التي استطاع بها أن يلزم بها مــا لا يلــزم،والتي استمدها من بيئة الشعر العربي القديم والقرآن الكريم والتراث عموما.

والمتمعن للمعجم الشعري عند أبي العلاء ،سواء في ديوانه الأول سقْط الزند أو اللزوميات ،يجدهما يتمــيزان بغموض الألفاظ، وغرابتها ،لأنّ الزمن الذي عاش فيه الشاعر هو زمن التطور،هذا من جهة، ومن جهة ثانية إنمــا كان يتقصد هذا الغموض تقية،لحال الأوضاع السياسية المزرية.وكثيرا ماكان يعتمد على الإشارة والإيهام والإيماء

---

(1) أبو العلاء المعري، سقط الزند،ص7.

(2) المصدرنفسه ، ص11.

(3) المصدرنفسه ، ص ن.

(4) عبد القادر الرباعي،الصورة الفنية في شعر أبي تمام، (ط1)،جامعة اليرموك، إربد، الأردن،1980م،ص241.

(5) محمد مفتاح،تحليل الخطاب الشعري،إستراتيجية التناص،(ط1)،لمركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،1985م،ص58.

(6) قدامة بن جعفر،نقد الشعر،المصدر السابق،ص74.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

والإلغاز والتلميح.أليس هو القائل [1] :

وإنّي وإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُه لآتٍ بما لم تستطعْهُ الأوائلُ؟

إنّ إلقاء نظرة بسيطة على خصائص الألفاظ عند أبي العلاء ،يهدي بنا إلى القول بأن الألفاظ التي استخدمها ألفاظ وعرة غريبة،على نحو قوله [2]:

ترى الهِمَّ لاشيء سوى الأكل هَمَّهُ لهُ جسدٌ ما اسطاع حرًّا ولا برْدا
يُقلُّ العصـــا مستثقل الطِّمْرِ بعدها عـــلا فرسا واجتاب ماذيَةً سرْدا
ولا تتـــركُ الأيّامُ مردىً لظبيـــةٍ من الأُدْمِ تختارُ الكباث ولا المرْدا(*)

مما يلاحظ على المقطوعة تضافر الألفاظ الغامضة والمبهمة والغريبة،من ذلك:الهِمَّ،الطمر،اجتاب،ماذية، مردىً،الأدمُ،الكباث والمردا،وماكان لرؤية أبي العلاء أن تتحقق لولا هذه الألفاظ،رغم أن دلالتها تستعصي حتى أهل الفصاحة،وبالتالي مجال مقاربة معانيها كبيرا جدا لدى الباحثين ، لكشف ماهيتها وسر وعورتها.

ومن مثل ما سبق قوله [3] :

إذا ما عانَق الخمْسينَ حيٌّ ثَنَتـــْهُ السِّن عن عُنقٍ و جَمْزِ
وهْزَأ منه ربَّاتُ المغَـــاني كمـــا هزئت برُؤبة أم حمز
لقد كذبُوا الذين طغُـــوا فقَالوا أتى من ربنا أمرٌ برمزِ
ألم ترَني عرفتُ وعيد ربي أقلُّ تكلّمي وأطال ضـــمرِ
ومن لي أن أخرَّ على طِمِرٍ مـــن الدّنيا الخبيثةِ أو دِلْمَزِ(*)

فالشاعر لجأ إلى ألفاظ صعبة الفهم عصية القراءة،فقوله:ضمز ،ودلمز،وجمز، وطمر ، تجعل القارئ في حيرة من أمره،أية مرجعية معجمية كان يستقي منها أبو العلاء كل هذه الألفاظ؟والسؤال المطروح،هل الشاعر هنا بحكم نزعته العقلية كان يترع إلى مثل هذه الألفاظ،أم أنها من أسرار أبي العلاء،فهي بحاجة إلى الدراســـة مـــن جديـــد لاستخراج هذه الأسرار؟أم هو المعادل الموضوعي،تعويضا لحالة النقص الذي فيه ، نقصد العاهات والمرض؟

إنّ مما يتميز به المعجم الشعري لأبي العلاء،قلب وجوه المعاني ،لتأخذ في النهايـــة دلالات ،تحقـــق بغيتـــه ومراده،من ذلك قوله [4]:

شُرْبي علَى المقلةِ في مقْلتٍ وأكْلي المشرقَ بالمغربِ

---

(1) أبو العلاء المعري، سقط الزند،ص193.

(2) أبو العلاء المعري ، اللزوميات ،ج1،ص256.

(3) المصدر نفسه ،ج2،ص7.

(4) أبو العلاء المعري ، ج1،ص175.

(*) الهِم:الشيخ الفاني ،همه:شغله ،الطمر :الثوب البالي،اجتاب:لبس،الماذية:الدرع اللينة،السّرد:الدرع المنسوجة،مردا:مهلك،الدّمُ:م:أدماء:المشرب ولونها بيضاء،الكباث والمرد:ثمر الآراك.

(*) العنق :السيرالفسيح الواسع الخطى،الجمزة:عدو دون الشدة وفوق الهوينا ،رؤبة:ابم العجاج الرجاز المشهور،الطمر :الجواد الخفيف،الدلز:القوي الماضي،الضمز:السكوت.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

آثـــرُ عندي من طعامٍ لهمُ يشفعُ بالُمطرفِ والمطربِ

يا تَربَ الحالةِ! كلٌّ إلى التُربِ فجنَّبْ حَســـَد المُتْربِ

فالمتمعن لألفاظ المقطوعة،يجد نفسه أم لغز ،يجهد نفسه لكي يجد له حلا،وخلاصة الفكرة من الأبيات،أن أبا العلاء أراد أن يقول،أنه يكتفي بماء قليل،بمقدار محدود في مغاور مهلكة،ويخاطب أهل الثراء،الذين يأكلون اللحم ومـــا اشتهت الأنفس،أن كل ذلك إلى التراب ،وأنت أيها الفقير لا تحسدن،أغنياءً ،مآلهم هذا التراب.

ومما أضفى على المعجم الشعري عند أبي العلاء، بالإضافة إلى الغموض ،اللجـــوء إلى تـــزاحم المفـــردات المتشابهة في اللفظ، مما يحدث صعوبة في النطق،لتقارب مخارج الحروف،على نحو قوله [1] :

وهلْ يَنْفَعُ التّمسيكُ والمســـكُ تَحتـــهُ خَبيثٌ نبيثٌ والذي فوقَهُ المِسْكُ؟

إذا مَسَّكَ الإعدامُ فاصْبِرْ ولا تكُـــنْ جَزوعًا لكيْ يَرْدَى الفتى وبهِ مُسْكُ؟[*]

إنّ الألفاظ المتجانسة التي استخدمها أبو العلاء ، زدات المعنى تعقيدا، وابهاما وغموضا وانظر كلمة التمسيك،والمِسْكُ ،والمَسْكُ ومسَّك ومُسْكُ ،فكلها لها نفس مخارج الحروف ، وتكررت خمس مرات في بيتين من الشعر.

يقول أبو العلاء [2]:

وبلادٍ وردتُها ذنَبَ السَّر حان بين المهاةِ والسَّرحانِ

السرحان يقصد به الفجر،"والعرب تسميه ذنب السرحان ،لأنه مستدق صاعد في غير اعتراض، والسرحان الثاني الذئب، والمهاة البقرة الوحشية.أراد أنه سلك بلدا مقفرة من الأنيس ليس فيها إلا الذئاب والـــوحش وأنـــه وردها بعد أن سرى الليل كله،وأراد بالعين عين ماء أوردها ركابه،فهي ترمقها لشدة عطشها"[3].

إنّ معاني البيت مضمرة،تحتاج إلى الشراح، حتى يتسنى للقارئ أن يفهم ألفاظها ومن ثمة معانيها.

يزخر المعجم الشعري عند أبي العلاء،وخاصة في ديوانه سقط الزند ،بكم هائل من تقاطعات مع الشعر العربي القديم وتقاليده الفنية الموروثة، أين نجده يسير على خطاه ،ويقتفي أثره، من ذلك قوله [4]:

كأنَّ دُجاهُ الهَجْرُ والصُبحُ موعدٌ بوصلٍ وضوءُ الفجرِ حِبٌ مُماطِل

قطعتُ بهِ بحـــرًا يَعُبُّ عُبابُـــه ولـــيسَ لـــــه إلا التَّبلُّجَ ساحل

---

(1) أبو العلاء المعري،اللزوميات ،ج2،ص216.

(2) أبو العلاء،سقط الزند، ص95.

(3) شروح سقط الزند،تح:مصطفى السقا،عبد الرحيم محمود،عبد السلام هارون ، إبراهيم الإبياري،حامد عبد المجيد ،إشراف:طه حسين،(دط)،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ج1،1987م،ص ص 439،440.

(4) أبو العلاء المعري ،سقط الزند ، المصدر السابق ، ص195.

(*) التمسيك:التطيب بالمسك،المُسك : العقل.

البيت الثاني من شعر أبي العلاء،يتقارب وما ذهب إليه امرؤ القيس ،لفظا ومعنىً ،لمّا قال [1]:

وليلٍ كموجِ البحرِ أرخَى سدُولهُ عليّ بأنواعِ الهمومِ ليَبتَلي

لم يكتف أبو العلاء،بتوظيف ألفاظ ومعاني القدماء ،بل وظف أسماءهم وبعضا من أشعارهم ،فنراه يذكر للحطيئة،فيقول [2] :

قالَ دُنياكَ أم قدْ أجَابَ مَلِيكُهَا فيهِ من الأبْنَاءِ دَعْوَةَ جُرولِ

ويوظف اسم امرئ القيس ،فيقول [3] :

ألَمْ تَرَ لامْرؤئ القَيسِ والعَذَارَى إذْ مَالَ مِن تَحْتَهُ الغَبيطُ

وبيت آخر ، يقول فيه [4]:

كأنّ بريقاً لامْرئ القيْس لامعًا أغصّ جميعَ الشائِمينَ بَريقُ

ويخص لبيدا ،في حديثه عن تفاهة الدنيا ،فيقول [5] :

أيــنَ لَبيدًا وأيْــنَ أُسْرتُهُ تزْخَــرُ عندَ الضُحَى مَسَابِــلُهَا

ويقول عن عنترة[6]:

هلْ تَرَى نَاعيًا كَعَنْتَرة العَبْسِي يَبْكِي عَلَى مَنَازِلَ عَبْلَــة

وأتى على ذكر السليك والشنفرى ،فقال [7]:

تدبُّ فإن وجــدتَ خِلْــسةً فيــا للسَّليكِ أو الشَنْفــرَى

كما كانت لألفاظ الشعر الأموي والعباسي نصيبا في شعره ،من ذلك قوله [8]:

ومُضطغنٍ عليكَ وليسَ يُجْدي ولا يُعْدي على الشَّمسِ اضْطِغانُ

والقصد أن الحاقد عليه،كالحاقد على الشمس،لا يضرها ولا ينقص منها شيئا.وهــذا البيــت يشــبه بيــت المتنبي،عندما قال[9]:

من كانَ فوقَ محل الشَّمسِ موضَعهُ فليسَ يرفعُهُ شَيءٌ ولا يضَعُ

وجاء في شعره خصوصا (اللزوميات) منها ،الكثير من أسماء الشعراء،الذين عاشوا في العصر الأموي والعصر

---

(1) أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني،شرح المعلقات السبع،تح :عبد الرحمن المصطاوي ، ط2، دار المعرفة،بيروت ،2004م،ص12.

(2)أبو العلاء المعري ، اللزوميات ، ج2،ص241.جرول،اسم الحطيئة.

(3) المصدر نفسه،ج 2، ص71.

(4) المصدر نفسه ، ج2، ص140.

(5) المصدر نفسه ، ج2، ص214.

(6)المصدر نفسه،ج2، ص215.

(7)المصدر نفسه،ج1، ص85.

(8)أبو العلاء المعري، سقط الزند ، ص66.المضطغن:الحاقد،أيمن يحقد عليك لاينفعه حقده،لأنك شمس وهل ينفع الحاقد على الشمس حقده؟

(9) المصدر نفسه، ص48.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

العباسي الثاني،كما أنه لم يغفل العلماء في شعره،فقال [1]:

تولّى سِيبويه وجاش سيبُ من الأيّام فاختَلّ الخليلُ

وقوله [2]:

ماالنّحوُوالشعرُوالكلامُ وما مرقشُ والمُسيّبُ بن علسْ

كما استقى أبو العلاء المعري مادته اللغوية من القرآن الكريم، وهو إن دلّ على شيء ،فإنما يدل على حفظ أبي العلاء للقرآن الكريم وتأثره أيّما تأثر.ذكر عن فضل الله العمري في كتابه(مسالك الأبصار)أنه قرأ القرآن العظيم بالروايات على جماعة من الشيوخ"[3]،وكانت له بذلك قدرة كبيرة على استدعاء اللفظة القرآنية في شعره من ذلك قوله [4]:

كُنتَ مُوسى وافَتْكَ بنتُ شُعَيْبٍ غيرَ أنّ ليس فيكُم منْ فقير

إشارة إلى قوله تعالى :﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[5].

وقوله [6] :

وألْقَى الموتَ لم تَخِذِ المطايَا بحاجَاتي ولم تجفِ الجيَّادِ

نجد البيت مقتبس من قوله تعالى :﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[7].

أما إذا تحدث عن الأرض وفساد حال الناس فيها ، من سفك للدماء والقتل بغير حق ،نجده يستخدم لفظة القرآن الكريم (الدهان)،فيقول [8]:

وإذا الأرضُ وهي غبراءُ صارَتْ من دمِ الطَّعْنِ وردةً كالدِّهانْ(*)

كما نجد أبا العلاء يستخدم عبارة (الكتاب المنزل)،ليعالج بها حالة المتفيقهين الذين يدعون الفقه، وهم بعيدون كل البعد عنه، فيقول [9]:

وكمْ من فقيهٍ خابط في ضلالةٍ وحُجتهُ فيها الكتابُ المنزَّلُ

---

(1) أبو العلاء المعري،اللزوميات، ج2،ص211.

(2)المصدر نفسه،ج2، ص54.

(3) طه حسين وآخرون ، تعريف القدماء بأبي العلاء المعري ،المصدر السابق ،ص242.

(4) أبو العلاء المعري ، سقط الزند ، ص71.

(5) سورة القصص ، الآية 24.

(6) أبو العلاء المعري،المصدر السابق، ص80.

(7) سورة الحشر ،الآية6.

(8)أبو العلاء المعري، المصدر السابق ،ص97.

(9) أبو العلاء المعري، اللزوميات،المصدر السابق ،ج2،ص234.

(*) الدهان :صبغ أحمر

وذلك إشارة إلى قوله تعالى:﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [1].

كما استخدم أبو العلاء كلمة(**سجد**)،تعظيما لله رب العالمين وتوحيدا له، فقال [2] :

إذا مجدَّوا المريخَ مجدتُ واحداً له سجدَ المريخُ غيرَ ملُومِ

وذلك مصداقا لقوله تعالى:﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ﴾[3].

"وهناك مفردة أخرى كان لها تأثير كبير في شعر المعري، وموقعها الخاص ودلالتها الفنية،فقد ذكرها في أكثر من شاهد شعري، وهو بذلك يستخدم اللفظة ذاتها ولكن بمعان تتمثل مع الحالة الشعورية التي أراد بها الدلالة الموحية وهي مفردة (**غبر**)فهو يتحدث عن ذاك الإنسان الذي وجده مفقود المحاسن وهو باق،لا يزال على قيد الحياة يعيش في مجتمع مع أناس في دهر قد فقدت فيه المحاسن "[4].

يقول أبو العلاء معبرا عن هذا الحال [5]:

رأيتُكَ مفقودَ المحاسنِ غابراً مع النَّاس في دهرٍ فقيدِ المحاسنِ

في إشارة إلى قوله تعالى :﴿ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾[6].

وقد استخدم الشاعر العديد من الألفاظ من القرآن الكريم،منها:الجنة،النار،تبارك ،القادر،القدير،الحمد،يونس،أذن صلاة،فجر،الضحى، الجن والإنس،العصر، الفرقان،أم الكتاب،آية،سجد،تبارك،الحياة،الفتنة وغيرها كثير .

كما اتسم المعجم الشعري لأبي العلاء بتنوعه وتعدد مشاربه،فراح ينهل من التراث القديم،حيث كان يعمد إلى توظيف التراث الذي طالما اعتز به،فضمن معجمه الكثير من الأحداث التاريخية والشخصيات التي تركت بصمة في هذا التاريخ والتي صارت مضربا للأمثال،من ذلك قول الشاعر[1]:

إنْ رابنَا الدّهرُ بأفعاله فكلُّنا بالدهر مرتابُ

فاعفُ ولا تعتبْ عليه فكمْ أودى به عوفٌ وعتّابُ

حيث يشير أبو العلاء في البيت الثاني إلى شخصيتين تاريخيتن مشهورتين، وهما (عوف بن شيبان)و(عتّاب)جد عمرو بن كلثوم،وفي ذلك دليل على سعة اطلاعه على موروث أجداده،الذين كان يضرب بهم الأمثال، ألم يقولوا: "أوفى من عوف".

---

(1) سورة البقرة،الآية02.

(2) أبو العلاء المعري، اللزوميات ،ج2،ص307.

(3) سورة النحل ،الآية48.

(4)ريما عبد الكريم رجوب، أثر القرآن في شعر أبي العلاء المعري،رسالة ماجستير،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة البعث،سوريا،2009م.ص79.

(5) أبو العلاء المعري،اللزوميات،ج2،ص374.

(6) سورة الصافات ، الآية135.

لقد أحسن أبو العلاء استثمار الأحداث التاريخية،بما حوته من عبر ومواعظ،في تدعيم رؤيته،على نحو قوله[1]:

أصحابُ لَيْكَـــةِ أُهلكوا بظَهيرةٍ حَمِيتْ وعادٌ بالرياحِ الصَّرصرِ

هَونْ عليكَ أُنلتَ نصراً في الوغى أم قـــال جدُّكَ صادقاً لا تنصرِ

كسْرى أصابَ الكَسْرُ جابرَ ملكه والقصرُ كرَّ على تطاولِ قيصرِ

ويقصد بأصحاب (ليكة) قوم النبي شعيب عليه السلام،الذين أهلكوا في يوم حـــار،وقوم(عاد)كذلك الذين أهلكوا في يوم شديد البرودة،و(كسرى)و(قيصر)،كانا ملكين لدولتين عظيمتين وهما ،دولة (فارس) ودولة(الروم)، قبل مجيء الإسلام ،ثم سقطتا بعد مجيء الإسلام،ومفصد أبي العلاء من كل هذا،إذا كان العظماء من البشر قد أتى عليهم الموت،فهو طائلك أنت طال الزمان أو قصر.

كما نجده يثري معجمه الشعري من العصر الأموي والعباسي، من ذلك قوله [2]:

سلَكَ النَّجدَ في قطـــارِ المنايا قَطَـــريٌّ ونَجـــدةٌ وشَبِيـــبُ

أَيْنَ بُقراطَ والمُقلّدُ جاليـــ نوسَ؟هيهاتَ أنْ يعيشَ طبيبُ

يتحدث الشاعر في البيت الأول عن (قطري بن الفجاءة التميمي)الشاعر،و(نجدة بن عامر الحروري)و(شبيب بن يزيد)وكلهم من فرسان الخوارج وخطبائهم المفوهين، وأما(بقراط)و(جـــالينوس)،فهمـــا طبيبـــان يونانيـــان مشهوران، ورؤية أبي العلاء في ذكر من مثل هذه الشخصيات ،أن الموت سارٍعلى الجميع ،فلا ينجو منه أحـــد حتى ولو كان طبيبا.

إنّ ما نلحظه على استعانة أبي العلاء بالتراث العربي في إثراء معجمه الشعري،دليل على قدرته وتطويعه للكلمة ،وإخراجها في حلة جديدة ،تزيد من شاعريته،لأنه استطاع أن يصوغ المعاني القديمة صياغة مبتكرة ،تساير حـــال مجتمعه المضطرب، وتحقق له رؤيته العلميّة والنقدية.

إنّ بتعريجنا على اللغة عند أبي العلاء،سواء في توظيفه للأدوات أو التراكيب أو المعجم الشعري،نلاحظ أنه قد أعطاها أبعادا جديدة ،مزجها بنكهة فلسفية ونظرته الخاصة،يحتاج إلى الكثير من الأناة والتبصر،حتى يتسنى حسن الفهم والاستيعاب.

لم يوظف أبو العلاء أدواته اللغوية لمجرد إثبات مقدرته اللغوية،حتى ولو اشتهر في أسلوبه بوقوعه في غريـــب الألفاظ وغير المألوف من المصطلحات،فقد كان ذلك ما ميز شعره وجعل له طابعا خاصا،فأبو العلاء مشهود له قدرته على الإبداع،لواسع اطلاعه،والإحاطة بعلوم اللغة والإلمام بها.الأمر الذي سهل عليه العزف علـــى وترهـــا ليرسخ قيما معينة لحركة المجتمع،وليعبر عن حاجات عصره ومشكلاته وحيـــاة الانســـان وقضـــاياه الفكريـــة والاجتماعية،حتى قال فيه صلاح عبد الصابور:" إن أبا العلاء عندي هو ثلاثة أرباع الشعر العربي،والربع البـــاقي يتقاسمه أبو نواس وابن الرومي والمتنبي وغيرهم"[3].

---

(1) أبو العلاء المعري ، اللزوميات ،ج1، ص433.

(2) المصدر نفسه ،ج1، ص89.

(3) صلاح عبد الصابور،حياتي في الشعر،(دط)،دار العودة ، بيروت ،1969م، ص112.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

المبحث الثاني : الصورة في شعر أبي العلاء المعري

أولا: الصورة المفهوم والمصطلح

تتميز اللغة العربية عن اللغات العالمية الأخرى باحتوائها على طاقات تعبيرية كامنة بين عبارتها،لذلك يعمل الشعراء من خلال أشعارهم على كشف تلك الطاقات وتحريرها، للتعبير عما يكتنفهم من شعور في الحياة التي يعيشون فيها . فاللغة ليست تراكما للكلمات بل هي صورة تمثل معان مستقرة في الذهن عن الواقع الذي يعيش فيه هؤلاء الشعراء [1].

تعد الصورة من أهم الأدوات الفنية في العمل الإبداعي الشعري،وأحد مقومات جودته، وقد أولى لها الدارسون والنقاد عناية خاصة سواء تعلق الأمر بالقدامى أو المحدثين، وتعد معيارا فنيا في دراسة الشعر ونقده بوصفها قيمة جمالية تحددها أخيلة الشعراء، فقيس جمال أشعارهم من خلال النظر إلى الصورة الأدبية والشعرية، ومدى البراعة و الإبداع في رسم تلك الصور.وأصبحت ذروة العمل الشعري الحجر الأساس الذي يعتمد عليه الناقد أو الباحث في تقييم موهبة الشاعر، والكشف عن أصالته،وعمق تجربته الشعرية.

"فهي الشكل والقالب الذي يصب فيه الشاعر المبدع عواطفه و أفكاره ومعانيه ،إلا أن المحك الذي يحكم على أساسه في مدى فنية تلك الصور التي يرسمها الشاعر .يكمن في صناعة ذلك القالب الذي تشع منه المعاني والأفكار و العواطف،صناعة غير شعورية منه. فهي تركيب لغوي يتمكن الشاعر من خلاله من رسم معان عقلية وخيالية وعاطفية ، لإبراز تلك المعاني التي يريدها الشاعر ويصور تجربته من خلالها ، ليشعر بها المتلقي "[2].

وكان تحديد مصطلح الصورة تحديدا دقيقا يمثل مشكلة تواجه النقاد، ولازالت تخلق تضاربا في إدراك المفاهيم الحقيقية للألفاظ .ولعل من أهم المصطلحات التي شاع ذكرها في مجال النقد والأدب الحديث والمعاصر مصطلح "الصورة " الذي أخذ قدرا لا بأس عند النقاد العرب القدماء .

والصورة الفنية هي طريقة الأداة الفني التي يعتمد عليها الأديب في تشخيص أفكاره ومعانيه وإبرازها للمتلقين ، وتشمل بذلك الحروف و الألفاظ والتراكيب والموسيقى والخيال والمحسنات البديعية والوقوف على هذه العناصر وبيان تأثيرها على العمل الأدبي ، مع تطبيق مقاييس النقد والبلاغة في دراسة تلك العناصر [3].

وتستعمل كلمة "الصورة" للدلالة على ما له صلة بالتعبير الحسي ، وتطلق أحيانا "مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات ، فالصورة هي وسيلة الشاعر و الأديب في نقل فكرته وعاطفته معا إلى قرائه وسامعيه"[4].

"وما الصورة إلا ذلك التعبير الذي يهدف إلى تحويل غير المرئي من المعاني إلى المحسوس وتعويم الغائب إلى نوع من الحضور ، بما يثير الاختلاف ويستدعي التأويل بقرينة أو دليل والصوغ اللساني المخصوص الذي تتمثل المعاني

---

(1) رمضان يحي أحمد،الصورة الفنية في شعر الفتوحات الإسلامية(رسالة ماجستير)،جامعة غزة،2011،ص2.

(2) وحيد صبحي كبابة ،الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس،منشورات اتحاد العرب، 1999م،ص ص 9- 14.

(3) عبد اللطيف محمد السيد الحديدي،الصورة الفنية في شوقيات حافظ،(ط1)،دار المعرفة للطباعة والتجليد ،مصر ،1997م،ص94.

(4) صبح علي علي،الصورة الأدبية تاريخ ونقد،(ط1)،دار إحياء الكتب العربية،القاهرة،(دت)،ص3.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فيه تمثلا جديدا مبتكرا ، متفردا متميزا"[1].

إنّ الصورة قارب لغوي صغير يحمل القارئ ليوصله إلى المعنى العميق المتحرك الذي قصده الأديب أو الشاعر ليشاركه الإحساس الذي يشعر به فيقع التأثير وتبدأ الاستجابة بالقبول أو الرفض وفقا للمعنى الذي وصل إليه ، والذي أراده الشاعر أو الأديب .

وهي" تشكيل لغوي يكونها خيال الفن من معطيات متعددة ، تبدأ من العالم المحسوس أغلبها مستمد من الحواس إلى جانب الصور النفسية و العقلية ، ويدخل في تكوينها الصور البلاغية من تشبيه ومجاز ، إلى جانب التقابل والظلال و الألوان ، تنطلق من الألفاظ التي تكونها لتستقر إلى المعاني الإيحائية التي قصدها مؤلفها"[2].

1- الصورة في النقد العربي القديم :

يعرفها ابن منظور" الصورة في الشكل ،والجمع صُوَرٌ و صِوَرٌ ، وقد صوّر فتصوّر وتصوّرتُ الشيء توهمت صورته ، فتصور لي، والتصاوير والتماثيل"[3]،وعرفها الفيروز أبادي بأنها" الشكل والهيئة والخلقة" [4].

لا يمكن البدء أو التعرض لمصطلح "الصورة الفنية" دون الالتفات بلمحة عين على مفهوم الصورة في كتب البلاغة والنقد العربي القديم، ومعرفة مدى التفاوت بين النقاد والبلاغيين في تناولهم لهذا المصطلح،ولأن الموضوع على مساحة كبيرة،فإننا ستناول أبرز تلك الآراء عند بعض هؤلاء النقاد والبلاغيين.

كان لعمود الشعر الأثر الكبير في تقييد حرية الشاعر القديم والحد من انطلاق شاعريته ،فكان يسير ضمن حدود معينة لا يتجاوزها، الأمر الذي أدى بالشعراء الجاهليين إلى إتباع منهج خاص وتبعهم في ذلك التقليديون . "فكانت النظرة التقليدية تلتزم نهجا معينا في تصوير الأشياء ، وتصور اللغة ، ويعجب أصحابها بالنظم ، ويرعون بقوة الألفاظ والتنوع في السبك ، ويحيلون في أحداثهم على الصياغة والسبك أكثر مما يحيلون على التصوير والخيال ، ذلك أن النزعة التقليدية أشد ميلا إلى تقرير المعاني الحقيقية في صياغة خلابة ، وللصياغة الخلابة وفقا للبلاغة القديمة وسائل متنوعة ، بعضها معنوي وبعضها صوتي ، فالشاعر لا يعني نفسه في صورة وخيال ، فضلا على أن يجد في غموض دائم بل يعني نفسه ـــ غالبا ـــ ليكون خطيبا مفصحا ، يتحدث إلى السامعين ، ويحفل بمطالب المتعة الجماعية ، كأنّ التعبير المجرد أمرٌ سائغ في حدود الوظيفة التي ينهض بها الشاعر "[5]، فكان الشاعر القديم يؤلف قصيدته وفقا لنسق معلوم يدركه بالبديهة من مقوماته براعة الاستهلال وحدة البيت وفصاحة اللفظ ورصانته ، وموسيقاه ،" ويؤثر الشاعر التعبير المجدد القليل الصور الذي يقصد إلى إمتاع العقل أكثر مما يقصد إلى إمتاع الخيال ، فلا يغرق في الخيال ومخاطبة الفهم ، و الارتكاز على الإيجاز، وهكذا وجه النقاد اهتمامهم إلى الوضوح ، وضوح المعنى ولزوم بعده عن الغموض والإبهام ، فكان أن نظروا إلى التشبيه والاستعارة على أنهما عنصران هامان للتوضيح والإبانة وشرح المعنى

---

(1) صبح علي علي ،الصورة الأدبية، المرجع السابق ،ص4.

(2) علي البطل ، الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري (ط3)،دار الأندلس،لبنان ،1983م،ص30.

(3) ابن منظور،المصدر السابق ،مادة:(صوّر).

(4) أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، (دط)،دار الفكر ،بيروت ،لبنان ،1999م، مادة (صوّر).

(5) مصطفى ناصف ،الصورة الأدبية،(ط2)،دار الأندلس للطباعة والنشر ،لبنان ،1981،ص191.

وخاصة التشبيه .فعندما تحدثوا عن التشبيه جعلوا مهمته زيادة وضوح المعنى وتأكيده ، وذهبوا إلى أنه يوضح المعنى المقصود مع الإيجاز و الاختصار"[1].

حازت الصورة الشعرية بشكل عام اهتمام القدامى والمحدثين لما لها من أهمية في عام الشعر،وانطلقوا معرفين الصورة من وجهات نظر مختلفة ومن زوايا متعددة ، وآراء تتفق أحيانا وتختلف أحيانا أخرى منطلقين من تأثيرات عربية تراثية وأخرى أجنبية ، وبعضها توفيقي بينهما،"وتمثل الصورة الدال والمدلول ، وهما صورة الأشياء في الوجود"[2]، فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق ما أدرك منه، ومن ثم تصبح هذه الصورة حاملة للفظ المعبر لها."وقد ظن العديد أن الصورة مخلوق غريب بالنسبة إلى العرب أن شعرهم لم يحفل بها "[3]، لكن هي موجودة قدم الشعر ، والدليل على ذلك أشعارهم التي هي ديوان العرب .

ورد ذكر الصورة وبعض مشتقاتها على ألسنة بعض النقاد القدماء ، وأقدم من وقفنا على قول له في هذا الشأن الجاحظ الذي استعمل مادة الصورة في مجال الأديب بهيئة أخرى فقال عن الشعر :" المعاني مطروحة في الطريق يعرفها الأعجمي وإنما المزية في اختيار اللفظ و إقامة الوزن وإنما الشعر صناعة ونسج من التصوير ..."[4]. هذه المقولة التي أثارت جدلا بين الدارسين ، وأكثرهم ذهب أن الجاحظ من أنصار اللفظ .

وعليه فإنّ الشعر عند الجاحظ صناعة ونسج من التصوير، لأنّ الصناعة والتصوير يتطلبان امتزاج اللفظ بالمعنى وتطابقهما فنيا .

أما قدامة بن جعفر فقد استعملها نصا و اعتبرها الهيكل والشكل في المادة والمضمون فقال : "المعاني بمنزلة المادة الموضوعي ، والشعر فيها كالصورة ، كما يوجد في كل صناعة ولابد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة"[5]. في ضوء وقوفنا عند قول قدامة بن جعفر فإنه جعل الصورة في الذهن أو الصورة المتخيلة مقابلا موضوعيا في الخارج والصورة تكون بذلك الشكل الخارجي أو الإطار العام لهذا الشعر ، وحظيت الصورة التشبيه بعناية النقاد وغيرهم وتقديرهم عبر العصور ، والتشبيه هو إلحاق المشبه بأمر المشبه به، في معنى مشترك وهو وجه الشبه في أداة ،منها" الكاف وكأنّ وما فيما معناها"، لغرض فائدة ، والصورة هنا توقفت في "حدود التشبيه والمجاز ، وصورة حديثة تقف عند حدود الصورة الذهنية باعتبارها رمز"[6].

---

(1) أحمد مصطفى المراغي،علوم البلاغة،(دط)المكتبة المحمودية التجارية،مصر،1993م،ص219.

(2) صاحب خليل إبراهيم ، الصورة السمعية في الشعر العربي الجاهلي، منشورات إتحاد الكتاب العرب،لبنان 2000م، دمشق، ص111.

(3) عبد الإله الصائغ ،الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية.(ط1) ، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،1997م ص31.

(4) الجاحظ. البيان والتبيين .المصدر السابق ،ج3 ،ص132.

(5) قدامه بن جعفر ، نقد الشعر ، تح :محمد عبد المنعم خفاجي ،(دط)،دار الكتب العلمية،بيروت ،(دت)،ص4.

(6) علي البطل ،الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري، المرجع السابق ، ص15.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وتنشأ بلاغة التشبيه من أنه ينتقل بك من شيء نفسه إلى شيء طريف يشبهه، أو صورة بارعة تمثله ، وكلما كان هذا الانتقال بعيدا يكون أروع لنفس ، فإذا قلنا الأرض شبه الكرة في الشكل لم يكن لهذه التشبيهات أثر للبلاغة لظهور المشابهة وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة وجهد أدبي وخلوها من الخيال .

ونجد القدماء قد اهتموا بالتشبيه لأنه أبلغ في تصوير الواقع فهو يحافظ على تمايز الأشياء وعدم اختلاطها بالواقع وعبر عن هذا ابن الأثير حيث أطلق كلمة الصورة على خصوص الأمر المحسوس وقابل بينهما وبين المعنى فقال وهو يعدد أقسام التشبيه الأربعة[1]"أما التشبيه معنى بمعنى كقوله تعالى﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ، كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[2]،وأمّا تشبيه صورة بصورة كقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾[3]،وهذا القسم أبلغ الأقسام الأربعة ، لتمثيله المعاني الموهومة بالصور المشاهدة.

وفي تعريف ابن الأثير وتعداده لأقسام التشبيه جاء بالعلاقة الكامنة بين المحسوسات، والماديات والذهنيات ، كيف أن الشاعر الحق يستطيع أن يشخص أشياء في ذهنه في صورة على أرض الواقع ، أو أن يعبر صورة موجودة مسبقا في حالتها الذهنية المعنوية "فالتجسيم إلباس المعنويات صور المحسوسات ، والتشخيص منح الصفة الإنسانية لما هو ليس كذلك ، والصورة الفنية الرائعة هي التي يستطيع صاحبها تجسيد المعنويات و إظهارها في ثوب المحسوسات وذلك تشخيص الجمادات "[3].

وهنا نجد أنّ ابن الأثير قد تأثر نسبيا بقدامة ، فرأى تشبيه المعنى بالصورة أبلغ أقسام التشبيه الأربعة ، لتصويره المعنى الوهمي المجرد بالصور المشاهدة ،ورأى تشبيه الصورة بالمعنى ألطف الأقسام لأنه ينقل الصورة المحسوسة إلى الصورة المعنوية المتخيلة.

ويعد عبد القاهر الجرجاني أول من أعطى للصورة دلالة اصطلاحية وهي تعني لديه الفروق المميزة بين معنى ومعنى ، وشبهها بالفروق التي تميز هيكل إنسان ، ولعل سر تفوق عبد القاهر على النقاد القدامى ، هو خروجه على ثنائية اللفظ و المعنى، وهو ما يسمى عنده بنظرية النظم يقول عبد القاهر الجرجاني :" ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب ،يصاغ منهما خاتم أو سوار ، فكما أن محالا إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل و رداءته ، أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وضع فيه ذلك العمل و تلك الصنعة "[5]ويضيف "واعلم أن قولنا "الصورة" إنما هو تمثيل قياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ، فما رأينا البينونة بين أحد الأجناس تكون من جهة الصورة ، فكان بين الإنسان من إنسان، وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة ذلك وليست الصورة نحن ابتدأناه فينكره منكر ، بل هو مستعمل في كلام العلماء ، ويكفيك قول الجاحظ وإنما الشعر صناعة و ضرب من التصوير"[6].فالصورة عنده ترمي إلى بيان أنّ

---

(1) نصر الله بن محمد أبو الفتح ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة،(دط)، نهضة مصر القاهرة، ج1،1962م، ص297.

(2) سورة الصافات،الآيتان:47-49،(3)سورة النور،الآية 39.

(3) عبد الله التطاوي ،الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد، (دط)،دار غريب للطباعة والنشروالتوزيع،القاهرة،2002م، ص254.

(4) عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ، تح: رضوان الداية ،(دط) دار قتيبة ،دمشق ،(دت)،ص254.

(5) المصدرنفسه،ص ن.

"الصورة"هي الشكل الذي تتشكل فيه المعاني سواء كانت حقيقية أو مجازية ، فكما جاء في النص الأول فهو عندما يقول أن التصوير والصوغ فيه كالفضة يصاغ منها خاتم ،فالفضة عنده هي المعاني والخاتم هي الشكل أو الصورة التي شكلت منها تلك المعاني ،تكن إذا أردنا أن نعلم مدى جودة هذا العمل علينا أن ننظر إلى الفضة في حد ذاتها يعني إلى الفضة نفسها، والجرجاني وبهذا قد أعطى للصورة رؤية جديدة وما ذكره دقيق جدا، فالصورة عنده ليست هي نفس الشيء، وإنما هي مميزاته المفرقة له من غيره، وهذه المميزات قد تكون في الشكل وقد تكون في المضمون، لأن الصورة مستوعبة لهما.

وهذا ما ذكره الجرجاني في قوله : "ولو كان اللفظ وحده لما كان فيه متحسن ولما وجد فيه مستهجن وذلك أنّ المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذب التجنيس إليه، إذ الألفاظ خدم المعاني والمصرفة في حكمها، وكانت المعاني هي الحاكمة سياستها... فمن نصر اللفظ على المعاني كان كمن أزال الشيء من جهته"[1].

ففي هذا التعبير حقيقة الجمع بين اللفظ و المعنى بين الشكل والمضمون ،فهو يقول لو كان الاهتمام باللفظ فقط يكون دون روح ولا نقدر أن نحكم عليه بالاستحسان أو الاستهجان ، لأن المعاني هي التي تحدد هذه القيمة وهذا الشرف ، لكن نلمس في تعبيره أن الألفاظ خدم المعاني أنه يعطي الأولوية للألفاظ دون المعاني ، وهذا معاكس لما جاء سابقا ، لكن سرعان ما يفند هذا القول "من نصر اللفظ على المعاني كان كمن أزال الشيء من جهته "[2] وهو بذلك يجمع بينهما ولا شك في هذا وهو ما يعرف بالنظم[*].

ولما قال :" الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[3]، فإنّ الشعر إذن لا يمكن أن يسمى شعرا ما لم تدخله الصناعة الفنية الدقيقة وقوة تخليه من خلال الصياغة اللفظية وهذا ما يحولنا إلى الصنعة الفنية في الشعر ، فالشعراء أخذوا يتفننون ويبتكرون ألفاظا أخرى في قوالب مختلفة ويتكلفون في اختيارها هذه الصنعة المغرقة اختلفوا في وجودها ومن أين لها أن تنبع ، فقد فضل بعضهم أن تنبع الصنعة من ذات الشاعر ، فالشاعر ذو خيال مبدع يعبر عن إحساسه كما قال الجرجاني: "العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع "[4].يعني أن يكون مطبوعا غير متكلف ويكون قول الشاعر هنا مسلوقا فيه على الخليقة والطبيعة ، وربطوا أيضا الصنعة بالموروث وراحوا يحددون مواقفهم من طبيعة هذه العلاقة ويستوقفهم مدى تأثيرها في قدرة الشاعر الفنية على التصوير.

وجمال الصورة وبلاغتها عنده يكون بقدر ما يجتمع فيها من متناقضات،لأنّ المتشابهات تتآلف تلقائيا،دون حاجة إلى خيال مؤلف.ولعل بما ذهب إليه الجرجاني يصلح لأن تكون نواة لما استقر عليه المصطلح النقدي الأصيل للصور عند المحدثين .

---

(1)عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ،تح: عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف،(ط1)،دار الجيل ن بيروت ،1991م، ص5.

(2)المصدر نفسه، ص ن.

(3)الجاحظ ،البيان والتبيين،المصدر السابق ،ج3،ص132.

(4)عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ، المصدر السابق ،ص195.

(*) النظم: إن نظرية النظم من أهم النظريات في البلاغة العربية ،ومعناه التأليف ،ومعنى النظم في اصطلاح البلاغيين والنقاد (تنسيق دلالة الألفاظ وتلاقي معانيها بما تقوم عله من معاني النحو والموضوعة في أماكنها على الوضع الذي يقتضيه العقل).

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

2- الصورة في النقد العربي الحديث :

اتجه النقاد المحدثون إلى دراسة الأدب كونه إنتاجا وجدانيا يرتبط بالأحاسيس والمشاعر وليس إنتاجا فكريا مجردا ، من ثم اتجهت الأنظار إلى دراسة الأدب دراسة دقيقة تعتمد على التأمل والتذوق ،وأصبح يشخص إليه كونه كلا متحدا تسري في أجزائه حياة واحدة ، ومن ثم أضحت الصورة التي تنقل الفكر والعاطفة من خلال العمل الفني أكثر ما تتجه إليه تلك الأنظار .

حيث نجد أحمد الزيات يشير إلى أنّ المقصود بالصورة" إبراز المعنى العقلي أو الحسي في الصورة محسوسة ،والصورة هي تخلق من المعاني و الأفكار المجردة ، أو الواقع الخارجي من خلال النفس خلقا جديدا ، وتتخذ لها هيئة وشكلا"[1].

ويرى الزيات أنّ الصورة لا يمكن فصلها عن الفكرة ، فيقول "الصورة والفكرة لا انفصال بينهما ، فإذا تغيرت الصورة تغيرت الفكرة ، والعكس صحيح ويرى أنّ العمل الفني كالماء يتكون من الصورة والفكرة ، كما يتكون الماء من الأوكسجين والهيدروجين ، وهو بذلك يبرز مدى تأثيره بابن رشيق في ضرورة المزاوجة في ذكره لعلاقة الجسد و الروح بين اللفظ والمعنى ، فهو يرى أن الصورة في العمل الأدبي لابد أن تتوافر لها الوسائل التي تتلاءم مع الفكرة والعاطفة".[2]

ويذهب أحمد الشايب إلى أنّ الصورة الأدبية "لها معنيان يختلفان باختلاف نوعية الجنس الأدبي، فأحدهما يكون في الشعر التمثيلي وما يشبهه من النثر الفني كالقصة و الأقصوصة و الرواية والمسرحية النثرية ، والصورة هنا هي منهج الكتاب وخطته من مقدمة و فصول وخاتمة ، وتلاؤم الشخصيات وترابط الأحداث ، ويشترط فيها الوحدة التي تشمل على الكمال والمنهج والتناسب.و الآخر يكون في الشعر الغنائي وما يشبهه من النثر الفني ، كالمقالة الأدبية ، فالصورة هنا هي اللغة والخيال ، وتقابل المادة التي عي الفكرة والعاطفة "[3] ، كما يعرف الصورة بأنها "المادة التي تتركب من اللغة بدلالاتها اللغوية و الموسيقية ، ومن الخيال الذي يجمع بين عناصر التشبيه والاستعارة والكناية والطباق وحسن التعليل"[4].

ويرى أنّ صدق الشعور ، وصحة التفكير ، وجمال التصوير ، وقوة التأثير ، من أبرز صفات العامة المتعلقة بطبيعة الفن الأدبي القويم ، فالصورة عنده من أهم صفات الأسلوب العربي الأصيل[5].

ويحدد مقياس للصورة بقوله :" فمن البديهي أن مقياس الصورة الأدبية ، هو قدرتها على نقل الفكرة والعاطفة بأمانة ودقة ، والصورة هي العبارة الخارجية للحالة الداخلية ، وهذا هو مقياسها الأصيل وكل ما نصفها من جمال

---

(1) صبح علي علي ،الصورة الأدبية تاريخ ونقد،المصدر السابق، ص110.

(2) المرجع نفسه ، ص ص 111،112.

(3) المرجع نفسه ، ص ص242 -251.

(4) المرجع نفسه ، ص ص 229-249 .

(5) عبد اللطيف محمد السيد الحديدي ،الصورة النقدية في شوقيات حافظ ،(ط1)،دار المعرفة للطباعة والتجليد ،مصر،1997م، ص71.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

إنما مرجعه إلى التناسب بينهما وبين ما تصور من عقل الكاتب ومزاجه تصويرا دقيقا، خياليا من الجفوة والتعقيد، في روح الأديب وقلبه ، وكأننا نحادثه ونسمعه كأننا نعامله"[1].

ويعتبر مصطفى ناصف "أول كاتب يخص الصورة الأدبية بكتاب مستقل أسماه " الصورة الأدبية" وهو أول كتاب عربي مكرس لدراسة الصورة الفنية برؤية تزاوج بين التراث والمعاصرة" [2] ، وقد عرف ناصف كلمة الصورة بأنها كلمة تستعمل " للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات "[3] ، وهو بهذا التعريف" يكشف عن تأثره بالمقاييس الأوروبية "[4] ، ويبدو أن ناصف قد تأثر أيضا بالنقد العربي القديم حين أطلق لفظ الاستعارة للدلالة على الصورة.

ويرى عبد القادر الرباعي إلى الصورة بوصفها "تشكيلا عقليا، فمصطلح الصورة لا يلغي الإشارة أو التشبيه أو الاستعارة أو الرمز . إنما يعطيها فهما أعمق من الفهم الذي اقترنت به سابقا" [5]. فالصورة هي ابنة الخيال الممتاز الذي يتألف من قوى داخلية تفرق العناصر وتنشر المواد ، ثم تعيد ترتيبها وتركيبها ، لتصبها في قالب خاص حين تريد خلق فن جديد متحد منسجم" [6] ويوضح بأن الصورة الفنية" تتألف من حدين أساسيين ، أحدهما ماثل أمام الشاعر يريد وصفه والآخر مختزن بالداخل يماثله أو يضاده "[7]، ويضع في موضع آخر تصورا جديدا للصورة بأنها " مولود نضر لقوة خلاقة هي الخيال "[8].فهو بذلك يرى أن الصورة الشعرية ابنة للخيال فهي متصلة بالخيال اتصالا كاتصال ظل الإنسان به، ويرى أن الصورة تركيبة عقلية تحدث من خلال التناسب أو المقارنة بين الظاهر لها والباطن فيها .

ويرى شوقي ضيف أن الصورة هي نموذج العمل الفني المتكامل ، الذي يتفاعل مع المضمون والشكل وهو يرى أنه "لا فارق بين المعنى والصورة أو اللفظ في نموذج أدبي ، إلا إذا جعلنا المعنى أو المضمون هو الأحاسيس الأولى عند الشاعر أو الكاتب ، و إنما الشأن في المعاني التي يحتويها النموذج ، ومعنى ذلك أن مادة الأدب وصورته لا تفترقان ، فالصورة عبارة عما ينتج من اتحاد الشكل والمضمون ، وتلاؤمهما وانسجامهما "[9] .

ويربط شوقي ضيف الصورة بالخيال فهو يرى أنه" المصدر الفريد في تركيبها ، لأنه يبتكر الصورة ابتكارا ويحدد حواف ذلك الخيال بالخيال المبتدع الذي لا يعتمد على الصورة القديمة ، ويبتعد عن الإبهام "[10].

---

(1) أحمد الشايب ،أصول النقد الأدبي، (ط10)، مكتبة النهضة المصرية ،1994م، ص ص 249، 250.

(2) عبد اللطيف محمد السيد الحديدي ،الصورة الفنية في شوقيات حافظ ، المرجع السابق ، ص79.

(3) صبح علي علي ،الصورة الأدبية تاريخ ونقد ،المصدر السابق،ص3.

(4) عبد الإله الصائغ ، الصورة الفنية معيارا نقديا،(ط1)،دار الشؤون الثقافية العامة ،العراق،1987م،ص133.

(5) عبد القادر الرباعي ،الصورة الفنية في الشعر أبي تمام ، (ط2)،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،1999م،ص17.

(6)المرجع نفسه ، ص15.

(7) المرجع نفسه ،ص ص 30 ــ35.

(8) عبد القادر الرباعي ،الصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق ،(ط1)،دار العلوم ،الرياض،1984م، ص 69.

(9) ينظر :شوقي ضيف ،في النقد الأدبي ، (ط8)دار المعارف،مكتبة الدراسات الأدبية،1993م، ص 161.

(10) المرجع نفسه ، ص ص167ــ175.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ويرى عباس محمود العقاد أن الصورة "تتضح عند الشاعر في تمكنه من نقل الأشكال الموجودة كما تقع في الحس والشعور والخيال ، وقدرته على التصوير المطبوع ، لأنه كما يرى هو فن التصوير الذي يتاح لأنبغ النوابغ والمصورين "[1]

فهو بذلك يرى أنّ للتصوير حالات ، الحالة الأولى المنظر كما هو في الواقع ، و الحالة الثانية امتزاج ذلك المنظر بخواطر الشاعر و عواطفه وأحاسيسه ، والحالة الأخيرة هي إخراج ذلك المنظر من معامل النفس في حالة جديدة في الصورة الأدبية .

أما عز الدين إسماعيل فيربط تعريف الصورة "بالوجدان ، فيراها تمثيلا للتجربة الشعورية ، وتقوم على نقل أفكار الشاعر بحيث يتخذ الشاعر الخيال وسيلة للتعبير عن تجربته وأفكاره "[2] ، وهو يرى أن "الصورة باعتمادها على الأشياء الحسية تكون أقرب إلى إدراكنا ، الصورة نوعان : صورة كلية تمثل التجربة الشعورية في القصيدة ، وهي صورة كل لا يتجزأ ، وصورة جزئية تتكون من الصور الزمانية والصور المكانية "[3] .

فالصور الزمانية هي التي تبدو في تنسيق المسافات الصوتية .والصورة المكانية هي" المرئية المفهومة من اللفظ الذي يدل على شيء في اللغة ، فكل عمل فني له حد أو سطح يسمى بالسطح الجمالي، وهو الصورة الكلية، وهذا الحد والسطح وراءه شيء يفهم أو يحس، وهو الذي يقصد به الصورة الجزئية "[4].

ويذهب علي البطل إلى أنّ الصورة الفنية "لا تعتمد على صور البلاغية فقط ، إذ ليست وحدها هي الصورة والشاعر لديه من وسائل التصوير الكثيرة ، فالشاعر عندما يقترب من اللغة البدائية يجعله ذلك يقترب من التصويرية فيها"[5].

ولعل ما يلمس من قول علي البطل أنه يرفض الصورة بأشكالها القواعدية ، في تركيبها وصناعتها ، بل يدعو إلى أن تأتي الصورة عفو الخاطر طبعا لا صناعة،وليست الصور مقتصرة على ما أسماه القدماء من استعارة وكناية ، ولكنها قد تنشأ من عبارات سهلة تحمل بين حروفها أبعادا تصويرية .

والذي يمكننا أن نستنتجه مما سبق هو أن مفهوم الصورة في النقد العربي الحديث ارتبط ارتباطا وثيقا بالأدب القديم ؛ فهي لم تنفصل عن منابعها الأولى ، بل حافظت عليها وتأثرت بما هو حديث ؛ فقد تم تناولها انطلاقا من أصولها و مزجها بما وفد من الفكر الغربي ، فانطلقت على خلق واقع جديد ناتج عن العلاقات الدلالية بين الألفاظ التي ينسجها خيال المبدع وشعوره بعد أن كانت رهينة الواقع والحس . ومن خلال ما سبق يصل الباحث على أن الصورة الفنية هي غلبا تشكيل لغوي جمالي عقلي حسي ، ينقل الأديب من خلالها تجربته الحسية أو حالته الشعورية بشيء من الإبداع وتمييز وفق نسق خاص ، يستخدم فيه جميع الوسائل ليعكس صورة الواقع الخارجي داخل نفسه إلى المتلقي ، فتظهر من خلالها تلك الأفكار والعواطف للمتلقي على أحسن صورة.

---

(1) صبح علي علي، الصورة الأدبية تاريخ ونقد،المرجع السابق، ص 119.

(2) أحمد عزالدين إسماعيل،الأدب وفنونه دراسة ونقد ،(ط9)،دار الفكر العربي،القاهرة،2004م، ص79.

(3) صبح علي علي،الصورة الأدبية تاريخ ونقد ،المرجع السابق ، ص143.

(4) المرجع السابق ، ص ص 144،145.

(5) الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري،المرجع السابق ، ص25.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ثانيا: الصورة الفنية في شعر أبي العلاء المعري

تعد الصورة تشكيلا لغويا ،تستمد مادة تشكيلها من عالم الحس،"فالصورة تشكيل لغوي بكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها،فأغلب الصور مستمدة من الحواس إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية" [1].

والخيال مصدر الصورة ومبعث حيوتها، والعلاقة بينهما علاقة حتمية بحيث لا يمكن أن يفصل أحدهما عن الآخر،لأنه إذا كان الخيال مصدر الصورة ،فإن الصورة هي الأداة التي تخرج الخيال إلى حيز الوجود،"فالصورة هي أداة الخيال ووسيلته ومادته الهامة التي يمارس فيها فاعليته ونشاطه" [2].

إذن الصورة وثيقة الصلة بالخيال ،الذي يعمل على التأليف بين الأجزاء المختلفة التي تكونها وعن طريقه" تنفذ الصورة إلى مخيلة المتلقي،فتنطبع فيها بشكل معين وهيأة مخصوصة،ناقلة إحساس الشاعر تجاه الأشياء، وانفعاله بها وتفاعله معها" [3].

ويرى النقاد والدارسون في مجال تقسيم الصورة،أنها تتعلق بالحاسة،فلذلك الأولى في دراسة الصورة أن ننطلق من هذا المبدأ،معتمدين في ذلك على أنواع الحواس،ثم في الأخير تمييز الصورة الحسية عن المعنوية.

1 – الصورة الحسية :

إنّ الحواس ذات تأثير مباشر وكبير في التعبير عن الصورة الحسية التي يريد الشاعر نقلها إلى المتلقي،وذلك لأنه يعتمد على الخيال في تصوير الأشياء،لهذا كان للحواس الأثر الكبير في نقل الصورة الحسية.

تتخذ الصورة الحسية شكلين اثنين،فهي إما صورة بسيطة مفردة، وهي التي تغلب عليها حاسة واحدة كالبصر أو السمع أو غيرها.وإما ممتزجة وهي تقوم على أكثر من حاسة،وعلى هذا ،تنقسم المفردة إلى خمسة أنواع وهي:بصرية،سمعية،شمية،لمسية ،ذوقية.

ولأنّ الشاعر الكفيف يسخر حواسه من أجل نقل الصورة الذهنية إلى الحقيقة الملموسة، ويوجد شيئا من العدم،محاولا التعويض، عن طريق الخيال والتخييل،مستخدما في ذلك ما أمكن من الحواس ،حتى قيل "إن صور الشاعر الفلاني أغلبها صور سمعية أو شمية أو لمسية أو بصرية"[4].

ومن هنا يصبح كل من التشبيه والاستعارة صورة من صور إعادة تشكيل المدركات الحسية، ولهذا عدّ التصوير في الشعر سبب اعتماد الحس أساس خير وسيلة لتقريب الأفكار والمعاني عن طريق المقارنة،كما هو الحال في التشبيه والاستعارة.

---

(1) علي البطل ، الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري ،المرجع السابق،ص30.

(2) جابر عصفور،الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب،(ط2)،دار التنوير للطباعة والنشر،بيروت،1983م ،ص14.

(3) الأخضر عيكوس،الخيال الشعري وعلاقته بالصورة الشعرية ،مجلة الآداب، ع1، جامعة قسنطينة،1994م،ص77.

(4) جابر عصفور ، الصورة الفنية،المرجع السابق، ص310.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

أ- **الصورة البصرية:**

ترجع أهمية الصورة البصرية في الشعر إلى أهمية حاسة البصر نفسها حيث يسخرها المبدع، من مشاهادات الحياة، لذلك لا يستطيع أحد أن يستغني عنها حتى الأكفاء،الذين حرموا هذه الحاسة،لأنه يعيش في وسط المبصرين ،يتحدث لغتهم ويخاطبهم بها،ثم إن المبصرين يتفاوتون في رؤيتهم ،لاختلاف استعداداتهم الفطرية وقدراتهم الاكتسابية،وعليه يتباينون في استخدام هذه الصور.

إن وسائل الشاعر الكفيف،كما قلنا سابقا تعتمد على الخيال والتخيل في نقل الصورة البصرية في الشعر،ويعمل على توليدها وتجميعها وتجسيم الأخيلة الفنية التي هي بمثابة حقائق له ،لذلك قال الجرجاني في وساطته في تعريف الشعر"أصوات محلها من الأسماع محل النواظر من الأبصار"[1].

1- التوليد :

ويقصد بالتوليد ، توليد معنى من معنى،أو صورة من صورة، وكانت سببا في تشكيلها وتكوينها، وقد أشار ابن رشيق في كتابه العمدة إلى هذا الأمر"التوليد أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه أو يزيد فيه زيادة،فلذلك يسمى التوليد وليس باختراع لما فيه من الاقتداء بغيره، ولا يقال له أيضا سرقة إذ كان ليس آخذا على وجهه"[2].من ذلك توليد أبي العلاء للمعنى من معنى آخر،وصورة من صورة أخرى،على نحو قوله [3]:

ظنَّ الدُجى فظّةَ الأظْفَار كاسرةً والصبحُ نسْرا فمَا ينفكُّ مزؤودَا

فقد شبه الظلام الحالك بالعقاب الكاسر بدون ذكر الأداة،وشبه الصبح بالنسر لاشتراكهما في اللون.

ويقول [4]:

زَبدٌ طار عن رُغاءِ المنايـَا فاحتسَى البِيضَ كارتغَاءِ الحليبِ

فقد عمد الشاعر إلى التوليد،فولدّ تشبيها آخر،حيث شبه السيف بالحليب.ومعنى البيت أن زبد المنايا تشرب السيوف البيضاء كما تشرب رغوة الحليب.

والدرع يشبه السيف بياضا وصفاء،وفي هذا يقول أبو العلاء [5]:

مالَ إليها قلبُهُ كلَّ الميْـلِ يُغني بها صاحبُها عن القَيْـلِ

ولخصب خيال أبي العلاء ، نجده يولد معان لا حصرة لها، من ذلك قوله [6] :

والحتْفُ كالثائرِ العادي يصرعُنا والأرضُ تأكُلُ هلا تَكْتَفي الضَبُعُ

---

(1) علي بن عبد *العزيز* القاضي الجرجاني ، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم،ى (دط)،مطبعة عيسى البابي،القاهرة،1966م،ص 412.

(2) أبو علي الحسين بن رشيق القيرواني ،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،تحك صلاح الدين الهواري وهدى عودة، (ط1)،دار ومكتبة الهلال،بيروت، ج1،1996م، ص263.

(3) أبو العلاء المعري، سقط الزند ،ص224. فظة الأظفار: غليظتها،وأراد بها العقاب،مزؤود:خائف.

(4) المصدر نفسه،ص302.

(5) المصدر نفسه، ص272، القيل : شرب نصف النهار.

(6) أبو العلاء المعري ، اللزوميات، ج2،ص88.

فقد صور الموت بالثائر،الذي يفتك بالناس ويصرعهم ولا يفرق بين البشر،ويتركهم أشلاءً،وولد صورة أخرى للأرض ،التي رأى فيها ضبعا تبتلع أشلاء كل ما يلقى إليها الموت من جثث.

بل إننا نجد أبا العلاء يولد صورا، من أسماء النجوم والكواكب، حيث يستغل مجموعة الكواكب التي كان يسميها العرب بـــ (بنات نعش)،ودلالة كلمة نعش تعني ، سرير الميت ،إشارة إلى الفناء التي ينتظرها وذلك في قوله [1] :

أنعشٌ في السماء وذاك أمرٌ يدلُّ على هلاكِ بناتِ نعشِ

وفي نفس السياق عندما يتحدث عن النجوم والكواكب، وخاصة عن (السماك الأعزل)[*]،فإنه يقتنص منه معنى العزل والإبعاد ويولد منه صورة ،يمهد بها بعد ذلك لما سيسنده إليه من الشكوى والتضجر ، ومن ثم يتوصل بذلك إلى فكرته القائلة أن الشكوى من العيش سمة ملازمة لكل المخلوقات، وذلك في قوله [2]:

كلُّ البريّة شاكٍ لو سما زُحَلٌ إلى السِّماكِ رآه يشْتكي العزلاَ

ويولد أبو العلاء صورة أخرى في علاقة الليل بالنجوم الحيرانة ،التي تلزم مكانها، رغن أن العرب كانوا يأتون بصورة الليل في مقام الضجر من طوله ،إلا أن الشاعر جاء به في مقام الفرح واللهو ، فيقول [3]:

رُبَّ ليلٍ كأنَّهُ الصُبحُ في الحُسن وإنْ كانَ أسودَ الطيلســـَانِ

قد ركَضْنَا فيهِ إلى اللهوِ لَمَّـــا وقفَ النجمُ وِقفةَ الحيْـــرانِ

2- التجميع:

ويقصد بها ضم صورة إلى صورة أو أكثر ، لتخرج بمجموعها صورة ثالثة تامة،أو تجميع عناصر بصرية معروفة في صورة سابقة، وقد أشار ابن رشيق القيرواني إلى ما يشبه هذا وسماه الالتقاط والتلفيق[4].

ولأبي العلاء المعري ،صور عديدة من هذا النوع ،ولنتمعن عنده صورة السُّرى في الليل والأمثلة الواردة فيها،فيقول [5]:

وليلَةٍ سِـــرْتُ فيها وابنُ مُزْنَتِـــها كَمَيّتٍ عـــادَ حيّـــاً بَعْـــدَما قُبِـــضا

كأنما هيَ إذْ لاحَـــتْ كواكِبُـــها خَوْدٌ من الزّنج تُجلى وُشّحَتْ خَضَضَا

كأنما النّسْرُ قد قُصّتْ قوادِمُـــهُ فالضّعْـــفُ يَكْســـرُ مِنه كلّـــما نَهَضـــا

والبَدرُ يحْتَثُّ نحوَ الغَرْبِ أينُقَـــه فكلّما خافَ من شمسِ الضّحى ركَضَا

---

(1) أبو العلاء المعري،اللزوميات،ج2،ص،85.

(2) المصدر نفسه،ج2،ص،206.

(3) المصدر نفسه،ج2،ص، 396.

(4) ينظر:ابن رشيق القيرواني ،العمدة في محاسن الشعر ،المصدر السابق ،ج2،ص289.

(5) أبو العلاء المعري، سقط الزند ،ص308.

(*) السماكان: نجمان نيران وهما الرامح والأعزل وقيل له أعزل لأنه لاشيء بين يديه من الكواكب.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ومَنْهَلٍ تَرِدُ الجَــوْزاءُ غَمْرَتَــه إذا السِّماكانِ شطْرَ المغْرِبِ اعترَضَا

وَرَدْتُهُ ونُجــومُ اللّيْلِ وانِيَــةٌ تشكو إلى الفجرِ أنْ لم تَطعَمِ الغَمَضَا

ومجمل معنى الأبيات،ربّ ليلة من الليالي سرت فيها والهلال قد بدا مرحلة جديدة كأنما عادت إليه الحياة، وكأنّ هذه الليلة، حينما لاحت فيها النجوم امرأة زنجية تحلت بالخرز الصغار، وهذه الليلة طويلة وكأن النسر وهو أحد الكواكب قد قصت قوادمه فهو لا يقدر على النهوض، والبدر يستحث صواحبه خوفا من طلوع الشمس، وبعد مسير الشاعر هذا ورد منهلا،تنعكس الجوزاء فيه لصفائه، وذلك حينما يعترض السماكان شطر المعــرب، ونجوم الليل ضعيفة ،أعياها السهر فهي تشكو إلى الفجر عدم النوم[1].

وكما يتبين من الأبيات،الصورة تعتمد التقليد في أجزائها وهذا التجميع هو الذي أضفى عليها شيئا من الجمال.

وفي سقط الزند الكثير من هذه التشبيهات ، حيث رسم مشهد الماء يعكس النجوم في صورة،فقال[2]:

تبيتُ النجومُ والزَّهرُ في حجراته شوارعَ مثــل اللؤلؤِ المتبدِّدِ

وإذا عدنا إلى البيت الأخير من المقطوعة السابقة نلاحظ، معاناة المعري من هذه الحياة،فراح يبحث عمن يحمل عن كواهله هذا التعب والمعاناة ، فلم يجد إلا الكون،ليسقط عليها هذه المعاناة.وكل هذا في صورة بصرية رائعــة تعبر عن رؤية الشاعر للحياة.

ب –الصورة السّمعية:

تعتبر حاسة السمع الحاسة التي يستخدمها الشاعر بعد حاسة البصر،لما لها من الأهمية في تشكيل الصــورة ذهنيا،ولذلك نجد أبا العلاء يعتز بسمعه حينما يشبهه في قوته وإرهافه بأذني السِّمعْ وهوولد الذئب من الضبع ،فإنه قوي هذه الحاسة ،فقال[3]:

وماذاذَ عني النومَ خوفُ وثُوبها ولكنَّ جرسًا جالَ في أُذني سِمْعِ

ومعنى البيت "إن قوة سمعي وشدة إحساسي بأصوات الأسود هو ما أبعد النوم عني لا الخوف من وثوبها"[4].

ويذهب أبو العلاء المعري في الصورة السمعية بعدا كبيرا ،حينما ،يقول[5] :

كَنَوى القَسْبِ كِدْتَ تسمعُ في الآخــ ــرِ منها للموتِ مثْلَ القَسيبِ[6]

يقول:" عُقَدُ هذه الرماح كنوى الرطب اليابس في صلابتها،وإذا انكسرآخرها (يعني طرف الرمح الذي فيــه السنان)تسمع له صوتا مثل القسيب، والقسيب صوت الماء وخريره،فالمعري يشبِّه صوت انكسار السنان إذا وقع على الدرع بخرير الماء ودفقه "[6].

---

(1) شروح سقط الزند،نظم أبي العلاء المعري،تح: مصطفى السقا وآخرون،إشراف:طه حسين،(دط)،الهيئة العامة المصرية للكتاب،1986م، ص209.

(2) أبو العلاء المعري،سقط الزند ، ص91.

(3) المصدر نفسه ، ص237.

(4) شروح سقط الزند، مصطفى السقا وآخرون ، ص 1355.

(5) أبو العلاء المعري ، سقط الزند ، ص302 ، القسيب : خرير الماء.

(6) شروح سقط الزند،المصدر السابق،ص 1886.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وعودا على بدء إلى قصيدة (ضجعةُ الموت رقدةٌ) في أبياتها الأولى ،لنسمع صوت أبي العلاء ،ولنسمع معها صورا سمعية خالدة،حينما قال [1]:

غَـــيْرُ مُجْدٍ فِي مِـــلَّتِي وَاعْتِقَـــادِي نَـــوْحُ بَـــاكٍ وَلا تَرَنُّمُ شَـــادِ
وَشَبِيهٌ صَوْتُ الـــنَّعِـــيِّ إِذَا قِـــيـــ ـــسَ بِصَوْتِ البَشِيرِ فِي كُلِّ نادِ
أَبَكَـــتْ تِلْكُمُ الحَمَـــامَةُ أَمْ غَنَّـــ ـــتْ عَلى فَرْعِ غُصْنِها المَـــيَّـــادِ

والذي يلاحظ على الأبيات الشعرية ، استواء الغناء والبكاء، حتى ولو تباينا واختلفا في الظاهر ،إلا أنهمـــا في الحقيقة صوت مصدرهما واحد، ولكن تفسيرات النفوس ودوافعها هب التي تخيّل للناس تباينهما، وترغب في هذا دون الآخر ،أما أبو العلاء فلا تنطلي عليه هذه النغمة ،ما دام نقطة البداية تعني نقطة النهاية ،فالنغمة واحـــدة، والنهاية واحدة.

ونرا ه في صورة سمعية أخرى،حينما حاول استكناه وسبر أعماق الحياة بسمعه ،عوض بصره المفقود الـــذي يتحول فيها الغناء إلى بكاء ،فيقول [2]:

وغنَّت لنـــا في دارِ ســـابورَ قينـــةٌ من الورقِ مطرابُ الأصائلِ ميـــهالُ
رأتْ زَهَـــراً غضاً فهاجـــتْ بمزهرٍ مثـــانيه أحشـــاءٌ لَطُفْـــنَ وأوصَـــالُ
فقلـــتُ: تغنِيْ كيـــفَ شئتِ فإنّـــما غناؤُك عنـــدي يـــا حمامة إغْـــوالُ

فتغريد الطيور وسجع الحمام كثير في الشعر العربي القديم، لكن مع أبي العلاء اتخذ معنى جديدا ،يتوافق ورؤيته التشاؤمية.

ج- الصورة الشّمية:

تعد الصورة الشميّة مثل أخواتها من الصور الأخرى،وليست أقـــل شـــأنا منها،خاصـــة عنـــد أصـــحاب العاهات،حيث يستعان بها في شؤون الحياة، وتأتي بعد حاستي البصر والسمع عند الشـــعراء، ولعلـــها تكـــون أظهر،لكثرة تداولها وتستخدم في سائر الموضوعات،من مدح وهجاء ورثاء وغيره.

من ذلك رائحة الطيب والمسك، والتي يتوسل بها أبو العلاء في رثائه لأمه،فيقول [3] :

فيَاركْـــبَ المنونِ أما رَسُولٌ يبلِّغُ رُوحَهَا أرَجَ السَّلاَمِ
ذكّيًا يَصحبُ الكافورُ منه بِمثلِ المسكِ مفوضَ الخِتَامِ

كما أن العطر عند أبي العلاء تعالٍ عن الإثم وتنزيه للنفس عن غيّها،فهي عنوان التربية الروحية ،يقول [4]:

إنْ نهيتَ النفسَ اللَّجوحَ عنِ الإثـــ ـــمِ وطابتْ فإنما أنت عطـــــــرُ
لُحـــتَ مثـــلَ الكافورِ كفَّـــر ذنْباً فَلْتبرَّدْ إنْ كـــان أُغْلِيَ قِطْـــرُ

---

(1) أبو العلاء المعري،سقط الزند ،ص7.

(2)المصدر نفسه،ص231.(دارسابور:موضع في بلاد فارس ،الميهال:النازلة بين أهلها،القينة:الحمامة،المزهر:العود،ويعني بها: صوتها أو حلقها،مثانية :أوتاره).

(3) أبو العلاء المعري، سقط الزند ،ص39.

(4)أبو العلاء المعري ،اللزوميات ،ج1،ص387 ، القطر : النحاس.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

لُحــْتَ مثْــلَ الكافورِ كفَّــر ذنْباً فَلْتبرَّدْ إنْ كــان أُغْلِيَ قِطْــرُ

إنّ النفس لما ترْقَ، ويرِقُ طبعها، وتتسامى عن غبار الدنيا ن من ذنوب وآثام ،فهي عنــد المعــري إلا عطراً،تتلهف الأنوف إلى انتشاقه، وتطرب الأرواح بلقائه، وهذه الصورة التشبيهية تنبئنا عن مــدى تعلــق المعري بالعطر،واعتباره شيئا ثمينا، ترنو إليه النفوس والأرواح،ولذلك نجده ، يفضل بالتراب على الأصحاب لا لشيء إلا لأن التراب يبدع بين ثناياه أزهار الربيع ورياحينه،فيقول [1] :

وَأُراغُ مِن تِربي وَلا أَرتاعُ مِن تُربي وَفي قُربِ الأَنيسِ خِطــارُ

مَــن كَالصَعيدِ الحُرِّ مِن أَبنائِهِ زَهرُ الرَبيعِ وَرَوضُــهُ المِعطارُ

وكأنَّ في كفِّ الزمــان بنَوْره قُطْراً تُعَمُّ بنشْره الأقطــارُ(*)

إنها رؤية أبي العلاء للحياة ،حيث يقدم تراب الأرض على صحبة الإنسان ،رغم مزاياه وماحباه الله به ،ويتخذ ما تنبت الأرض من الزهور والرياحــين والرياض العطرة المبهجة،والتي تولى الزمان يفرقهــا بيــده على جميع الربوع والأقطار، والصورة هنا تعتمد التشبيه في مقارنة الناس بالصعيد، والاســتعارة المكنيــة في تشخيص الزمان.

كما أن العطر ،عند الشاعر خير وسيلة للتخفيف من مصائب الحياة وهمومها،فيقول [2]:

وقدْ يُحتــالُ في ردِّ الرَّزَايــا بعُود مفرَّدٍ وبعُودِ صِنْفِ

وكمْ غَرَّت معاطِسُ من رجالٍ بريحِ أُلوةٍ أو ريحِ رَنْفِ(*)

ولأنّ العطر وسيلة لدفع الهموم،إلا أنه يخدع به ،فهو من مباهج الحياة وزينتها،فيستلذ العيش بأطايــب الحياة ، وحينها تتعلق الأنفس بها، ومن ثمة يستحيل على من تعلقت نفسه بالحياة الــدنيا أن يــدرك ســر حقيقتها.

د-الصورة اللّمسية:

ويندرج تحت اللمسيّات كل ما له علاقة بالإحساس العضلي والعضوي ،خارجيا كان أم داخليا من الجسم، ومن أمثلة ذلك عند أبي العلاء المعري ، قوله[3]:

كأنَّ منجّــم الأقوام أعمى لديه الصُّحفُ يَقرأُها بلمْسِ

اليد في حياة الكفيف شأن عظيم ،فبها يتلمس ويتحسس ،فجادت قريحة أبي العلاء بمثل هذه الصورة وهذا التشبيه الدقيق لما يصنعه المنجمون،الذين يقرؤون الكف،بغرض تنبؤ الغيب.

---

(1) أبو العلاء المعري، اللزوميات ،ج1،ص453.

(2) اللزوميات ،ج1،ص167.

(3) اللزوميات ،ج2،ص55.

(*)الترب : المولود مع الإنسان أو القريب من عمره ،الخطار : المخاطرة بالنفس،الصعيد: التراب،القطر :العود الذي يتبخر به.

(*) عود صنف : العود الذي يتبخربه ،الألوة: عود طيب الرائحة يتبخر به، الرنف: ضرب من الرياحين.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

بل إنّ أبا العلاء اعتبر(العصا)جزءا من حاسة اللمس،لأنها وسيلة من وسائل معرفة الأشياء عند السير ،فقال[1]:

عصا في يَدّ الأعْمى يرُومُ بها الهُدى أبرّ له من كلِّ خدنٍ وصاحبِ

فأوسع بني حواء هجراً فإنّهـــم يسيرون في نهجٍ من القدر لاحبِ

إنّ العصا في رؤية الشاعر خير من كل صاحب، وهي تكفيه حاجاتـــه ،وباعتمـــاده عليها،يســـتطيع هجـــر الناس،لأن طريقهم في الحياة غير طريقه.

هـــ- الصورة الذّوقية :

إن كانت الصور السابقة لها تأثيرها وحضورها القوي في شعر أبي العلاء ، فإن حاسة الذوق ،لا تقل شـــأنا عن غيرها من الصور .وأبو العلاء يتخذ من حاسة الذوق سبيلا إلى تعرية حقيقة الدنيا ، ببهرجتها وزخرفها،فهي في رؤيته تنطوي على كثير من المكر والخداع ،فيقول[2]:

لقد غرَّت الدنيا بَنيهَا بِمَذْقِها وإن سَمَحُوا من ودِّها بصَريحِ

ولأنّ أبا العلاء كوته الدنيا بصروفها،ولأنه خبِر حقيقتها حتى أضحت له كفلق الصبح ، يعرف أسرارها،لذلك نجده راح يتأمل حال كثير من الناس،الذين يلهثون وراء متاع زائل ،فما هي إلا أيّام،في حياة الناس،فإذا هم مـــن الهالكين، ويستخدم حاسة الذوق وهي كلمة(المذق) في صورة بديعة وهو اللبن المغشوش بالماء،فحال الإنسان في هذه الحياة كمن ذاق لبنا مغشوشا ،وسرعان ما يقذفه، ولا يستسيغ له طعما.

بل ذهب شاعرنا بخياله الخصب ، يصف لنا في صورة مشخصة رمحا، وجعل منه كائنا حيـــا، يعـــيش حالـــة ظمأ،فقال [3]:

وذِي ظمـــإٍ وليس بهِ حياةٌ تيَقَّن طـــولَ حامله فَطَالاَ

توهَّم كـــلَّ سابغةٍ غديراً فرنَّق يشربُ الحلقَ الدِّخَالاَ (*)

إنها براعة التصوير،فقد تصور الشاعر الرمح كائنا عملاقا ألمّ به العطش،يبتغي النجاة ،بإرواء نفســـه،فتدفعه اللهفة إلى أقرب شيء يظنه ماء ،فإذا هو بدرع بها حلق من الحديد المتداخل، ولشدة حاجته ،راح يحوم حولهـــا ويعبّ منها.وهذه الصورة ،فيها كثير من الإلغاز،تمثل في الرمح، وهل يقصد به الرمح جمادا ؟ أم أراد مدحا لحامل الرمح،لأنّ كلمات البيت في معظمها توحي بالحياة ، من ذلك: ذي ظمإٍ، تيقّن، طال،توهم، رنَّق، يشـــرب، ولا يكون هذا إلا لحي.

وبهذا نقف عن حقيقة الصورة الحسية عند أبي العلاء،حيث الحس المرهف والبصيرة النافذة،التي تقطف مـــن ساحات الكون،ما يجعلها صورا حية،تسري فيها رؤية أبي العلاء الفلسفية والفنية.

---

(1) أبو العلاء المعري، اللزوميات ،ج1،ص143.

(2) المصدر نفسه ،ج1،ص297.

(3) أبو العلاء المعري ، سقط الزند ، ص54.

(*)السابغة : يعني الدرع، رنّق:حام حول الماء ليشرب،الدِّخال: المتداخلة.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

2- أدوات تشكيل الصورة في شعر أبي العلاء المعري:

بعد أن استعرضنا بعض الصور الحسية في شعر أبي العلاء،آن لنا أن نبحث موضوع الأدوات التي استخدمها في تشكيل الصورة، وسنقف أولا عند استخدام ألوان البيان والبديع لدى الشاعر،ونرى إلى أي مدى تتداخل ألوان البيان والبديع في تشكيل الصورة الفنية عند أبي العلاء؟

2-1-الصور البلاغية والبديعية :

2-1-1-الصور البيانية:

أ- التشبيه:

التشبيه في اللغة:التمثيل.

أما في الاصطلاح ،فله عدة تعريفات عند علماء البلاغة،وهي وإن اختلفت في مبانيها فإنها متفقة في معانيها.

يقول المبرد:" اعلم أن للتشبيه حداً لأن الأشياء تشابه من وجوه وتباين من وجوه ،فإنما ينظر إلى التشبيه من أين وقع ،فإذا شُبّه الوجه بالشمس والقمر فإنما يراد بالضياء والرونق ولا يراد به العِظَمُ والإحراق"[1].

أما ابن طباطبا فيرى أنّ :" التشبيهات على ضروب مختلفة فمنها: تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة ومنها تشبيه به معنى ومنها تشبيهه به حركة بطئا وسرعة، ومنها تشبيهه به لونان ومنها تشبيهه به صوتا،وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض،فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف قوي التشبيه وتأكد الصدق فيه، وحسن الشعر به للشواهد الكثيرة المؤيدة له"[2].

ويعتبر أبو الهلال العسكري التشبيه وصفا،فيقول:"التشبيه الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه،ناب منابه أو لم ينب،وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه وذلك قولك"زيد شديد كالأسد" فهذا القول هو الصواب في العرف وداخل في محمود المبالغة وإن لم يكن زيد في شدته كالأسد على الحقيقة"[3].

أما نقاد العصر الحديث،عدّ التشبيه عنصرا من عناصر الصورة الشعرية ،يؤثر فيها، وبخاصة البليغ منه ،حيث أنه يفيد لإفادة كبيرة في تشكيل الصورة الشعرية،" فقد يصل التشبيه في بعض الأحيان إلى درجة من الخصب والامتلاء والعمق إلى جانب الأصالة والابتداع ،بحيث تمثل الصورة وتؤدي دورها"[4].

وللتشبيه دور بارز وعميق في بيان المعاني واتساع مدلولاتها وجمال موقعها وأثرها في النفس وما تجلبه من متعة أدبية، جراء ما يقوم به التشبيه من توضيح للمبهم الغامض مع مراعاة الذوق الفني للمبدع.كما له أثر كبير في النفس جراء ما يشتمل عليه من عناصر الصورة الفنية،فهو سمة من سمات الأداء اللغوي الفني، حيث يعتمد على الإيجاز والوضوح والمبالغة.

---

(1) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، الكامل في اللغة والأدب،تح: محمد أحمد الدالي،(ط3)،مؤسسة الرسالة،لبنان،1997م،ج2،ص984.

(2) ابن طباطبا، عيار الشعر، المصدر السابق ، ص ص 30،31.

(3) أبوهلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، كتاب الصناعتين ،تح:محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطماش،(دط)، دار الجيل، بيروت،1988م، ص461.

(4) عزالدين إسماعيل ،الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية،(ط3)،دار العودة،بيروت،2007م،ص 143.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

إنّ القدرة في تحويل المحسوس والمتخيل إلى ملكة للتصوير عند أبي العلاء ،فائقة في تجسيم الأخيلة الفنية، واستطاع من خلال ذلك أن يمزج في شعره الغزير قدرا كبيرا من الفلسفة والفكر والإبداع ،وكانت معظم صوره مناسبة لتقديم رؤيته في نقده للعصر والمجتمع،فنجده يحارب القبح المتخفي فشكل الإنسان المرفولوجي والسلوكي،لأنه أدرك حقيقة الجمال الحقيقي بمخيلته الخصبة ،فراح يدعو له في هذه الحياة ،أليس هو القائل :"إني أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر" [1].

ومن سخريته في هذا ،يقول [2] :

قَالوا العَمى منظرٌ قبيحٌ قلتُ بفقْدانِكُم يهونُ

ومن تشبيهات أبي العلاء،قوله [3]:

وكالنّار الحياةُ فمِن رمادٍ أواخرُها وأوَلها دُخانُ

شبه الشاعر الحياة بالنار في أنه يخمد من النار وسطها لأطرافها،لأن أول النار ،دخان لا ينتفع به ،وهي حياة الصبا عند الإنسان،وآخر النار خمودها ،وقد هو المشيب عند الإنسان،والعيش بينهما ،و أحسن حال وهو الشباب،واجتنابها خير من اقتحامها،لأن ذلك يعني الحرق والفناء.وقد استعمل الشاعر أداة التشبيه (الكاف).

وفي نفس السياق،نرى أبا العلاء يقدم صورة منفرة للدنيا في تشبيه قلّ نظيره ،فقال [4].

أصاحِ هيَّ الدُّنْيَا تُشابهُ ميتةً ونحنُ حوَاليها الكِلابُ النَوَابِحُ

حيث شبه الدّنيا بجيفة كريهة المنظر،نتنة الرائحة وهو تشبيه مجمل هنا،أما طلاب الجيفة،فقد شبههم بالكلاب ينهشون فريستهم من كل الجهات،وقد بالغ الشاعر في التشبيه إلى حد أن جعل صورة الدنيا مقززة ،عسى أن ينتبه أهلها من غفلتهم ويدركون حقيقتها، وهذا التشبيه البليغ يعكس رؤية الشاعر في حقيقة الدنيا،التي كوته بصروفها كثيرا.

أما قوله [5]:

جسَدي خِرْقَةٌ تُخَاطُ إلى الأرضِ فيَا خائطَ العَوالمِ خطْني

ولأنّ جسد الإنسان مآله الفناء،فإن الشاعر شبه هذا الجسد بقطعة قماش،ستبلى ذات يوم، وعند بلائها سوف تضم إلى الأرض ،لتصبح جزءا من الأرض، ولأنها كذلك ،فهو يتمنى الموت من رب العوالم،حتى يرتاح من هذه الدنيا الفانية.

---

(1) أحمدتيمور باشا،أبو العلاءالمعري،نسبه وأخباره وشعره ومعتقده،(دط)،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة، 1940م،ص21.

(2)أبو العلاء المعري،اللزوميات، ج2،ص403.

(3) المصدر نفسه ،ج2،ص383.

(4) أبو العلاء المعري ، اللزوميات ،ج1،ص189.

(5) المصدر نفسه،ج1،ص281.

(6) المصدر نفسه،ج2،ص575.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وفي نفس الرؤية ، نجده يقول [1]:

تُطْوى النّضَارةُ بالليالي مثْلَ ما يُطوى بأيدي الصَّائنات إزارُ

إنّ شباب الإنسان لن يدوم، وستأتي اللحظة ،التي يُطوى فيها هذا الشباب ،حيث نضارة الوجه وحسنه والليالي كفيلة بذلك، وقد شبه الشاعر هذا الحال ،بحال المرأة التي تطوي ثيابها بعد غسلها،وقد جاءت هذه الصورة مؤثرة جدا،فالأيام تجري والإنسان غافل عما حوله،إن أبا العلاء بهذا التوجيه يريد أن يغرس قيما روحية في هذه الأجساد،التي ركنت إلى الدنيا،ففسد حالها وساء طبعها.

وما يدعم رؤيته هذه ،قوله [2] :

مرحباً بالموتِ والعيشِ دجىً وحِمام المرء كالفجرِ سطَع

حيث شبه سكرات الموت بإشراقة الفجر المضيئة ،فقد عمم معنى الظلام والوحشة للمرء في الحياة وجعل للموت نورا وضياء وهو بهذا يوحي لنا بما يحسه من جراء فقد نعمة البصر.

بل إنّ الدهر عند أبي العلاء مثل الشاعر ،فيقول [3] :

الدّهرُ كالشاعرِ المقويونحنُ به مِثل الفواصِل مخفُوض ومرفُوع

شبه المعري الدهر بالشاعر المقوي ، والناس في شعر الشاعر(الدهر)كالفواصل فمن الناس من هو مرفوع ومنهم من هو مخفوض (مجرور).ومعنى ذلك ،أن صروف الدهر والأقدار ترفع أقواما وتخفض أقواما ولله عاقبة الأمور.

ومن روائع تشبيهات أبي العلاء ،تشبيه السيف بالماء،إذ يقول [4] :

كأنَّ فرندَه واليومَ حمّـت أفاض بصفحهِ سجلاً سجيلاَ

ترددَّ ماؤهُ غلواً وسُفلاً وهمَّ فما تمكَّن أن يسيلاَ

حيث شبه بياض السيف وبريقه بدلو من الماء قد صب في وجهه في يوم شديد الحر فهو أبيض براق ،كأنه ماء في يوم كانت الحاجة إلى الماء أشد ولأن الماء مع إشراق الشمس أشد بريقا ولمعانا، ثم وصفه بأن الماء كأنه يتردد فيه من أعلاه إلى أسفله ومن أسفله إلى أعلاه،ويهم بالسيلان فلا يستطيع لأنه محصور في أجزائه.إنه تشبيه في منتهاه ،فقد شبه السيف،بما هو أعظم منه وأبلغ.

وتشبيهات أبي العلاء كثيرة، ويستعصى حصرها ، والوقوف عند خباياها،فقط يمكننا أن نقول أنه قد أبدع في تشبيهاته في صور وصفية متعددة،وقد ساعده في ذلك ثقافته الواسعة من العلوم وإطلاعه على الأحداث التاريخية المستقاة من الأدب العربي القديم ،بالإضافة إلى قدرته المتميزة في استخدام المعاني وتوظيف الألفاظ بهذه الدقة والبراعة،حتى يخيل إلى القارئ، أنها ليست من شاعر كفيف.

---

(1)أبو العلاء المعري ، اللزوميات، ج1،ص463.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ص91.

(3)المصدر نفسه ،ج2، ص173، الإقواء: اختلاف حركة الروي.

(4)أبو العلاء المعري ، سقط الزند، ص164،الفرند:جوهر السيف ،حمت:شديد الحر، السجل : الدلو إذاكان فيه ماء،سجيل: ضخم.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ب– الاستعارة:

الاستعارة هي استعمال الكلمة في غير ما وضعت له في أصل اللغة لعلاقة المشابهة، وعن طريقها يستطيع الشاعر استحداث علاقات جديدة، تزيد من قيمة الشعر، نظرا لما تبعثه من حيوية وحركة وما تؤديه من دقة في التصوير، معتمدة أسلوب التمثيل والمشابهة.

وإذا ما استعرضنا في كتب النقد والبلاغة نجد عددا غير قليل من التعريفات للاستعارة، وهي على كثرتها وإنْ اختلفت في ألفاظها ومبانيها تتحد في المعنى[1].

يقول أبو هلال العسكري :" الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض.وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو يحسن المعرض الذي يبرز فيه . وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المعيبة...ولو لا أن الاستعارة المعيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا"[2].

ويذهب الجاحظ في تعريف الاستعارة،فقال:" هي تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه" [3].

أما الآمدي فيقول :" إنما استعارت العرب المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه أو يشبهه في بعض أحواله وكان سببا من أسبابه بمعنى التقارب بين المستعار منه والمستعار له"[4].

ونجد عبد القاهر الجرجاني ،في كتابه الشهير (أسرار البلاغة) ،يقول :" أما الاستعارة فهي ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس يجري فيما تعيه القلوب وتدركه العقول وتستفتي فيه الإفهام والأذهان واعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي ،تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع،ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل فيكون هناك كالعارية"[5].

ويقول في الوساطة :" والاستعارة يتوصل بها إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر"[6].

أما الاستعارة عند المعاصرين،وعلى رأسهم جابر عصفور فقد خرجت في كثير منها عن الشق الذي حدده القدامى ،مؤكدا أن الاستعارة قد تقوم" على درجة من درجات التقمص الوجداني ، تمتد فيه مشاعر الشاعر إلى كائنات الحياة من حوله ، فيلتحم بها ويتأملها كما لو كانت هي ذاته ، ويلغي الثنائية التقليدية بين الذات والموضوع. وهو ما يخرج التعبير الاستعاري من دائرة الحدود الصارمة التي وضعها القدماء .ويجعله لا يعتد

---

(1)ينظر:صبحي البستاني، الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ،(ط1)، دار الفكر اللبناني،بيروت،1986م، ص68.

(2) أبو هلال العسكري ،كتاب الصناعتين ،المصدر السابق ،ص108.

(3) الجاحظ،البيان والتبيين ،المصدر السابق ،ص153.

(4) أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ،الموازنة،تح: محمد محي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة،القاهرة،1959م،ص250.

(5) عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة،المصدر السابق، ص37.

(6) أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي *الجرجاني*،الوساطة،المصدر السابق ،ص 248.

بحدود التشابه الضيقة بقدر ما يعتمد على تفاعل الدلالات الذي هو بدوره انعكاس وتجسيد لتفاعل الذات الشاعرة مع موضوعها"[1].

والاستعارة تؤلف بين الأضـــداد ، وتوجد علائق جديدة في التعبير لم تكن مألوفة في الكلام المعتاد،فبفضل قدرة الشاعر الإبداعية وغزارة ثقافته وتنوعها يستطيع تشكيل صوره الاستعارية والإفادة منها في إيجاد علاقات جديدة ،" فكلما كانت المسافة بين قطبي الاستعارة كبيرة كان توتر التيار المنبثق من تجسيد الفكرة قويا في الوهج الاستعاري" [2].

ولما كانت الصورة الاستعارية ذات صلة وثيقة بالتجارب الإنســـانية،فقد اســـتخدمها الشـــاعر في تصـــوير همومه،وشؤون مجتمعه. يقول أبو العلاء في تصوير الفوضى التي سادت مجتمعه،وتحلله من قيمه و مبادئه [3]:

وأيامنا عيسٌ وليس أزِمّـــةٌ عليها وخيلٌ أغْفَلَتْها الشكائمُ[*]

نجد أبا العلاء في هذا البيت،يلجأ إلى الصورة الاستعارية ،لكي يبرز مدى ما وصلت إليه الحيـــاة الاجتماعية في عصره من تفكك وانحلال.حيث حوّل ما هو معنوي إلى ماهو محسوس،ورمز إلى الحياة الاجتماعية بالأيام وشبهها بالإبل الهائجة والخيل المطلقة،للدلالة على الفوضى والاضطراب الذي حل بالمجتمع.

ومن الآفات التي عمل أبو العلاء على محاربتها ، صفة البخل، والتي انتشرت بين الناس،فانتشرت ظاهرة الحرص على المال وإيثار الذات ،فيقول [4]:

عشْ بخيلاً كأهل عصْرِك هذَا وتبًّا له فإنَّ دهـــرك أبلَه

اعتمد الشاعر في هذا البيت على التشبيه والاستعارة ،لتبيين شيوع البخل بين الناس،وحذف المشبه به ،وأبقى ما يدل عليه بالقرينة وهو (الدهر) على سبيل الاستعارة المكنية.

ولأن النفاق صار خلقا بين الناس،فالمعري يؤثر العزلة على مخالطة الناس ،بل يدعو إليها ،فيقول [5] :

طباعُ الورى فيهَا النِّفاق فاقصِهم وحيداً ولا تصحبْ خليلاً تُنافِقُهُ

وما تُحسنُ الأيامُ أن رَزقَ الفتَى وإن كان ذا حظٍ صديقًا يُوفقـــهُ

يُضاحِكُ خِلٌ خلَّـــهُ وضمـــيره عبوسٌ وضَـــاع الودُّ لولا مرافِقُهُ

يصف الشاعر ظاهرة النفاق التي استشرت في المجتمع، وقد استطاع أن يقف عند حقيقـــة هذه الظاهرة المرضية ،عندما استخدم الصورة الاستعارية، ويرى أن الإنسان حتى ولو كان محظوظا ،فلن يجد صديقا يبادله المحبة،فأسند الإحسان إلى الأيام، ولما كان الضحك دليلا على السعادة،فقد عبر الشاعر عن الوجه المضيء للخليل،في حين عبر عن الوجه الخفي بالعبوس ،وبهذا استطاع الشاعر أن يجسد ماهو معنوي (الضمير) في صورة

---

(1)جابر عصفور،الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ،(ط3)، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ،1992م،ص ص 171،172.

(2)صبحي البستاني،الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ،المصدر السابق ،ص92.

(3)شرح اللزميات ، المصدر السابق ،ج3، ص81.

(4) أبو العلاء المعري،اللزوميات،ج2،ص417.

(*)الشّكيم :فأس اللّجام.

المحسوس، فـــ (الخِلُّ) واقع في النفاق، ولكي يبرز هذا المعنى لجأ إلى الاستعارة،حيث جعل الضحك وقاية يخفي به المنافق وراءه ما تنطوي عليه نفسه.كما عبر بالضياع لإظهار اليأس، ونبدد الأمل في إيجاد محبة وتآلف بين فئات الناس، ولتوصيل رؤيتة هذه لجأ إلى الصورة الاستعارية،حيث حذف المشبه به وأبقى ما يدل عيه بالقرينة وهو(الود) وجسد المعنوي في صورة المحسوس،على سبيل الاستعارة المكنية.

تتسم صور أبي العلاء بطابع السوداوية،حيث نجده يشخص الموت بأنه إنسان ســـارق،فحذف المشـــبه بـــه وهو(الإنسان)وأبقى ما يدل عليه بالقرينة، وهو (الموت)، على سبيل الاستعارة المكنية ،فيقول[1] :

والموتُ يسلبُ ما في الأنف من شَمَمٍ تحتَ التّراب وما في الخدِّ من صَعرِ

وقوله [2] :

وفاتَ ركضُ المَنايـــا ركْبَ القطيبِ وبدورهِ

فهو يصف المنايا وسرعتها مصورا إياها وكأنها شخص يركض ركضا سريعا من أجل إحـــراز الانتصـــار والفوز، إنها صورة استعارية كئيبة الملامح حزينة تعكس نفسية الشاعر ورؤيته تجاه الموت.

أما في ما يخص الزمان ،فقد نال حظا لا بأس به في شعر أبي العلاء، ونالت الصورة الاستعارية حظهـــا مـــن الزمان ،فيقول [3] :

ووجدتُ الزمانَ أعْجمَ فظاً وجُبارٌ في حُكْمِها العَجْماءُ

يرى الشاعر الزمان أعجميا، ورغم عجمته إلا أنه من أحسن الوعاظ، يعظ الناس ويرشدهم بحوادثه وصروفه وأيامه،وحكم الزمان الفظ الغليظ لا دّية فيه.

ومن بديع الاستعارة ، قوله[4] :

وَ قدْ أغْتَذِي واللّيلُ يبْكِي تأَسُّفاً على نفسهِ والنَّجمُ في الغَرْبِ مائِلُ

ولأنّ الليل لما كان قد أشرف على الزوال، والنهار قد أخذ في إقبال ،شبَّه الليل بالذي أشرف على حتفه،فهو يبكي على نفسه،لأن الليل يُشبه حين إقباله بالشاب المقتبل الشباب، وعند انقضائه بالشيخ المشرف على الهـــلاك والفناء.وقد استعار الشاعر هنا صفة البكاء التي هي من صفة الإنسان، وألصقه بالليل،فذكر المشبه وهـــو الليـــل وحذف المشبه به وهو الإنسان،وترك دلالة وقرينة على ذلك وهو (البكاء)،على سبيل الاستعارة المكنية.

ويقول [5]:

والدّهرُ يخطبُ أهلَ اللّب مذُ عقِلُوا ما خافَ عياً ولا أزرى به العصْرُ

هذه الصورة تعتمد التشخيص المعنوي ،فصورة الدهر في هيئة الإنسان ، يخطب في أهل العقول، دون أن

---

(1)أبو العلاء المعري،اللزوميات ،ج1،ص541.

(2) المصدر نفسه ،ج2،ص267.

(3) المصدر نفسه ،ج1،ص47، أعجم: العجمة :عدم الافصاح ، الفظ : الغليظ، الجُبار: الذي لادية فيه ، العجْماء: البهيمة.

(4) أبو العلاء المعري، سقط الزند ،ص108.

(5) أبو العلاء المعري،اللزوميات ،ج1،ص289.

يخشى غيره،وقد حذف المشبه به وهو (الإنسان) وأبقى على ما يدل عليه بالقرينة وهو (الدهر) على سبيل الاستعارة المكنية.

ويمكننا أن نستنتج أن أبا العلاء وهو يوظف الصور الاستعارية ،كان يختار من الصور ما يتلاءم ورؤيته الفلسفية والاجتماعية،فأحسن التمثيل وأحسن التشخيص،حتى أضحت صوره واضحة المعالم تتراءى للمتلقي دون غموض.

ج – الكناية :

الكناية فن من فنون التصوير البياني وأساليب التعبير الفني عن المعاني،وواد من أودية البلاغة وركن من أركان الفصاحة،شأنها شأن الاستعارة،ولا تقل أهمية عنها،إلا أنها تفتقر على نوع من الدقة والتفصيل ،فهي تحمل شيئا من الغموض والستر لكنه غموض بناء.

جاء في القاموس المحيط :" الكناية مصدر للفعل (كنيت،أو كنوت)،تقول كنيت بكذا عن كذا:تكلمت بما تستدل عليه،أو تكلمت بشيء وأوردت غيره[1].

وهي " لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي" [2].

ويعرفها شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني بقوله :" الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني،فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود،فيومئ ويجعله دليلا عليه ،مثال ذلك قولهم " طويل النجاد" يريدون طويل القامة و"كثير الرماد " يعني كثير القرى ، وفي امرأة "نؤوم الضحى" المراد أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها. فقد أرادوا- في هذا كله كما ترى- معنى،ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود ،وأن يكون إذا كان ،أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد،وإذا كثر القرى كثر الرماد، وإذا كانت المرأة لها من يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام إلى الضحى"[3].

إنّ الخفاء الذي تتميز به الكناية تجعل المتلقي يعمل عقله وفكره حتى يصل إلى عمق الصورة ،وبهذا الكناية تختلط نوعا مع الاستعارة"في الاستعارة يتقاطع الدال مع المدلول في صفة مشتركة ،أما الكناية فالتجاورهوأساسها، وبهذا الكناية لا تمتد إلى نهاية المعاني ، بينما تمتد الاستعارة إلى ما لا نهاية المعاني"[4].

وتكمن قيمة الكناية في التركيب البنائي للجملة المعتمدة على الرمز،والبعد عن المباشرة والتقريرية ،بالإضافة إلى ما تقوم به من تأكيد وإثبات للمعنى.

زخر شعر أبي العلاء بشتى أصناف الصورة الشعرية ،لكن الكناية لم تأخذ الحظ الوافر الذي أخذه التشبيه والاستعارة في شعره،حيث استخدمها كبناء راح يعلو صرحه حتى تكتمل رؤيته الفلسفية والاجتماعية والفنية ،

---

(1) الفيروز آبادي ،القاموس المحيط،(دط) مؤسسة الرسالة ،بيروت ، 1987م،ص713.

(2) السيد أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة،(ط1)،المكتبة العصرية،صيدا،بيروت،1999م،ص287.

(3) عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،المصدر السابق،ص16.

(4) فرانسوا مورو،البلاغة المدخل لدراسة الصورة البيانية ،(ط2)،دار إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء،2003م ،ص70.

من ذلك قوله في فساد الناس[1] :

قد حُجِبَ النورُ والضّياءُ وإنما دينـــُنا ريـــاءُ

وهل يجودُ الحيا أُناســـاً منْطوياً عنهُمُ الحياءُ ؟

يا عالمَ السَّوءِ ما عَلِمنا أنّ مُصَـــليّكَ أتقيـــاءُ

لقد استطاع أبو العلاء عن طريق الكناية أن يعبر عما يختلج في نفسه ،نحو الفساد الذي عم مجتمعه.فهو يصور العبث والانحلال الذي استشرى بين الناس حتى عمهم الفساد، تصويرا كنائيا،يتضح من خلاله مدى يأس الشاعر من صلاحهم، ويبدو ذلك من تأكيده لانتشار الظلمة وحجب النور،فالظلمة رمز معادل للخرافـــات والبـــدع والجهل، والانسياق خلف المنافقين والمرائين.

ويشير إلى عدم نزول الخير عليهم ، وحلوله لديهم ،إلى انحلالهم وتفسخهم.مستخدما في ذلك الصورة الكنائية ،ينم عن قدرة الشاعر وبراعة تصويره،ففي الشطر الأول من البيت الثاني ، كنّى عن عدم نزول الغيث(**وهل يجودُ الحيا أُناساً**)،أما الشطر الثاني فقد كنّى به عن عدم التزامهم ، وعدم تمسكهم بآداب الدين بـــ(**منْطـــوياً عنـــهُمُ الحياءُ**).

لذا نجده في البيت الثالث ،حديثا مشوبا بالتشاؤم،حيث يستبعد حصول الخير، والإقبال على الأعمال الصالحة من قبل بني جنسه،حتى ولو كانوا من أهل الصلاة خاصة ،فما بالك بالمبتعدين عن أداء شعائرهم المفروضة.

وفي زهده من الدنيا يكنّي ،فيقول[2]:

عرِفْتُ من أمِّ دَفْرٍ شيمَةً عجباً دلَّت على اللُّؤم وهي العنْفُ بالخَدمِ

فقد كنّ أبو العلاء الدنيا ب،(أم دفر)للؤمها وعنفها بالناس،الذين يخدمونها طيلة حياتهم، ويسعون وراءهـــا دون حساب للعواقب.

وقوله [3] :

توخ بهجرٍ أمّض ليلى فإنّها عجوزٌ أضلَّت حيَّ طسم ومأربِ

حيث كنى الشاعر بـــ(أم ليلى) عن الخمرة،وكذلك (العجوز)،لأنها تعمر طويلا بالتعتيق،وكان لهـــا الأثـــر السيء في الإفساد بين الناس وقبائل (طسم) و(مارب) خير شاهد على ذلك .

كما استخدم أبو العلاء الكناية ،للتعبير عن الموت،واعتبره واحد،مهما تعددت الأسباب، وتباين الأحداث، فقال [4] :

موتان: هذا بورس عُلَّ مِيتُهُ وآخرُ زاد عنْ ورسٍ بفرصادِ

---

(1) أبو العلاء المعري، اللزوميات ،ج1،ص43.

(2) المصدر نفسه ،ج2،ص451.

(3) المصدر نفسه ،ج1،ص147، أم ليلى والعجوز:من ألقاب الخمر :طسم:قبيلة من العرب البائدة،مأرب: مدينة باليمن اشتهرت بسدها.

(4) المصدر نفسه ،ج1،ص311، الورس: نبات أصفر ، الفرصاد:توت أحمر.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وفي نظرته للحياة،يقول أبو العلاء[1] :

أرى العنقاءَ تكبُرُ أن تُصادا فعاندْ من تُطيقُ لهُ عِنادَا

حيث كنى العنقاء عن صعوبة الحياة وعدم التمكن من تحقيق المراد منها بطائر العنقاء الأسطوري،فلا حيلة إلى اصطياده وكذا الدنيا،واجعل قدوتك في هذه الحياة من تستطيع أن تتأسى به،ولا تكابرالأيام والليالي.

ومن أشعاره، قوله مكنّيا على الفراق [2]:

إذا هبّتْ النَّكْباءُ بيْني وبينَكُمْ فأَهْوَن شيْئاً ما تقولُ العوازلُ

ويقول [3] :

قَدَماهُ وراءَهُ وَهْوَ في العَجْزِ كَساعٍ ليستْ لَهُ قَدَمانِ

فقد كنّى عن طول الليل،فجعل نجومه لطوله وكأنها لا تسير من مكانها.

لقد حفل شعر أبي العلاء، خاصة الاجتماعي منه ،بالكناية وذلك محاولة منه ،لمخاطبة العقل أولا،ثم لتحريك أحاسيس الناس ومشاعرهم،تجاه الوضع العام الذي ساد مجتمعه من جهة ثانية.

1-2- الصور البديعية:

الصور البديعية"وسيلة ومن وسائل التصوير الشعري لا تقف عند تجانس لفظتين أوتقارب عبارتين أو ترديد كلمتين،بل تتعدى ذلك إلى إثارة مخيلة المتلقي،ومخاطبة سمعه،وبث الاندهاش في نفسه،وحمل ذهنه على التحليل والتركيب لكي يظفر بالمتعة الفنية"[4].

جاء في فن البديع أنه "ليس ترفا في الأسلوب الأدبي أو الحلية التي تكون بمثابة الفضول التي يستغني عنها ،حتى يكون مكانه في المؤخرة من عناصر العمل الفني، ولا هو يأتي بعد استفاء البلاغة لعلمي المعاني والبيان،بل منزلته لا تقل شأنا عنهما" [5].

ومن هنا نلمس مدى الأهمية التي أولاها الشعراء للصورة البديعية ، ورسم من خلالها رؤاهم وأحاسيسهم المختلفة.

أ- الصورة الطباق:

ويعتبر الطباق من التضاد اللفظي الرائع الذي يستعمل لاستمالة القارئ بصورة غير مباشرة،والصورة الطباق تثير آذان السامع بما يكون فيها من تماثل وتجاذب وتناسق بين المفردات،فتحدث بذلك جرسا موسيقيا يكسب الشعر طراوة ونغمة.

إذن فالطباق هو تقابل كلمة بكلمة أو لفظ بلفظ آخر، ولقد احتفى شعر أبي العلاء بهذه الصورة،بل هي

---

(1) أبو العلاء المعري، سقط الزند، ص197.

(2) المصدر نفسه ،ص106.

(3) أبو العلاء المعري،اللزوميات ، ص378.

(4) عبد الحفيظ بوالخراص،الغربة والحنين في شعر ابن حميدس الصقلي،رسالة ماجستير،جامعة فرحات عباس،سطيف،2005،ص 154 .

(5) عبد القادرحسيني،(دط) فن البديع،دار الشرق ،(دت)بيروت،ص11.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الأداة الأكثر استعمالا،والتي تبين عن رؤية المعري الكلية،من ذلك قوله [1]:

كالغُول غالَتْكَ بتلوينها بَيــنَ تقدّيها وتَبنيسها

يرسم أبو العلاء صورة من تناقضات الدنيا ،ومزجها بالتشبيه،ليحقق رؤيته الفلسفية في الدّنيا،التي شبهها بالغول وبين تقديم وتأخير(تقدّيها،تنبيسها)،وقد أراد بهذا البديع أن يحذر من اللهث وراء الدنيا، كما اتسمت صورته البديعية بالحركة.

وفي نفس السياق ،يقول أبو العلاء[2]:

ألاَ إنَّما الدُّنْيا نُحُوسٌ لأهْلِهَا فمَا أنْتَ في الزَمَانِ أنتَ سُعودُ

إنها جدلية الدنيا والزمان،ولكي يبرز الشاعر مفارقته ،يستخدم الطباق(نحوس،سعود)، فالدنيا ،إذا أسرَّتك يوما، أحزنتك أياما، وهذا هو حال الدهر وصروفه.

أما قوله [3]:

وحُكماً لِهَذا الدّهْرِ صاحَ بقائِمٍ من العَالم اجلسْ أو دعَا جالساً قُمْ

بين كلمتي (اجلس،قم)،دهر مليء بالمتناقضات والأضداد،وقد غلف هذا الطبــاق بظلال من الحزن والألم، والتفجع من لعبة الدهر، وأجزاء هذه الصورة متمثلة بعنصر الصوت (صاح).

ولأن قضية أبي العلاء الأولى فساد مجتمعه،نجده يقول في مقارنة عجيبة [4]:

فليتَ شبابَ قومٍ كان شيبًا وليْتَ صِباهم كان إكْتهالاَ

ولأنّ مرحلتي الشيب و الكهولة ،هما مرحلتا النضج في حياة الإنسان ،فهو يتمنى أن لو أضــحى الشــباب شيبا،وأمسى الصبا إكتهالا،عسى برشدهم ينتهون عن فسادهم وضلالهم وغيهم.

ويقول [5]:

بُعْدي من النَّاسِ برءٌ من سّقَامهمْ وقربُهمْ للحجى والدّين أدْواءُ

يرى الشاعر أن عزلة الناس شفاء له من أمراضهم ،ولا علاج لهم إلا العقل وكمال الدين، مستخدما الطباق في كلمتي (بعدي،قربهم)،في صورة فنية جميلة.

أما المقابلة وهي أن يؤتى بمعنيين أو معان متوافقة، ثم يؤتى بمقابلها على الترتيب،فإن أبا العلاء قد استعملها في تصوير مواقفه الفلسفية والظواهر المتناقضة في مجتمعه،من ذلك قوله في الموت[6] :

ولِجسْمي إلى التراب هُبُوطٌ ولروحِي إلى الهوَاءِ صُعودُ

ولأنّ أبا العلاء كان له موقفا من الموت والحيــاة،كثيرا ما كان يقيم صوره الفنيــة على تقديم صورة بشعة

---

(1) أبو العلاء المعري، اللزوميات ، ج2،ص429.

(2) المصدر نفسه ،ج2،ص441.

(3) المصدر نفسه ،ج1،ص29.

(4) أبو العلاء المعري، سقط الزند، ص282.

(5) أبو العلاء المعري، اللزوميات،ج1،ص40.

(6) المصدر نفسه،ج2،ص64.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

للموت تارة، وتقديم صورة جميلة تارة أخرى ،فيقول [1]:

ما أعدلَ المَوْتَ منْ آتٍ، وأسْترَهُ فَهَيجَـــني فَإني غيرُ مُهْتَاجِ

العيشُ أفقرَ منَّا كلَّ ذاتِ غنىً والموتُ أغنى بحقٍّ كلَّ مُحتَاجِ

إذَا حياةٌ عليـــنا،للأذَى فَتَحَتْ بابًا من الشَّـــرِ لاقاهُ بإرتَاجِ[*]

وكأنّ بأبي العلاء بتلك المقابلة الثنائية(العيش ،الموت)و(أفقر ،أغنى)،يريد أن يثبت خيار الموت على الحياة،لأن الحياة أبواب شرورها كبير ولا أحد يستطيع غلقه ورده ، إلا الموت ،وكل هذا في صورة عميقة الدلالة،حســـنة الإبداع.

وتتجلى فلسفته واضحة في حال الدّنيا،حيث يقدم صورة تقابلية لها،وأن الدنيا في رؤية أبي العلاء لا أمان لها، بل هي غدارة إذا أعطت باليمين ،أخذت باليسار ،فيقول[3] :

وَدُنْيايَ إنْ وهبت باليمين يسَارَ الفتى أخذَت باليَّسَارِ

إنَّ اللافت في صور الشاعر أبي العلاء،أنه كان يقيمه على الطباق،ليحقق موقفه من الحياة عموما ومن المجتمع خصوصا،حيث يتسنى له استخلاص من هذا التضاد والتناقض فلسفته الخاصة،لذلك برز كلمـــات شـــهيرة في قاموسه الشعري ، نذكر منها:الموت والحياة،الدهر، الزمان، وهي أهم العناصر التي بنى عليها أبو العلاء صـــوره الطباقية،فقد استفاد من سوء حال عصره المملوء إلى حد التخمة بالمتناقضات.

ب–الصورة الجناس:

يعتبر الجناس من أهم مباحث علم البديع وأحد العلوم الثلاثة التي تتألف منها البلاغةالعربيةوهي:المعاني والبيان والبديع،وميدانها جميعا متضافرة هو نظم الكلام،وغايتها تأليفه على نحو يضفي عليه نعـــوت الجمال الفني ،فهي تكشف للمتعلم عن العناصر البلاغية التي ترقى بالتعبير صعدا نحو الكمال الفني،كما تضع بيـــن يديه الأدوات التي يستطيع بالتمرس بها والتدرب عليها أن ينشئ الكلام البليغ.

والجناس هو"أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منها صاحبتها في تأليف حروفها "[4]،أي تشـــابه الألفاظ في حروفها مع تحمل معان مختلفة، وهذا التجانس في الألفاظ يكسب الصورة الفنية إيقاعاً موسيقيا وجرسا صوتيا خاصا.

من ذلك قول أبي العلاء المعري [5]:

قضاءُ اللهِ يبتَعثُ المَنايَا فَيُهْلِكْنَ الأسَاوِدَ والأسُوَدَ

---

(1) أبو العلاء المعري،اللزوميات،ج1،ص270.

(3) المصدر نفسه ، ج1،ص407.

(4) أبو هلال العسكري ، كتب الصناعتين ،المصدر السابق ،ص353.

(5) أبو العلاء المعري ، اللزوميات ،ج 1،ص230.

(6) المصدر نفسه ، ج 1، ص291.

(*) الإرتاج:الإغلاق.

وقوله [1]:

زَكَنُ المَنَايَا إنَ زَكَوْنَ فَنعْمَةٌ مِنَ اللهِ دَامَت للزَّوَاكِي الزَوَاكِنُ

نلاحظ في البيتين السابقين ،صورة الجناس،في قول الشاعر:(الزواكي ،الزواكن)وفي (الأساود،الأسود)، ممـــا أضفى جوا موسيقيا مؤسرا للعواطف.

وقوله [2]:

خَيرُ الحَيَاةِ شُرُورها وسُرُورَها منْ عاشَ غداة أوّل المتقاربِ

فالجناس في كلمتي (شرورها ،سرورها) ، تحمل رؤية أبي العلاء المتناقضة في شأن الحياة.

ومن ضروب الجناس عند أبي العلاء، على نحو ما نرى في قوله [3]:

ذَوى كالروضِ زوضُكَ يومَ شَبّتِ جِمارٌ من لظَى أسفٍ ذوَاك

الجناس هنا بين كلمة وهي (ذواك) وحرف(دوى)،ولأن حياته يكتنفها التشاؤم والضبابية ،أراد أن يأتي بما لم تعهده العرب،وخطى بذلك خطوة جديدة في سبيل الإبداع والابتكار اللفظي.

ومن المجانسة التي نجدها في شعر أبي العلاء ، والتي تبين عن مقدرته البلاغية والفنية ، أن راح يجانس بين مطلع البيت وقافيته،على نحو ما نرى في قوله [4]:

لَوَاكِ اللّه عَنّا حِينَ بِتْنَا قَريباً من صَرِيمكِ أو لَوَاكِ

شَواكِ منعته ذهبا مصوغا مخافة ما يفوه به شواكِ

حيث جانس بين مطلع البيت(لواك والتي بمعنى أمالك)وقافيته(لواك والتي بمعنى منقطع الرمل)،وكـــذلك بـــين (شواك والتي بمعنى اليدان والرجلان والعنق) و (شواك والتي بمعنى ج ،م: شاة)، وهذا ما يسمى في علم البديع "رد الأعجاز على الصدور".

2-2- الصور الرمزية والمتناصة :

من الأدوات المستخدمة كذلك لبناء الصورة في شعر أبي العلاء،أدوات معنوية كالرمز والتناص .

2-2-1-الرمز :

لغة :يعرف ابن منظور الرمز"كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ أي شيء أشرت إليه بيد أو بعين"[5].

اصطلاحا :يعرفه محمد غنيمي هلال:بـــ"الإيحاء ،أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على أدائها اللغة في دلالاتها الوضعية"[6].

---

(1) أبو العلاء المعري، اللزوميات ،ج1،ص 113.

(2)المصدر نفسه ، ج1،ص119.

(3) المصدر نفسه ،ج2،241.

(4)المصدر نفسه ،ج2،ص241.

(5) ابن منظور،لسان العرب ،المصدر السابق ،ج5،ص356،مادة (رمز).

(6) محمد غنيمي هلال،الأدب المقارن،(دط)،دار العودة،بيروت،1983م،ص398.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

إنّ اللفظ مفردا أو تركيبا لا يأتي في بنيان النص الشعري عفويا ، وإنما يقصد إليه الشاعر قصدا ، لهذا يؤثر الشاعر لفظة على أخرى وتركيبا دون الآخر ، وما هذا إلا لحاجة في نفسه ، سرعان ما تبدو جلية عند استقراء النص و استنطاق دلالته ، ومن تلك الدلالات التي يرضخ لها الشاعر الدلالات الرمزية ،التي يكتسبها في الغالب من البيئة التي يعتركها أو نتاج شرعي لمخزونة الثقافي .

تعد الصورة الرمزية من أبرز وسائل التعبير في الشعر العباسي بما تهيئه من قدرة على نقل الشعور والإحساس وتثبيت الآثار العاطفية في النفوس ،وتصوير المعاني العقلية ويتم ذلك من خلال تجسيم الإحساس أو الأفكار ، " فالرؤى تتجسد أو تتوسل في التعبير عن نفسها عبر رموز استعارات و كنايات و صور ...إلخ ، أي أسلوب التعبير غير المباشر "[1]

إنّ اللغة تركيب "لتصوير معنى عقلي و عاطفي متخيل لعلاقة بين شيئين يمكن تصويرهما بأساليب عدة ، إما عن طريق المشابهة أو التجسيد أو التشخيص أو التجريد أو الترسل "[2].

وهذه الأساليب تنقل الشعر من التعبير المباشر عن التجربة إلى تعبير يعتمد الإيحاء ، وبذلك أصبحت الصورة الشعرية في الشعر القديم ، صورة :"عضوية في ظل تجربة عضوية صادقة و أصبحت تعبيرية إيحائية لا تقف عند الحسّ ولا تسلك مسالك الوصف المباشر أو البرهنة العقلية "[3]

فالصورة الرمزية في أبسط تعاريفها ، هي الصورة التي تتجاوز حدود الدلالة الحسية الضيقة ،وتعتمد على الإيحاء الرحب ، وليس على تقرير الأفكار أو بسطها[4] ، والناجحة من هذه الصور تنقل للقارئ ما يعتمل في ذهن الشاعر من مشاعر و أفكار و عواطف ، تراعي الحالة النفسية لصاحبها ، وتنمو عن الخيال الشعري ، وتفصح عن المصدر الذي استقى منه الشاعر صورته ، وفي ذلك يرى علي البطل في تعريف الصورة ، أنها : " تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها "[5].

وتبدو قيمة الأشكال الرمزية بما" تفتحه على النص من تصورات مختلفة ، إيحاءات متعددة ، نقف بها على أفكار ووجدانات و مواقف إنسانية ، فنفهم كيف أن الصور الرمزية تحطم أطرد اللغة "[6].

وتتخذ الصورة الرمزية أداة تعبير فلا يلتفت إليها في ذاتها ولا يقف المتأمل للنص الأدبي عند مجرد معناها ، بل إن هذا المعنى يثير فيه معنى آخر هو ما يسمى معنى المعنى ، بعبارة أخرى أصبح الشاعر يعبر بالصورة الكاملة عن المعنى كما كان يعبر باللفظة، فالصورة الكاملة إيحاء برمز والرمز وحدته الأولى صورة حسية تشير إلى معنوي لا

---

(1) طراد الكبيسي ، الغابة و الفصول ، (ط1)دار الرشيد ، بغداد ، 1975م، ص 173.

(2) ينظر :صالح أبو أصبع، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، (ط1)،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،1979م ،ص3.

(3) محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ،(دط) دار نهضة مصر ، (دت)، ص460.

(4) أحمد محمد فتوح ، الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر ،(ط1)، دار المعارف ، القاهرة ،1978م، ص306.

(5) علي البطل الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ،المصدر السابق، ص30.

(6) صبحي البستاني،الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الأصول و الفروع ،دار الفكر اللبناني،بيروت ، ط1، 1976م، ص :188.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

يقع تحت الحواس ، ولكن هذه الصورة و حدها قاصرة عن الإيحاء ، سمة الرمز الجوهري و الذي يعطيها معناها الرمزي إنما هو الأسلوب كله ، فعلاقة الصورة بالرمز هي علاقة الجزء بالكل[1].

أ- الرمز اللغوي :

نجد أن أبا العلاء قد أفاد من ألفاظ القرآن الكريم في شعره، خاصة في مسائل الغيبية وقصص القرآن الكريم، من ذلك قضية خلق الإنسان و بعثه، والذي يبق الإنسان يجهل حقيقة أسرار البعث يوم القيامة، مهما أوتيا من علم . فقد ستخدم الشاعر عبارة" النفخ في الصور" الواردة في سورة الكهف﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾[2]،كرمز لذهاب قرون ومجيء قرون ولا أحد يستطع أن يطلع على هذا السّر الغامض، فقال[3]:

مَضَتْ قرونٌ وتَمْضي بعدَها أمَمٌ والشرُّ خافٍ إلى أنْ يُنفخَ الصُّورُ

كما وظف مفردة(الحشر)والتي تعني المشهد الذي يأتي بعد البعث يوم القيامة،استخداما رمزيا"للدلالة على ضرورة القيام لمحاربة العدو،بعد طول رقدة ونوم،فهؤلاء البشر نيام،لا يعتدون بالعدو الذي يريد مهاجمتهم،فهو يدعو إلى اليقظة ،إذا دعاهم الملك " [4]،حيث يقول [5] :

وأعجَبُ ما تخشاهُ دعوةُ هاتفٍ أتِيتُم فهبّوا يا نيامُ إلى الحشْرِ

"وهذه الدلالة الرامزة إلى محاربة العدو متأتية من أن الحشر يأتي بعد الموت وبعد رقدة القبر الذي لا يدري إلا الله سبحانه وتعالى مداها وكذلك الناس في زمن المعري نيام لا ينتبهون إلى العدو الذي يريد مهاجمتهم بعد طول انتظار"[6].

ب- الرمز الموضوعي:

كان لحفظ القرآن الكريم والتشبع من معانيه و الإطلاع على قصصه،والتعرف على أعلامه، الأثر الجم في شعر أبي العلاء ،حيث أفاد من أجزاء منها في أشعاره،ليدعم رؤيته الشعرية، وللإشارة أن هذه الأعلام التي وردت في القرآن الكريم هي شخصيات حقيقية واقعية،فلا مجال للإبداع أو الابتكار فيها كما هو الحال في الرواية الحديثة أوالقصة.

والأعلام القرآنية هي ملك مشاع لكل شاعر ،يوظفها في شعره بما يخدم مقصده،" وقد عمدوا إلى الإفادة من الأعلام القرآنية وتوظيفها توظيفا يؤدي إلى إغناء التجربة الشعرية ويمنحها أبعادا غير مباشرة ويقربها إلى الوجازة

---

(1) ينظر :أحمد محمد فتوح ، الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر،المصدر السابق ،ص140.

(2)سورة الكهف ، الآية 99.

(3)أبو العلاء المعري، اللزوميات ،ج 1،ص331.

(4) ريما عبد الكريم رجوب، أثر القرآن في شعر أبي العلاء المعري ،المرجع السابق ،ص134.

(5) أبو العلاء المعري، اللزوميات ،ج1،ص309.

(6) ريما عبد الكريم رجوب، أثر القرآن في شعر أبي العلاء المعري، المرجع السابق ،ص134.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

والتكثيف الذي هو دعامة أساسية من دعائم الرمزية وقد اصطلح على تسمية هذا النوع من الرمز بالرمز الموضوعي" [1].ونجد أبا العلاء في شعره يستدعي بعض الأعلام، على نحو قوله [2] :

أُصَدّقهُ في مِريَةٍ وقدْ امترتْ صحابةُ موسَى بعد آياتهِ التِّسعُ

إنّ أبا العلاء في هذا البيت يشير إلى أصحاب موسى،الذين كثيرا ما كانوا يرتدون عن الحق، رغم الآيات التي أنزلها الله عليهم،مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾[3]

وذكره لموسى وآياته التسع،إنما هو ملمح رمزي موضوعي ،قصده،إبراز ظن الأصحاب بعضهم ببعض في موضع صدق الرجل، وهي من مظاهر فساد الأخلاق في مجتمع الشاعر ،كما ظن أصحاب موسى عليه السلام بصدق معجزاته التي أنزلها الله سبحانه وتعالى عليه.

ومن أسماء سيدنا موسى عليه السلام "الكليم"، وهي ميزة لم يهبها الله لغيره من الخلق ،فإن أبا العلاء، يستخدم هذا الرمز ليتحدث عن رجل ليس هو الكليم موسى عليه السلام،ولكنه حل في دار مباركة كما حل موسى عليه السلام،ونودي هذا الرجل كما نودي موسى عليه السلام،لأن صاحبه كان يسكن في الجانب الغربي من بغداد،فقال[4]:

لسْتَ الكليمَ وفي دارٍ مباركةٍ حَلَلْتَ والجانبِ الغربي نُوديتاَ

فالشاعر ،نفى صفة "الكليم" عن صاحبه واستحضر المكان وهو (الجانب الغربي) في صورة رمزية،وبطريقة إبداعية تنم عن ثقافة أبي العلاء الواسعة.قال تعالى ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [5].

ومما يلاحظ على استحضار الصورة الرمزية في شعر أبي العلاء،أنه شديد التأثر بقصة سيدنا موسى عليه السلام ، وقد يكون مرد ذلك تنوع عرض قصته في القرآن الكريم ،ضف كونه الأكثر ذكرا في القرآن الكريم،لذلك نجده يشير إلى قصة سقي موسى عليه السلام لابنتي شعيب عليه السلام،يقول أبو العلاء[6]:

كنْتَ موسى وافَتْكَ بنتَ شعيبٍ غيرَ أن ليْسَ منكُم منْ فقَير

يورد الشاعر مشهدا رمزيا،عندما تولى سيدنا موسى إلى الظل ،بعد أن سقى لابنتي شعيب عليه السلام،وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [7].

---

(1) محمد مندور،الأدب ومذاهبه ،(د ط)، نهضة مصر للطباعة والنشر، (دت)ص124.

(2) أبو العلاء المعري، سقط الزند ،ج2 ،ص96.

(3) سورة الإسراء آالآية 101.

(4)أبو العلاء المعري، سقط الزند، ج1،ص167.

(5) سورة القصص،الآية44.

(6) أبو العلاء المعري،اللزوميات، ج1،ص 227.

(7) سورة القصص، الآية 24.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

بل إنّ أبا العلاء يتخذ من "السامري" رمزا للضلال،فقد أضل قومه،بإخراجه لهم العجل جسدا له خوار،فأذله الله على سوء فعله، وعاقبه الله عقابا شديدا أن يلحقه الأذى والألم عند المس من شدة الحمّى،مما اضطره إلى ترك الناس،فقال [1]:

بكَى السامريُّ الجَفنَ إنْ لامسَ الكَرَى لهُ هَدْب عَـــيْن مسَّهُ بِسجـــَال

ومعنى هذا كما ورد في شروح سقط الزند ،أي كأنه سامري الجفن،إن مسّه النوم اغتسل بالدمع وهذا مبني على قوله سبحانه وتعالى في قصة السامري: ﴿ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا ﴾[2].

واتخاذ الشاعرمن"السامري"رمزا للضلال ،في بيت شعري،يختزل مسافات القصة الطويلة ،إنما هي دعوة فيها كثير من التوجيه والتربية ،لمجتمع كثر فيه السامريون.

ج–رمز الطبيعة:

لم يكتف المعري ،برمز الاعلام الواردة في القرآن،فقد حضرت"الأنثى" كأخصب الرموز في شـــعره،بدلالات وجودية وطبيعية.من ذلك أنه أجرى على "الدنيا"، مجرى المؤنث الحقيقي، ويشير إليها :أم دفر،والأم المسيئة، وشر والدة، وأخت الهجر، والطامث التي لا يستقيم نكاحها، والغانية التي يجب أن نلقاها بالزهد،والكعاب التي تؤدي إلى الهلاك،والهلوك،والأشبه بالغول،لذلك نجده يربط بين المرأة والدنيـــا والأفعى ،في علاقة ثلاثيـــة ،في صـــورة رمزية ،تبين عن حقيقة رؤية أبي العلاء للدنيا، وموقفه منها ، من ذلك قوله [3]:

إنَّ دُنياكَ من نهارولِيلٍ وهي في ذاك حية عرماءُ

ويتخذ من أنثى الطبيعة"الأرض" التي برزت للمعري بأكثر من وجه . فهي دنس غير قابل للطهارة عندما تكون حاضنة للبشر، ومرتبطة بأنثى المجتمع ، وهي هنا أرض الوجود الاجتماعي، المقرونة بالنقص والصراع،يقول [4]:

هَلْ يَغسلُ الناس عن وجهِ الثرى مطرٌ فما بقُوا لم يبارح وجهه دَنَسُ

والأرض ليس بمرجـــوٍّ طهـــارته إلاّ إذا زال عن آفاقها الأنَـــسُ

تناسَلـــوا، فنمى شرٌّ بنـــــسْلِهم وكم فجورٍ إذا شبّانهم عنَـــسُوا

كما هي رمز للعطاء،عندما تكون مسرحا للربيع وفعله، وتنتمي لعالم الطهارة والجمال ،فيقول [4]:

قدْ أتـــاكَ الربيـــعُ يفـــعلُ ماتـــأ مرهُ فِعْلَ عبـــدكَ المـــأمور

وكسا الأرض خدمة لك يامـــو لاهُ دونَ الملوك خُضْر الحَرير

---

(1)أبو العلاء المعري، سقط الزند ،ج2،ص187.

(2) سورة طه، الآية 97.

(3) أبو العلاء المعري، اللزوميات،ج2،ص47،عرماء:الرقشاء التي فيها سواد وبياض.

(4) المصدر نفسه ،ج2،ص22.

(5) أبو العلاء المعري، سقط الزند ،ج ،ص76.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فـــهي تُختالُ في زبَرجدَة خضْـــ راءَ تُغْـــذى بلـــؤلؤٍ منْـــثُور
وغـــدت كلُّ ربوةٍ تشتهي الر قصَ بثوبٍ من النباتِ قصِـــير

2-2-2- التناص:

التناص لغة :

إنّ كلمة التناص مأخوذة من الجذر اللغوي"نصّ" و"نصص" ومن الدلالات اللغوية لهذا الجذر هـــي الرفـــع والظهور وأقصى الشيء.(فالنص) رفعك الشيء، نصَّ الحديث يَنُصُّهُ نصاً:رفعه وكل ما أُظهر فقد نُصَّ، والمنصة ما تُظهَرُ عليه العروس لترى، ومنه قولهم"نصصت المتاع إذا جعلت بعضه على بعض، ونصَّ الرجل نصاَ إذا سأله عن شيء يستقصي ما عنده، ونص كل شيء منتهاه"[1].

وهذه المعاني ما يوحي ببعض مفاهيم التناص التي تعني وجود إشارات مـــن نصوص سابقة في نص لاحـــق.

ولـــ "النص" دلالة أخرى وهي الحركة فيقال "حيةٌ نصناص :كثيرة الحركة"[2].وهذا يقارب حركة النصـــوص وتداخلها مع بعضها .وتدل مادة "نصَّ" أيضا الازدحام التي ورد ذكرها في تاج العروس في قولهك" تناص القـــوم ازدحموا" [3]، وفي ذلك أيضا إشارة إلى مفهوم التناص حيث تجتمع النصوص في مكان واحد وتتداخل كما يوحيه فعل الازدحام.

التناص اصطلاحا :

لم يعرف مفهوم التناص في الدراسات النقدية إلا في العقود الأخيرة بالرغم من وعي النقاد العرب القـــدامى لعلاقات النصوص بعضها مع البعض الآخر و لم تستخدم تلك الدراسات مصطلح التناص وحده الذي هو ترجمـــة للمصطلح الأنجليزي ***intertextualit*** بل استخدمت مصطلحات مرادفة مثل التناصية والنصوصية و التعـــالق النصي وتداخل النصوص والحوارية [4] والنص الغائب . ومع اختلاف هذه المصطلحات إلا أن هنـــاك جامعـــا يجمعها ويربطها وهو الكشف حالة من العلاقات القائمة بين نص ونصوص أخرى .

ومن أكثر تعريفات التناص داولا هو التعريف الناقدة الفرنسية جوليا كرستيفا حيث رأت أن التناص "تقاطع داخل النص لتعبير (قول) مأخوذ من نصوص أخرى "[5].

من الأدوات التي استخدمها أبو العلاء في بناء الصورة،التناص أين تتقاطع كثير من قصائده مع نصوص أخرى كثيرة ، وينبغي النظر إلى ذلك بوصفه نتيجة لثقافته اللغوية الواسعة،ومعارفه التاريخية والدينية والفلسفيّة والأدبيـــة العميقة،لذلك نرى في شعره مدى سعة محفوظِه من القرآن الكريم و اطلاعه على الأساطير والشعر العربي،ويعيـــد تنصيصها بطريقة تنسجم تماما والمغزى من قصيدته.

---

(1)ابن منظور،لسان العرب،المصدرالسابق ،مادة(نصص)،ج14،ص162.

(2)الفيروز آبادي،القاموس المحيط،المصدرالسابق ،مادة (نصص)،ص582.

(3) الزبيدي،تاج العروس،تح: عبد الكريم الغرباوي،(دط)،مطبعة حكومة الكويت،1979م،مادة (نصص).

(4) محمد خير البقاعي ، آفاق التناصية المفهوم و المنظور،(دط) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998،ص 60.

(5) جوليا كرستيفا،علم النص ،تر:فريدة الزاهي،مر:عبد الجليل ناظم،(ط1)،دارتوبقال للنشر،الدار البيضاء،1991م،ص21.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

أ- التناص مع القرآن الكريم:

لقد شكل القرآن الكريم بفضل فصاحته وبلاغته التي تحدى بها الله تعالى فصحاء العرب، نصا مقدسا، ومصدرا إعجازيا أحدث ثورة فنية على معظم التعابير التي ابتدعها العربي شعرا ونثرا؛ وقد سعى إليه الشاعر في تناصاته لترقية أبعاده اللغوية والفكرية، لأنه العروة الوثقى التي يتمسك بها؛ ونحن إذ ندرس الأداة في شعر أبي العلاء، فإنما نريد محاورة النص الغائب في القرآن الكريم فالتناص القرآني يجعل الشاعر يميل بلغته الشعرية صوب آفاق التحليق بواسطة الإشارة والإيحاء ، وهذا يستدعي استبطان شعر أبي العلاء،للوقوف عند هذه التناصات، والتي استخدمها كأدوات في بناء الصورة الفنية .

يقول أبو العلاء [1] :

وتوخَّى له النَّجاةَ وقد أيـ ـقن أن الحِمامَ بالمرصادِ

"والقارئ الذي ليس له صلة بالأجواء القرآنية قد لا يستطيع أن يستخرج من النص معنى أبعد من دلالته الظاهرة ولكن ذوي الثقافة القرآنية سيتمثل ذلك لهم في مخيلتهم حين يذهبون إلى مفردة"المرصاد" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴾[2].والراغب الإصفهاني قد أكد هذا المعنى ذاته ولكن نبه أن لا مهرب ولا ملجأ للإنسان من الموت. وهذا يتمفصل مع رؤية المعري للموت واستسلامه للقدر" [3].

كما نجد الشاعر يعمد إلى الألفاظ القرآنية من باب التناص المعنوي ، على نحو قوله [4] :

وتوق أمرَ الغانياتِ فإنَّه أمرُ إذا خالفتهُ لم تندمِ

وهذا في إشارة إلى قوله تعالى:﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[5].

ومعنى هذا أنه يجب الحذر من مخالفة هدي النبي صلى الله عليه وسلم،أما في البيت فالمخالفة،إيجابية،ففيها النجاة،لأن الغواني يحرصن على جمع الحطام، وقد عمد الشاعر إلى التصوير في لغته وأدواته التصويرية.

وفي مقام آخر،نجد أبا العلاء يتناص مع لفظة القرآن(غور)،في معالجة ظاهرة اجتماعية وهي النفاق والمرآة، فقال[6]:

يغيضُ إليك غورُ الماء شوقاً ويظهرُ نفسهُ حتى يسيمَا

وذلك في إشارة إلى قوله تعالى ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ﴾ [7].

وقد وظف الشاعر نفس المفردة الواردة في القرآن الكريم،بازدياد الشوق وغوره في النفس كما يغور الماء في أعماق الأرض،وكذا حال الشوق الزائف يغور مثل غور الماء في الأرض.

إنّ مما يلاحظ على انتقاء الشاعر لألفاظ ومعاني القرآن ،يتناغم ورؤيته الفلسفية والفنية،بحث يعمد إلى الصور

---

(1) أبو العلاء المعري، سقط الزند ،ص11.

(2) سورة الفجر ، الآية 14

(3) ريما عبد الكريم رجوب، أثر القرآن في شعر أبي العلاء المعري، المرجع السابق ،ص120.

(4) أبو العلاء المعري، سقط الزند ،ص328.

(5) سورة النور،الآية64.

(6) أبو العلاء المعري، سقط الزند ،ص231.

(7) سورة الملك ،الآية،30.

القرآنية،ليصور مشاهد واقعه الاجتماعي،وبذلك ، يختزل المسافات للوصول إلى ذهن المتلقي،فيقول [1]:

واخْلَعْ حذاءَك إنْ حاذيتها ورعًا كفِعل مُوسى كليمُ الله في القُدسِ

ويريد الشاعر بذلك قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾ [2].

وأصل القدس الطهارة ومنه القدوس طهارته مما نسبه إليه، وهو يجسد هذه الصورة لمن أراد العفة والصلاح.

كما استخدم أبو العلاء كلمة(الطوي)، حيث ربط بين طوي السجل وطوي الصبا والشباب،فقال[3]:

طويت الصبا طيّ السّجلِّ وزارني زمانٌ لهُ بالشيبِ حُكمُ وإسجالُ

وذلك في إشارة إلى قوله تعالى :﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[4].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا ،فإن أبا العلاء ،حيث يتقاطع شعره مع كثير من ألفاظ ومعاني القرآن الكريم،يكون قد وجد ضالته ،ليعبر عن كوامن دخيلته ،وما يحس به من صراع داخلي، ويسمعنا أصداء نفسه، وما تضج به من آلام وأحزان.

ب–التناص مع الأسطورة:

وظف أبو العلاء الأسطورة في قصيدة الرثائية(ضجعة الموت رقدة)الأسطورة،عندما تحدث عن أسطورة الحمام في البكاء على كبيرها الذي فقدته في الطوفان،واستحضرها في التمهيد للبكاء والتفجع على فقيده أبي حمزة والدعوة إلى الحزن عليه، وقد ركز على استحضار الأسطورة على ما تظهره من وفاء لمن فقد عزيزا عليه، ولعله وجد في الحمام صدق الحزن الذي لم يجده في الناس، ولعله أراد بذلك،تعميم مصيبته حتى تصل إلى كل الكائنات،فالحمام ناقل للأخبار ويجوب الدور والدار،ثم إن أبا العلاء كثيرا ما كان يضيق صدره من البشر وأفعالهم.يقول[5]:

أَبَناتِ الهَديلِ أسْعِدْنَ أوْ عِدْ نَ قَليلَ العَزاءِ بالإسْعَادِ
إيه للّهِ دَرّكُنّ فأنْتنّ اللّـ ـوَاتي تُحْسِنّ حِفْظَ الوِدادِ
بَيْدَ أنّي لا أرْتَضِي مَا فَعَلْتُـ ـنَّ وأطْواقُكُنّ في الأجْيَادِ
فَتَسَلّبْنَ وَاسْتَعِرْنَ جَميعاً منْ قَميصِ الدّجَى ثيابَ حِدادِ

فقد وجد نفسه،يدعو إلى التخفف من مظاهر الحزن بما يخرج العاقل عن طوره، وأراد لنفسه ولغيره من ذوي الفقيد حسن العزاء، وكانت الأسطورة الثانية ،في سياق ما يريده أبو العلاء،فقصة سليمان حينما خاف على

---

(1) أبو العلاء المعري، سقط الزند ،ص121.

(2)سورة طه،الآية 12.

(3) أبو العلاء المعري، سقط الزند ، ص145.

(4)سورة الأنبياء، الآية 104.

(5) أبو العلاء المعري، سقط الزند،ص8.

ابنه من الموت وملابسات القصة الموت وحتميتة حقيقة كبرى في الوجود خير عزاء، وخروج سليمان عليه السلام عن طوره لما فاتته الصلاة حتى فعل ما فعل ،كما ورد (في الأسطورة)،يدفع المحزونين بالفقد إلى التشبث بحبال الصبر على من فقدوا،يقول [1]:

طالَما أخْرَجَ الحَزينُ جَوَى الحُزْ ـــنِ إلى غَيْـــرِ لائِقٍ بالسَّـــدادِ

مِثْـــلَ ما فاتَتِ الصّلاةُ سُلَيْمـــا ـــنَ فَأَنْحَى على رِقابِ الجِيـــادِ

وهـــوَ مَنْ سُخّرَتْ لهُ الإنْسُ والجِـــ ـــنّ بما صَحّ من شَهادَةِ صَادِ

خـــافَ غَدْرَ الأنـــامِ فاستَوْدَعَ الرّيـــ ـــحَ سَليلاً تَغْذُوهُ دَرَّ العِهَـــادِ

وَتَوَخّى لَـــهُ النّجـــاةَ وَقَـــدْ أيْـــ ـــقَنَ أنّ الحِمَـــامَ بالمِرْصـــادِ

فَرَمَتْـــهُ بهِ على جانِبِ الكُـــــرْ سِـــيّ أُمُّ اللُّهَيْـــمِ أُخْتُ النّـــآدِ

كما استعان المعري بالأسطورة لخدمة إحساسه بالفقد،وفي هذا يقول عبد الفتاح نافع"و لم تعد الأسطورة هنا مجرد دلالة إشارية إلى الموضوع أو مجرد نسق صوتي أو شكل مرقوم،بل إن فيها من القوة والحياة والمعنى ما يجعلها قادرة على أن تتجسم وتنفذ تأثيرها الفعال في الأشياء،كما أن فيها لغة خفية تمكن الفنان من معالجـــة الوقـــائع الداخلية كما لو كانت وقائع خارجية"[2].

من ذلك أنه كان يشفق على إبله ويزداد رثاؤه لها، ويخشى أن يدفع بها الحنين إلى مفارقته،فيسرع إلى ســـتر وجوهها ليحول بينها وبين رؤية البرق،فيقول في قصيدته اللامية الشهيرة(في الحنين)[3]:

إذا لاحَ إيماضٌ سترتُ وجُوهَهَا كأنّي عمرو والمطيُّ سعـــــالِي

وتروي هذه الأسطورة أن عمرو بن يربوع بن حنظلة تزوج السعلاة،فقال له أهلها:إنك ستجدها خير امرأة ما لم تر برقا فتحنُّ إلى وطنها.فكان عمرو إذا لاح البرق سترها عنه.وولدت له أولادا،فغفل ليلة،فقعدت على بكر له،وسارت عنه فلم يرها بعد ذلك.

ج–التناص مع الشّعر :

تقاطع بعض شعر أبي العلاء مع نصوص شعرية سابقة،وهو دليل على اطلاعه عليها ، من أمثال امرئ القيس وتأبط شرا وأبي تمام وأبي فراس وغيرهم كثير. يقول أبو العلاء [4]:

ورَأَيْتَ الوَفَاءَ للصَّاحِبِ الأوّلِ مِنْ شِيمَـــةِ الكِرَامِ الجَوادِ

وفي هذا تقاطع مع قول أبي تمام:

كمْ منْ منزلٍ يعشقُه الفتَى وحنينُه أبداً لأولِ منزِلِ

---

(1) أبو العلاء المعري، سقط الزند،ص ص 10،11.

(2) عبد الفتاح نافع،الشعر العباسي قضايا وظواهر،(ط1)،دار جرير للنشر والتوزيع،عمان ،الأردن،2011،ص295.

(3) أبو العلاء المعري، سقط الزند، ص244.

(4) أبو العلاء المعري، سقط الزند، ص11.

ويقول أبو العلاء[1]:

لَمْ تُنصِفِي غَذَيتَ أطْيَبَ مَطْعَمٍ وغِذَاؤُهُنَّ الشَّتُ والطُّبَاقُ

والبيت يتناص مع قول تأبط شرا:

كأنّما حَثْحَثوا حُصًّا قَوادِمُهُ أو أُمّ خِشْفٍ بذي شَثّ وطُبَاقِ

أما قوله [2]:

وإذا البحرُ غاضَ عنيِّ ولم أروَ فــلا رِيّ بادّخــار الثِّمادِ

ففي البيت إشارة إلألا قول أبي فراس الحمداني:

مُعلِّلَتي بالوصلِ والموتُ دونَهُ إذا متُّ ظمآناَ فلا نزَلَ القطرُ

أما قوله [3]:

والثُّريَا رهينةٌ بافتــراقِ الشَّمل حتى تُعدّ في الأفرادِ

فإنه يتقاطع مع قول جرير،إذ يقول:

مايلبثُ القُرناءُ أنْ يتفرقوا ليــلٌ يمُرُّ عليهمُ ونهارُ

ولعل ما يمكننا أن نستنتجه أن التناص في شعر أبي العلاء تناص إيجابي،حيث يوظف النصوص التي يتقــاطع معها بالمعاني التي وردت عن أصحابها، وبهذا أعانت هذه النصوص أبا العلاء على توضيح رؤيته التي أرادها،و لم تؤد هذه الألفاظ والمعاني إلى الغموض في تشكيل الصورة،على عكس تناصات العصر لحديث.

وبدراستنا للصورة ،فإن يمكننا الوقوف عنده هو أن شعر أبي العلاء ظاهرة تســتدعي الوقــوف أمامهــا لاستكناه أسرار تنوعها وثرائها،إذا أسهم في تطوير القصيدة العربية،من خلال ما أضفاه عليها من حســن في التصوير، وخاصية الحسية منها،والتي أقامها على التجسيد،مقاربة للصور المحاكاة، ولقد جاءت هذه الصــور الفنية في شكل رؤية فلسفية،تدرك بالعقل وإعمال الفهم،متجاوزة الشكل المجازي ،إلى توظيف أدوات معنوية كالرمز والتناص ،وبذلك أوجد عالما تتحرك فيه الرؤية الشعرية، وتتكامل فيه الصورة مــن حيــث الفكــرة والعبارة،والإطار النفسي والتاريخي،لتشكل وحدة منسجمة متسقة،سواء أتعلقت بتشخيص المعنوي،أم بتقريب المحسوس وتجسيده.

---

(1) أبو العلاء المعري، سقط الزند، ص195. *حثحثوا* بمعنى : حثوا *أم خشف* ظبية رعت منبت ، الشت *والطباق*: نبتان يقويان الراعية .

(2) المصدر نفسه ،ص12.

(3) المصدر نفسه ، ص ن.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

المبحث الثالث:الموسيقى الشعرية

تعتبر الموسيقى الشعرية من الوسائل الجوهرية والعناصر الأساسية في البناء الفني للشعر عند جميع الأمم،لذلك يكاد يجمع دارسو الأدب على أنّ موسيقى الشعر العربي هي أوزانه وقوافيه؛لهذا الشعر ضرب من الموسيقى ،"ذلك أن بين معنى الشعر وموسيقاه ارتباطا حيويا، وكلنا يعرف أن معنى القصيدة قد يضيع تماما إذا ترجمت إلى كلمات منثورة.فالمعنى في الشعر يتطلب موسيقى الشعر حتى نفهمه الفهم الكامل، وحتى نفهمه الفهم الكامل،وحتى نتأثر به التأثر الواجب له"[1].

وقد أدرك الجاحظ أهمية الموسيقى ودورها في البناء الشعري"والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني،وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك،فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[2]. لذلك يعد الإيقاع الموسيقي من أهم العناصر التي يرتكز عليها الشعر لارتباطه بالغناء ارتباطا وثيقا ويخضع خضوعا مباشرا لحالته النفسية التي يصدر عنها .

تعريف الإيقاع لغة :جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة (وقع) قوله:"التوقيع أي رمي قريب لا تباعده وكأنّك تريد أن توقعه على شيء بعني الإصابة مثل إصابة المطر بعض الأرض و إخطاؤه بعض ، والإيقاع من إيقاع اللحن والغناء وهو أن يوقع الألحان ويبنيها "[3].

كما ورد تعريفه في المنجد في اللغة المعاصرة بأنّه :" يعني تتابع أصوات أو حركات بانتظام وتوازن"[4].

تعريف الإيقاع اصطلاحا: تعدد تعريف الإيقاع في الاصطلاح عند النقاد فقد ذهب ابن طباطبا العلوي في تعريفه في كتابه الشهير (عيار الشعر)، حيث يقول:" والشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه و اعتدال أجزائه، فإذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر وصحة المعنى وعذوبة اللفظ فصفا مسموعا ومعقولة من الكدر ثم قبوله، واشتماله عليه، وإن نقص جزئ من أجزائه التي يعمل بها وهي: اعتدال الوزن وصواب المعنى، وحسن الألفاظ وكان إنكار الفهم إياه على قدر نقصان أجزائه"[5].

أما مفهومه عند "صلاح فضل" فينطلق فيه من المستوى الخارجي للأصوات، فيقول:"أما البنية الإيقاعية فهي أول المظاهر المادية المحسوسة للنسج الشعير الصوتي، و تعلقاته الدلالية"[6].

وللإيقاع عناصر داخلية وخارجية فالعناصر الداخلية لها دور في إحداث الإيقاع "وهي كل ما يتعلق بالنغم الداخلي المنبعث من القصيدة "[7].

---

(1)محمد النويهي،قضية الشعر الجديد،(ط2)،مكتبة الخانجي،دار الفكر،1971م،ص20.

(2)أبو عثمان عمرو بن بحرالجاحظ،البيان والتبيين،،(ط2)،المصدر السابق، ج1،ص ص 131،132.

(3)ابن منظور،لسان العرب،المصدر السابق، مادة (وقع).

(4)صبحي حمودي، المنجد في اللغة المعاصرة، (ط1)دار المشرق، بيروت، 2000م، ص1151.

(5)ابن طباطبا،المصدر السابق ،ص133.

(6)صلاح فضل: الأساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،(د،ط) ، 1998، ص: 28.

(7) خليل مرسي ، الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر ،(ط4)، مطبعة الجمهور،دمشق،(د، ت)،ص 93.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وهناك من يستعمل مصطلح الموسيقى العروضية والموسيقى الداخلية ، فالمصطلحات متنوعة وهي كثيرة ولكن المضمون تقريبا واحد .

أما رجاء عيد فيعرف الإيقاع" قدرة الفنان الشاعر على إقامة بناء موسيقى يتكون من نفسية تعلو أو تهبط ، تقسو أو ترف أو تتخذ لتكون في مجموعها لحنا منسقا أقرب إلى الإطار السمفوني "[1] .

وتتمثل هذه العناصر الداخلية في التكرار،وكذلك المحسنات البديعية كالجناس والطباق .كما يعد الإحساس بجو القصيدة الذي يتلاءم و انفعال الشاعر ونوع تجربته بمعنى أنك تحس بعد قراءة النص ما أحسه الشاعر من انفعال سواء أكان حزنا أو فرحا من الموسيقى الداخلية الخفية أيضا.

أما العناصر الخارجية للإيقاع فتتمثل في الوزن الذي يقول عنه ابن رشيق القيرواني "الوزن أعظم أركان حد الشعر و أولاها به خصوصية ، هو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة "[2]. وثاني عنصر خارجي هو القافية بنوعيها المطلقة والمقيدة .

الموسيقى الداخلية والخارجية في شعر أبي العلاء:

عني أبو العلاء بالإيقاع والموسيقى كثيرا،فضرب أبلغ الأمثلة وأوضحها عن اهتمام الشاعر الكفيف بالإيقاع،وتعويض حاسة البصر ،بحاسة السمع(الرنين)،واستطاع أن يلتزم رجعا إيقاعيا بالغ الدقة،شديد الولع بالشكل،وتجلى هذا الالتزام في اللزوميات كثيرا.

من العناصر الداخلية للإيقاع التكرار،حيث يعد التكرار تجلٍ واضح لإحداثيات الإيقاع في النص الشعري.

يقول أبو العلاء [3]:

إنّ حزناً في ساعةِ الموتِ أضْعا ... فُ سرورٍ في ساعةِ الميلادِ

استخدم الشاعرحرف السين(ساعة،ساعة) منبها إيقاعيا،لإظهار الوقع للفت الانتباه،تجاه ثنائية الحياة والموت،فهو احتكاكي مهموس،وما ينبثق عنه من رؤية خيمت على جو القصيدة.

كما نجد الشاعر يستخدم التكرار في الكلمة(اللبيب)لحث الإنسان على عدم الاغترار بهذه الدنيا،يقول [4]:

واللَّبيبُ اللَّبيبُ من ليس يغْتَـ ... ـرُّ بكونٍ مصيرُه للفسَادِ

فالتكرار"التوكيد" يقصد به المتكلم التعبير عن اهتمامه بعنصر معين دون غيره،فهو مقصود بذاته،بحيث ينفي اشتراك غيره معه.

كما يتجلى التجاور[*] في شعر المعري واضحا للتكرار ،إذ يبين عن رؤية الشاعر في ثنائية الحياة والموت ،

---

(1) رجاء عيد ، التجديد الموسيقي في الشعر العربي،(دط)، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984م،ص10.

(2) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن وآدابه ونقده ،المصدر السابق،ج1،2001م، ص121.

(3) أبو العلاء المعري، سقط الزند ،ص8.

(4) المصدر نفسه ،ص12.

(*)التجاور:تردد لفظتين في البيت ووقوع كل واحد منهما بجنب الأخرى أو قريبا منها(ينظر:أبو هلا العسكري،كتاب الصناعتين،المصدر السابق،ص276).

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

على نحو قوله[1]:

ودفيـــنٍ على بَقَايـــا دفينٍ في طويلِ الأزمـــانِ والآبادِ

ومن التكرار،رد الأعجاز على الصدور[*]،وفيه شيء من التلميح،إذ يمكن القارئ من فهم عجز البيت ،بناءا على ما ورد في صدره،يقول الشاعر [2]:

هجدَ السَّاهرُون حولكَ للتَّمـــ ـــريضِ ويحٌ لأعينِ الهجّادِ

ومن الشواهد التي يمكن تقديمها كمثال على التكرار لبعض الحروف و الأصوات والذي ينعكس جرسها على النص الشعري فتؤدي وظيفة إيقاعية تتناسب مع المعنى ،قوله [3]:

أناسٍ كقومٍ ذاهبـــينَ وجوهَهُم ولكنَّهم في باطنِ الأمرِ نَسْـــناسُ

جزَى اللهُ عنِّي مؤْنسي بصُدُودِه جميلاً ففِي الإيحاشِ ما هوَ إيـــنَاسُ

تَخَافينَ شَيْطانُ من الـــجنِّ مارداً وعِندَكَ شَيْطانُ من الإنسِ خُنَّاسُ

مما يلاحظ في هذه المقطوعة تكرار حرف السين،سواء الذي يتكرر عن طريق حرف الـــروي،أو الـــذي الأبيات بتكراره مرة فما فوق في كل بيت مما أدى إلى تناغم الأحرف المكررة داخل الأبيات، ممثلـــة في حـــرف السين مع حرف الروي ، فبنت شكلا هندسيا منظما على موسيقى هذا المقطع، وانطلاقا من هذه المقطوعة، يتبين أن حرف السين تكرر سبع مرات في هذه المقطوعة، ففي البيت الأول نجد إضافة إلى حرف السين كروي حرفين آخرين أما في البيت الثاني فتكرر فيه حرف السين مرتين وقد تجلى بنفس الدرجة في البيت الثالـــث ،أي تكـــرر مرتين .كما يلاحظ ظاهرة إيقاعية أخرى وهي التنوين بالضمة في (أنـــاسٌ) والتنـــوين بالفتحـــة في كـــل مـــن (جميلاً،شيطاناً،مراداً) والتنوين بالكسرة في (قومٍ)، حيث أضفى بدوره جرسا موسيقيا خاصا على الأبيات.

وهذه الأبيات تنتمي إلى البحر الطويل وهو الأول من حيث التنوع في ديواني المعري وتفعـــيلات الطويـــل الأصلية هي :فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن، ولكي نتبين حركية التكرار،نقف عند التقطيع العروضي:

أناسن كقومن ذاهبين وجوههم	**ولا كنهم في باطن الأمر نسناسو**
0//0///0//0/0/0//0/0//	**0/0/0//0/0//0/0/0//0/0//**
فعولن مفاعيلن فعول مفاعلـــن	فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلـــن

وعند تقسيم هذا االبيت إلى مقاطع نجده يتكون من ثمانية وعشرين مقطعا طويلا وقصيرا، استحوذت المقاطع الطويلة على القصيرة بعشرين مقطعا طويلا، والثمانية المتبقاة هي المقاطع القصيرة ونلاحظ أنّ القافيـــة في هـــذه الأبيات هي قافية متحركة الروي،حركتها الضمة ورويها حرف السين وقبلها الردف المتمثل في الألف.

---

(1)أبو العلاء المعري، سقط الزند، ص8.

(2) أبو العلاء المعري، سقط الزند، ص11.

(3) أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص14.

(*)ويسمى التصدير كذلك،قال عنه أبو علي الحاتمي:أن يبدأالشاعر بكلمة في البيت في أوله أو في عجزه أو في النصف منه،ثم يرددها في النصف الأخير. (ينظر: أبو على الحاتمي،حلية المحاضرة في صناعة الشعر،تح:جعفر الكتابي،بغداد،ج1،1979م،162).

وكـــرر حرف (العين) في قوله أيضا [1]:

كـــم بْلدةٍ فارقتُها ومعَاشـــرٍ يذْرُونَ، من أسفٍ على دُموعَا

وإذا أضَاعَتني الخطوبُ، فلنْ أرى لودَادِ إخْوان الصَفاء مضيّعَا

خَاللت توديعَ الأصَادق للنَّوى فمَتى أودِّعُ خِلِّي التَودِّيعـــَا؟!

نلحظ من خلال هذه الأبيات أن حرف العين مكرر ثماني مرات، ففي الشطر الأول تكرر ثـــلاث مـــرات وتظهر في (معاشر،على،دموعا) وفي الشطر الثاني تظهر مرتين في حرف الروي (مضيعا) وأيضا في الشـــطر الأول من البيت الثالث وهي (أضاعتني).

وفي البيت الثالث نجد تكرار حرف العين ثلاث مرات في كل من (توديع،أودّع، أضاعتني)إضـــافة إلى كثـــرة والتي تظهر في الحروف التالية (ن،د،ل،ت) فهي تتناغم تناغما كبيرا مع ما كان يكابده ويعانيه في حياته،وكأنّه بتكرار هذه الحروف يرسم بريشته شجنه لفراق الأحبة والصدقاء.

ومن الأبيات التي اعتمد فيها عن تكرار بعض الحروف، قوله[2] :

طربْـــَن لضُوءِ البارقِ المتعَالي ببغـــدادَ وهنا ما لهنَّ ومَالِي

سَمَتْ نحوه الأبصارُ حتى كأنَّها بنَـــاريهِ من هُنا وتمَّ وِصَالي

إذا طالَ عنها سرُّها لوو رؤوسَها تمـــدُّ إليهِ في رؤُوسِ عَوالِ

يلحظ على المقطوعة تميز كل بيت بخصيصة إيقاعية بارزة تتماشى و المعنى ، فالبيت الأول على سبيل المثـــال، يشكل فيه تكرار حرف (الباء) ميزة خاصة إذ أنه تكرر (أربع مرات) عندما ننقل إلى البيت الثاني نجـــد حـــرف (الهاء) مكرر (أربع مرات) وهو حرف هوائي ، فهو بالرغم من وجوده في كامل المقطوعة إلا أنه انتشر أكثر في هذا البيت وقد اعتمد فيه على المد (ها) الذي ساعده في إبراز تأوهه وتوجعه لفقد وطنه والبعد عنه.

والشطر الثالث نلحظ تكرار (حرف السين) ثلاث مرات وهو حرف مهموس .

وقد وجد الشاعر صدى حزنه في البحر الطويل ،فقال[3]:

طَرَيْنَ لَضَوْءِ لْبَارِقِ لْمُتَعَالِـــي بِبَغْدَادَ وَهُنَا مَا لْهُنُّـــنَ وَمَا لِيْ

0/0// /0// 0/0/0// /0// 0/0// /0// 0/0/0// 0 /0//

فعول مفاعيلن فعول مفاعل فعولن مفاعيلن فعول مفاعل

كما نجد ظاهرة التكرار كثيرا في ديوانـــه سقط الزند،ومرد ذلك تأثره بالشعر العربي القديم ،من ذلك قوله[4]:

تَمَنَّيْتُ أَنّ الْخَمْرَ حَلّتْ لِنَشْوَةٍ تُجَهِّلُنِي كَيْفَ اطْمَأَنَّتْ بِي الْحَالُ

---

(1) أبو العلاء المعري ، سقط الزند ، ص309.

(2)المصدر نفسه، ص 237 .

(3) المصدر نفسه ، ص ن.

(4) المصدر نفسه ،ص 247،248.

فأذْهِلِ أنّي بالعِراقِ علَى شفــا رذِي الأمَاني ، لا أنْسَى ولا مَالِ

مــقلٌ من الأهْلينِ سيّر وسيرَةٌ كفى حزنًا بين مشْتِ و إقْــلاَلِ

ففي البيت الأول تكرار حرف(التاء)ست مرات،والبيت الثاني نجد(الألف)تكررت أربع مــرات و البيــت الثالث تكرر حرف(اللام)أربع مرات كذلك،أما في البيت الرابع تكررحرف(الياء)أربع مرات .

كما نلحظ كثرة الحروف المهموسة وهي الأبيات كالتالي(أ،ت،س،ش،ق،ك،ه،ط،ح،خ) والمهموسات تصلح للتعبير عما لا يرى بالعين المجردة، وقد استعمل الشاعربحر الطويل وتقطيعه كالآتي:

تَمَنْيَتُ أَنْ لخْمْرَ حَلْلَتْ لِنَشْوتِنْ تُجَهْلِنِيْ كَيْفَ اطْمَأَنْتَتْ بؤيْ لِحَالْوْ

0/0// 0/0/0// 0/0// 0//0// /0// 0/0/0// 0/0// 0/0/0//0

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعول مفاعيلن فعولن مفاعيلن

وكثيرا ما كان أبو العلاء ما ينوع في الأصوات،على نحو قوله [1] :

ألا إنّما الدّنيا نُحُــوسٌ لأهلِــها فما في زمــانٍ أنتَ فيهِ سُعودُ

يُوَصّي الفتى عندَ الحِمــامِ كأنّــه يَمُرُّ فيقضي حاجــةً ويَعــودُ

وما يئِسَتْ من رجعةٍ نفسُ ظاعنٍ مضتْ ولَها عندَ القضاءِ وعودُ

تسيرُ بنا الأيّــامُ، وهــيَ حَثيثَةٌ ونحنُ قِيــامٌ، فــوقَها، وقُعودُ

يتضح من خلال هذه المقطوعة تنوع استخدام الحروف، وكل حرف تكرر أربع أو خمس مرات في البيت ، ومن هذه الحروف نجد أنّ حرف (النون) في البيت الأول تكرر خمس مرات ، وفي البيت الثاني تكــرر حــرف (الياء) أربع مرات ، أما في البيت الثالث فتكرر حرف العين أربع مرات ،والبيت الأخير تكرر فيه حرف(القاف) ، ثلاث مرات .

وجاءت الأبيات بحرف الروي (الدال) و الردف هو الواو والمجرى هو الضمة التي هي فوق حرف الــروي ، والواو وصل .

أما البحر المستعمل فهو بحر الطويل وقد وردت فيه بعض الزحافات كالحذف و القص غيرها.

والنماذج التي عرضناها ، ماهي إلا غيض من فيض في محيط التكرار عند أبي سواء على مســتوى الكلمــة أوالحرف، والتي شكلت نغمة موسيقية اتسمت في كثيرها بالحزن والشجن، وطبعت بطابع السوداوية والأسى.

من الموسيقى الداخلية كذلك الجناس أو التجنيس ، و"الجناس في اللغة مصدر جانس الشيء إذا شاكله واتحد معه في الجنس، وفي الاصطلاح تشابه الكلمتين لفظا لا معنى ،فإن اتفقت حروفهما نوعا وعددا وهيئة وترتيبا فهو الجناس التام وإلا فهو الناقص"[2].

(1) أبو العلاء المعري،اللزوميات،ج1،ص230.

(2) أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله،العقد البديع في فن البديع،(دط)،المطبعة الكاثوليكية،بيروت،1881م،ص9.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

والجناس صيغة صوتية إيقاعية،على نحو قول المعري [1]:

وانتهَى اليأسُ منك واستشْعرَ الوجْدَ بأنَّ لامعادَ حتى المعَادِ

فالجناس الماثل في (معاد،المعاد)حقق تماثلا على المستوى الصوتي،وهو بهذه الثنائية التضادية في المعاد واللامعاد،يجسد رؤيته في الحياة والموت.

إنّ الإكثار من المجانسة دليل على قدرة الشاعر الفنية وتمكنه من المفردات ومن تقليب وجوه المعاني، من ذلك قوله [2]:

لا يصْبرونَ فقيرٌ تحت فاقتَه إنَّ السباريتَ جابتها السّباريتُ

فالمجانسة بين لفظتي (السباريت ،السباريت)،تماثل صوتي مطلق،ويقصد بالأولى؛القفار،وبالثانية ،الصعاليك الفقراء،الأمر الذي أضفى على البيت إيقاع صوتي،زاد جمالا على موسيقى الشعر.

بل نجد الشاعر يجانس بأكثر من لفظتين في البيت الواحد،ليحدث هزة صوتية في المتلقي، من ذلك قوله [3]:

ماقرَّطاسُكَ في كفّ المُديرِ لَهُ إلاّ قرطاسُك المرعوبُ مرعوبُ

حيث جانس بين (قرطاسك،قرطاسك)،فاللفظة الأولى،مؤلفة من لفظتين "قرَّ "بمعنى ثبت،و"طاس" بمعنى الوعاء؛أما اللفظة الثانية "قرطاسك" بمعنى الصحيفة التي كتب فيها،ثم عاد ليجانس بين لفظتي (المرعوب، مرعوب)،وتعني الأولى المملوء والثانية تعني الخائف.وقد جاءت هذه المجانسة لإثارة الاهتمام نحو رؤية تتصل بموقف الشاعر ورؤيته العامة.

من العناصر الداخلية للإيقاع كذلك " الطباق "، حيث برز بشكل لافت في شعر أبي العلاء ، ومرد ذلك ،أنّ حياته أقرب ما تكون عبارة عن ثنائيات ضدية،لازمته طيلة حياته،فانعكس ذلك في شعره، فاستطاع بهذه الأداة أن يبوح عن رؤيته الفلسفية والنفسية،والتي تنم عن نظرة سوداوية،لحال مجتمعه وتدهور القيم فيه ، ولأن الطباق يزيد في تعميق المعنى وتقويته وتوضيحه ويساعد على إضفاء إيقاع خاص على القصيدة ، اتكأ عليه الشاعر كثيرا في تشكيلاته الموسيقية فيقول[3]:

الحمْدُ والكِبْرُ ضِدّانِ اتّفاقُهما مثْلُ اتّفاقِ فَتَاءِ السّنّ والكِبَرِ

يجني تزايد هذا من تناقص ذا والليل إن طال غال اليوم بالقصر

فبالإضافة إلى الإيقاع الخفي الناتج عن تقابل الأضداد الواردة في البيت الأول والبيت الموالي، تتضافر معه عناصر موسيقية أخرى تكاملت فيما بينها لتساهم في تكوين بنية موسيقية، من بين هذه العناصر الوزن والقافية،

---

(1) أبو العلاء المعري ، سقط الزند ، ص11.

(2)أبو العلاء المعري،اللزوميات، ج1،ص328.

(3)المصدر نفسه ،ج1،ص96.

ففيما يخص الوزن نلاحظ أن هذه الطباقات جاءت على انسجام واتفاق فيه وذلك من مثل (الحمد والكبر) على وزن فعل و (تزايد وتناقص) جاءا على وزن تفاعل و (طال وقصر) على وزن فعل أيضا. وتفعيلة هذين البيتين هي تفعيلة البحر البسيط وهي كالتالي:

اَلحمْدُ وَلْكِبْـــرُ ضِـــدْدَانِ ائْتِفاقُهُـــمَا مِثْـــلُ ائْتِفاق فَتَاء سْسنْنِ وَلْكِبَـــرِيْ

/0/0/0//0/0//0/0/0//0/0//0/0//0/0/ /0/0/0//0/0//0/0/0//0/0//0/0//0/0/

مستفعلـــــن فاعلن مستفعلن فعلن مستفعلـــــن فاعلن مستفعلن فعلن

والبحر البسيط هو من حيث الانتشار في شعر أبي العلاء أقل من البحر الطويل والكامل الذي وجد بكثـــرة وتفعيلاته هي (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن)، وعند تقسيم هذا الوزن إلى مقاطع نجده يتكون مـــن ثمانيـــة وعشرين مقطعا طويلا وقصيرا في البيت الواحد، موزعة بالتساوي بين الصدر والعجز، بحيث يحتوي كل واحـــد منهما على عشر مقاطع قصيرة، وذلك إذا اعتبرنا أن المقطع القصير يتكون من حركة {/}، والمقطـــع الطويـــل يتكون من حركة وسكون {0/}، وانطلاقا من هذا التقسيم، يتبين بأنّ البحر يمتاز بالثقل والبطء، على اعتبـــار غلبة المقاطع الطويلة على المقاطع القصيرة.

وقد ترددت نغمة موسيقية مع القافية التي كانت في الحقيقة تنتهي بسكونين تفصل بينهما حركتين وهي القافية المتداركة ولكن للضرورة الشعرية تحولت تفعيلة (فاعلن)، في البحر البسيط إلى (فعلن)،أي تفعيلة عبارة عـــــن مقطعين قصيرين ومقطع طويل ولذلك، ونتيجة هذا التغير أصبحت القافية متراكبة وهي القافية المنتهية بسكونين مفصولين بثلاث حركات. { ///0}، كما نلمح نوعا آخر من الطباق وهو الذي يقول فيه[1]:

يُمسِي ويصبحُ كوزنٍ من فضةٍ ملأتْ فمَ الصَّادي كسُور درَاهِمِ

وبشيء من التمعن نلحظ وجهي التطابق وهما (يمسي ، يصبح)، جاءتا على وزن واحد وهو يُفْعِل، والقافية هي (راهم)، والروي هو حرف (الميم)، ويقول أيضا[2]:

تَعَبٌ مـــا نَحْـــنُ فيهِ وهلْ يجلبُ الإيحـــاشُ إيناَسَا؟

حيث يتبين أنّ لفظتي (إيحاش، وإيناسا) لهما وزن واحد فهما على وزن إفعال والروي هو (السين) قبل الروي يوجد الردف المتمثل في (الألف) وقد يكون (واوا) أو (ياءا).

وللمقابلة أيضا قيمة موسيقية إلى جانب الطباق ،ويتجلى هذا في قول الشاعر [3]:

فليتَ شبابُ قـــومٍ كان شـــيبًا وليتَ صِباهم كانَ إكْـــتهَـــالاَ

حيث يتجلى واضحا توافق وتساوي الكلمة منها مع ضدها في الإيقاع والترتيـــب وهـــذا مـــا يظهـــر في (شباب،شيبا) و(صباهم، إكتهالا).

---

(1) أبو العلاء المعري،اللزوميات،ج1،ص282.

(2) المصدر نفسه، ج2،ص30.

(3) المصدر نفسه، ج2،ص233.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ويقول[1]:

فأوْصِيكم أمَّا قبيحًا فجَانبــُوا وأما جميلاً من فِــعالِ فــلا تقِلوا

ويقول [2]:

وصَــاحبْ نكر بات يعذر بيننا وفاعل المعــروف يلام و يعــذل

نلحظ هنا انسجام وتوافق في الأوزان بين (قبيحا،جميلا) و (جانبوا،تقلوا) ، (صاحب نكر وفاعل معروف) و (يعذر و يعذل) فهذا التوافق في الأوزان أضفي إيقاعا مميزا على البيت مما أكسبه رونقا وجمالا .

ومن أصناف الإيقاع أيضا التي يستند إليها الشاعر في التعبير عن رغبته ما يسمى بالتصدير الذي يقول عنــه السكاكي"ومن جهات الحسن رد العجز عن الصدر،وهو أن يكون إحدى الكلمتين المكررتين ، أو المتجانستين، أو الملحقين بالجناس في آخر البيت ، و الأخرى قلبها في أحد المواقع الخمسة من البيت، وهي:صــدر المصــراع الأول،وحشوه،وآخره،وصدر المصراع الثاني وحشوه "[3]،و التصدير هو من الحلل اللفظية التي تزيد المعنى حسنا و جمالا.

واستنادا إلى قول السكاكي يظهر لنا التصدير الذي جاءت كلمته في صدر المصراع الأول في قول أبي العلاء [4]:

بشاشة أيامٍ مضتْ وشَبيبَــة بشاشَة خانَتْ أهلَهَا وبشَاشُ

ويقول [5]:

أنوارٌ مهلاً كمْ ثوَى منْ ربْربٍ نورٌ ولاحَت في الدُّجَى أنْوَارُ

فالتصدير في البيتين هو(بشاشة و بشاش)في البيت الأول أما في البيت الثاني فيمكن في(أنور وأنوار).ومن النوع الثاني،أي ما جاءت كلمته الأولى في حشو المصراع نجد قوله [6]:

إذا اشتَاقتِ الخيلُ المناهلَ أعْرضَت عن الماءِ فاشتاقَتِ إليهَا المَناهِلُ

ويقول أيضا في هذا النوع[7]:

لقدْ زَارَني طَيفَ الخيالِ فهَاجَني فهلْ زارَ هَذي الإبلَ طيفَ خيَالِ؟

كما يقول [8]:

إنْ كانَ إبليسُ ذا جُنْدٍ يصُولُ بهمْ فالنَّفسُ أكبُر من يدْعُوهُ إبْليــسُ

فالتصدير في البيت الأول بين(المناهل والمناهل)،أما في الأبيات الأخرى فنجده ماثلا في عبارة(طيــف الخيــال وطيف الخيال)هذا عن البيت الأول،إما البيت الثاني نجده في(إبليس و إبليس).

---

(1) أبو العلاء المعري،اللزوميات ،ج2،ص177.

(2) المصدر نفسه ، ص ن.

(3)أبو يعقوب السكاكي،مفتاح العلوم،المصدر السابق،ص ص 430،431.

(4) أبو العلاء المعري،اللزوميات،ج2،ص57.

(5) أبو العلاء المعري،سقط الزند ،ص256.

(6) المصدر نفسه،ص195.

(7) أبو العلاء المعري،اللزوميات،ج2،ص27.

(8) المصدر نفسه،ج2،ص24.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

أما النوع الرابع فيظهر في قوله[1]:

عداوةُ الحمقِ أعفَى من صداقتِهِم فابعدْ من النَّاسِ تأمنْ شرةِ النَّاس

فالتصدير يكمن في (الناس و الناس).

كما استعمل الشاعر التدوير في قصائده وهو كثير،فأغلب قصائده تحتوي على هذا النوع، و "البيت المدور في تعريف العروضيين هو ذاك الذي اشترك شطراه في كلمة واحدة بأن يكون بعضها في الشطر الأول وبعضـــها في الشطر الثاني"[2]،ويظهر ذلك في قوله[3]:

ثمّ شَابَ الدَّجَى وضَاقَ من الهجْـــ ـــرِ فغطَى المشيبُ بالزعْفرانِ

إلى أن يقول[4]:

وعلى الدَّهر من دماءِ الشهيديـــ ـــنِ علـــي ونجلهُ شاهِدانِ

وهمَا في أواخـــرِ الليْـــل فجرَا ـــنِ وفِـــي أولياتِـــه شفَقَانِ

ثبـــتَا في قميصهِ ليجئَ الحـــشْ ـــرَ مُستدْعَيًا إلى الرحْمَـــنِ

إلى آخر القصيدة، فهي كلها تقريبا مبنية يشكو من الحياة [5]:

تعبٌ كلُّها الحياةُ فما أعـــْـــ جب إلاَّ من راغبٍ في ازديادِ

إنّ حزناً في ساعة الموتِ أضعا فُ سرورٍ في ساعةَ الميـــلادِ

إنَّـــما ينقلـــونَ من دارِ أعما لٍ إلى دار شقوةٍ أو رشـــادِ

والشيء الملاحظ أن التدوير أكسب البيت غنائية عذبة وانسيابا للألحان وليونة لأنه يمده ويطيل نغماته.

ومن بين أصناف الإيقاع الذي اعتمد عليها الشاعر أيضا التصريع [*]ويظهر في قوله:

ويقول[6]:

بقيتُ وما أدري بما هو غائبٌ لعلّ الذي يمضي إلى اللّه أقربُ

تودُّ البقاءَ النفسُ من خِيفة الرّدى وطولُ بقـــاءِ المرءِ سمٌّ مجرَّبُ

على الموتِ يجتازُ المَعاشِرُ كلّهمْ مقيمٌ بأهليـــه، ومَنْ يتـــغرّبُ

---

(1) أبو العلاء المعري،اللزوميات ،ج2،ص40.

(2) المصدر نفسه ،ج2، ص369.

(3)) أبو العلاء المعري،سقط الزند،ص95.

(4) المصدر نفسه ،ص96.

(5) المصدر نفسه ،ص8.

(6) أبو العلاء المعري،اللزوميات،ج1،ص72.

(*) التصريع:جعل العروض مقفاة تقفية الضرب، إذا يُختم الشطر الأول بما خُتم به الشطر الثاني.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

أُولو الفضلِ في أوطانهم، غرباءُ تشِـــذّ وتنأى عنهمُ القُربَاءُ
فما سبأوا الراحَ الكمَيْتَ لِلذةٍ ولا كان منهم، للخِرادِ سِباء
وحسبُ الفتى من ذلّةِ العيش أنّه يروحُ بأدنى القوت وهو حِباءُ

ويقول أيضا في هذا المقام[1]:

إن كَسَرتَني يَد المَنايا فَما الأطبّاءُ جابريّا
أمَرْتَ بالغَدْرِ أُمَّ دَفْرٍ ولَمْ أُطِعْ فيكَ آمريا

وقوله[2]:

لَعَمْري! لقد طالَ هذا السّفَرْ عليّ وأصبَحتُ أحْدُو النّفَرْ
أأخرُجُ من تحتِ هذي السّماءِ؟ فكيفَ الإباقُ وأينَ المَفرّ؟
وكم عشتُ من سنةٍ، في الزّمانِ وجاوَزْتُ من رَجَبٍ أو صَفَرْ

وهكذا يبدو التصريع في الأبيات الأولى من هذه المقاطع فنجده في المقطوعة الأولى متمثلا في حرف البـــاء المتواجد في نهاية الشطر الأول وكذا نهاية الشطر الثاني، أما في الأبيات الأخرى من المقاطع فهو موجود مـــثلا في حرف (الهمزة) و (الياء) و (الراء). وهي كلها تصريعات منحت هذه الأبيات حسنا ورونقا وأعطتـــها إيقاعـــا منتظما و متوازنا يستهوي السمع وترتاح له الأذن.

من الموسيقى الخارجية كذلك بالإضافة إلى الوزن،القافية بنوعيها المطلقة والمقيدة،وقد اهتم أبو العلاء بالقافية اهتماما عظيما، وقد تجلى ذلك في "اللزوميات"،الذي نظمه على جميع حروف المعجم وبالحركات الثلاث،والتزم حرفين أو أكثر للروي،وفق تخطيط شكلي متقن،ضاما موضوعات جديدة ،تتناسب وعلوم عصره.

من ذلك قوله [3]:

إنْ كانَ منْ فعلَ الكَبَائرَ مجبراً فَعقابهُ ظلمٌ على ما يفْعلُ
واللهُ إذْ خَلَقَ المَعَادِنَ عالِمٌ أنَّ الحِدادَ البيضَ منها تُجْعَلُ

حيث نلحظ أنّ أبا العلاء لم يكتف هنا باللام بل التزم قبلها العين أيضا،وهو ما يسمى التزامه بحـــرفين قبـــل الروي.

ويلتزم أبو العلاء بحرفين وثلاثة قبل الروي،فيقول [4]:

عَاشُوا كَمَا عَاشَ آباء لَهُمْ سَلفُوا وَأَوْرَثُوا لِجيلَكَ تَقْليدًا كَمَا وَجَدُوا
فَمَا يُرَاعُـــونَ مَا قَالُوا وَمَا سَمَّعُوا وَلَا يُبَـــالُونَ مِنْ غَيٍّ لَمِنْ سَجَدُوا

---

(1) أبو العلاء المعري،اللزوميات،ج2،ص440.
(2) المصدر نفسه ،ج1،ص436.
(3) المصدر نفسه ،ج2،ص187،الحداد البيض: السيوف.
(4) المصدر نفسه،ج2،ص344.

وهذه الحروف على الترتيب الجيم والدال والواو.

بل إنّ أبا العلاء،تجاوز التزام ثلاثة حروف،إلى التزام أربعة حروف،أو خمسة قبل الروي،على نحو قوله [1]:

تيَمَّمــُوا بِتُرَابِي عَلَّ فِعْلَــكُم بَعْدَ الْهُمُودِ يُوَافِينِي بِأَغْــرَاضِي

وَإِنْ جُعِلْتُ بِحُكْمِ اللهِ فِي خَزَفٍ يَقْضِي الطُّهُورَ فَإِنّي شَاكِرٌ رَاضِي

القافية في هذه الأبيات تتكون من أربعة أحرف(الراء ،والألف والضاد والياء)،بالإضافة إلى التجانس الصــوتي بين الكلمات الأخيرة(أغراضي ،راضي).

يتبين من خلال النماذج السابقة،أن الشعر عند أبي العلاء يخضع لنظام هندسي معماري،يترجم عبقرية بانيــه، وعظمة مكانته،هذا النظام الهندسي الذي يتجسم في الوزن،فالوزن ليس مجرد شكل يتخذه البيت الشعري،كما أنّه لا ينحصر في التفعيلة، وليس محبوسا في الأجراس الموسيقية والإيقاعات النغمية،بل إنه ينشا مــن انســجام بــين الحركات والسكنات،فلا الحركات وحدها تعطي وزنا،ولا السكنات وحدها تعطي وزنا.

لقد حرص أبو العلاء على ركوب القافية القوية في شعره،والتي تحتوي على تجانس صوتي ،لأن القافية القوية تحدث جرسا موسيقيا قويا،وتحتاج إلى شاعر حاذق متمكنا كــأبي العلاء،الــذي صــبّ اهتمامــه بــالروي المرفوع،فالمنصوب،فالمجرور ،فالساكن،و لم يكفه هذا ،بل راح يداخل هذا التجانس الصوتي للقافيــة بالموســيقى الداخلية من خلال التكرار والمطابقة والمجانسة،وضروب البديع المختلفة.

اهتم أبو العلاء بالموسيقى الشعرية اهتماما كبيرا،وارتبطت بلغته ارتباطــا وثيقــا،فهي لازمــة مــن لوازمــه الجوهرية،التي تتكفل بمنحه أسباب سحره وسريانه في النفوس فكرا ووجدانا،وهي تتآزر من خلال اللغــة مــع الصورة لإعطاء الرؤية شكلها الإبداعي الخاص.

---

(1) أبو العلاء المعري،اللزوميات ،ج1،ص169.

أبوتك: صرت لك أبا .

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

الخاتمة

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

خاتمة:

شكّل أبوالعلاء في أدبنا القديم ظاهرة تستدعي الوقوف عندها لاستكناه أسرار تنوعها وثرائهـــا،إذ أســـهم في تطور القصيدة العربية،من خلال ما أضفاه عليها من عمق وكثرة عطاء.

تناولت هذه الدراسة رؤية أبي العلاء المعري للحياة العباسية،بكل تلوناتها الفلسفية والدينية والاجتماعية،ومدى تناغمها مع الأداة الفنية،وفي تحليل وصفي،لمقاربة نصوص الرؤية في شعر المعري.وتبعا لما سبق فقد توصـــلت إلى جملة نقاط،وهي على النحو التالي:

- لفظ"الرؤية" من إفرزات الواقع ورصد لمظاهره وتجلياته في الأحداث وأحوال المجتمعات.كما أن الرؤية في هذا البحث غايته إسقاط دلالتها على رؤية الشاعر أبي العلاء المعري للواقع العباسي،ثم لظروف العصـــر المضطرب سياسيا وأخلاقيا،كلها عوامل أسهمت في تشكيل رؤية أبي العلاء المعري.
- استطاع أبو العلاء أن يعبر عن مشكلات عصره وحياة الإنسان وقضاياه الفكرية والاجتماعية،وبـــذلك برهن على انتمائه الصحيح إلى التراث العربي.
- اتسمت رؤيته الفلسفية بالشمولية والمنطقية والموضوعية،فهو يتناول كل عناصر الوجود من خالق ومخلوق ومكان وزمان ومادة وروح وديانات وعقائد،كما لا تجد في شعره خرقا للنظام الفكـــري أو النســـق الذهني،بل ترى كل شيء يجري وفقا لفكرة آمن بها وانطلق منها ،كما أنه لا يتوخى إلا الحق ولا ينشد إلا الصدق بصرف النظر عن المشاعر والأهواء والقيم السائدة،ولعله السبب في جر عليه غضب العامـــة ونقمة رجال الدين وحقد الجهلاء والحاسدين.
- إنّ أبا العلاء كان يؤمن بأركان الإيمان أيمانا صادقا،لا غبارعليه،حيث عظم في لزومياته الله تعالى،ومجـــد الملائكة والرسل،والكتب السماوية،والبعث تمجيدا وتعظيما،يدركه من تعمق في فهـــم شـــعره،وتأمل قوله،وإنما كان في كثير من شعره يهاجم المدّعين للتدّين وهم بعيدون عنه كل البعد،فالدين عنده عقيدة ليس مجرد أقوال،فراح يذكر الناس بوعد الله ووعيده،وعقابه والرجاء لثوابه وعلى التذكير بالموت والقبر والحساب والجنة والنار وتنبيها للغافلين وزجرا للاهين وحثا على التزود بالعمل الصالح،كما كان يتصدى للاهثين وراء الدين من باب التقليد، بدون تحكيم للعقل،وكان غرضه في ذلك كسر نمطية التقليـــد،لأن الإسلام يدعو إلى استخدام العقل والنظر إلى الأمور بعين البصيرة ،حتى يستقر الإيمان ويسكن شـــغاف القلوب،وتسعد به النفوس .
- رغم ذهاب بصره،فقد أبدله الله ببصيرة نافذة،فأضحى يستشعر عيوب الناس الخفية، ويـــدرك حقيقـــة بواعثهم،لذلك كان نقده للمجتمع لاذعا،وحكمه قاسيا،لا يجامل ولا يداري ولا ينافق،فكان نقدة بذلك موضوعيا،وقد يعزى ذلك إلى نشأته الدينية وزهده في الحياة من جهة،وفساد الحياة سياسيا واجتماعيـــا واقتصاديا ودينيا في عصره من جهة ثانية.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

- انعكست رؤية الشاعر للمجتمع العباسي ،على أسلوبه الشعري،ونتاجه الأدبي عموما،فكانت الرؤية ظلا وارفا لأسلوب الشاعر،ومعينا يسقي اللغة داخل المعجم الشعري،وقد تجلى هذا واضحا في "اللزوميات".
- كان الشعر العربي القديم الأنموذج الذي احتذاه والمثل الذي اقتدى به،لذا كان له حضور بارز خاصة في ديوان "سقط الزند"على خلاف المرحلة الثانية من حياته ،أين ربط بين الممارسة الشعرية بالفعالية السلوكية،حيث تبلور لديه وعي كبير وتجلى هذا في "اللزوميات".إذ تمكن من إرساء أسس مغايرة لكثير من المفاهيم وهو بذلك يعكس شكلا من أشكال الرؤية ووعي الذات.
- اتكأ أبو العلاء المعري على كثير من الأدوات اللغوية،وقد تجلى ذلك في الأساليب الإنشائية والتراكيب، بالإضافة إلى المعجم الشعري،الذي تميّز باستخدام الغريب، وتصنع الجناس وألفاظ الثقافات المختلفة وغيرها.
- اعتمد أبو العلاء المعري في تحقيق رؤيته النقدية على مبدأ التصوير الحسي،رغم عاهته،وكان لعنصر الخيال دور كبير وأساسي في رسم الصورة في ذهن الشاعر،فتعددت أنماط الصورة،وهو دليل على تمكن الشاعر ومؤشرا على ثراء شعره،وقد تبين أنّ أبا العلاء قد وظف أنواع الصورة الحسية جميعها،فعندما أراد تصوير المعنى بصورة شيء مرئي ،فإنه لجأ إلى الصورة البصرية،أما إذا أراد أن يسمع المتلقي صوتا فإنه يلجا إلى الصورة السمعية،وهكذا أراد أن يضفي ملمسا ما لصوره ،فإنّ لكل غرض منها حاسة تسيطر على الصورة.
- استخدم الشاعر أدوات فنية لتشكيل الصورة، من ذلك الصور البلاغية والبديعية،حيث شكلت الصورة التشبيهية حضورا لافتا،ثم الصورالكنائية وتلتها الصورالاستعارية،بالإضافة إلى أدوات معنوية كالصور الرمزية والمتناصة،فاستفاد من الرمز اللغوي ورمز الطبيعة،كما استلهم من الموروث الديني والتاريخي والأسطوري ،أين تقاطعت مع كثير من نصوصه ،فكانت وسيلة في بناء الصورة وإيضاحها.
- أما في الموسيقى الشعرية،فقد وظف الشاعر تقنية التكرار والطباق والجناس،لما لها من أنساق إيقاعية داخلية،تجعل النص الشعري عند أبي العلاء يزخر بالتأنق والتألق،وبنغمة موسيقية مميزة.
- انتهج أبو العلاء في المرحلة الثانية من حياته،بعد اعتزاله الناس،منهجا مغايرا لما قبله،فمن حيث الشكل، فقد اختص بنظم "اللزوميات"وألزم نفسه ما لا يلزم ،على مثال ما شرح في مقدمة "اللزوميات"، وهو أن يلزم مع كل روي حرفا ليس بلازم ،تقوية للقافية في السمع.وأما من حيث المضمون،فلم ينشئ قصائد في المديح أو الغزل أو الرثاء،إنما اختص بالتعبير عن رؤيته تجاه القضايا الفلسفية والدينية والاجتماعية.متخذا من صدق الكلمة والنظر الحر والمثل العليا دليله في الشعر.وأراد بـ "لزومياته" أن يصل ذروة سامقة لم تطأها أية قدم، ولا حتى قدمه من قبل، بعدما أنف من سيره في طريق سابقيه من الشعراء ،وفي أوزان

وقوافي أشعار لزومياته لدليل ناصع على غنى اللغة العربية ومرونتها وقدرتها على إعطاء الشاعر ما يريد من القوافي لقصائده مهما طالت، ولا تطلب العربية منه حتى تهبه ذلك إلا أن يتقرب منها إخلاصا وتعلما،الأمر الذي يغني عن التمرد على القافية وإهمالها .

- ومما لاشك فيه أن النتائج المتوصل إليها في هذا البحث ليست القول الفصل،بل تعتبر خطوة في مسيرة ألف ميل،في سبيل تحقيق طموح علمي ومعرفي،خاصة في مثل هذه المواضيع،التي تثير إشكاليات كثيرة في قراءة تراثنا الزاخر،ومدى تأثير هذا كله في تشكيل وعينا بحاضرنا ومستقبلنا.
- وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نعجب بهذه الشخصية الفريدة في حياة المجتمع العربي،وبجهده الكبير الذي بذله من أجل بعث الحياة في روح الأمة،والتطلع دائما نحو حياة أفضل ومجد جديد.كما أرجو أن تتبع هذه الدراسة من طرف المتخصصين،بدراسات أخرى لإضاءة رؤى أبي العلاء الكثيرة،والتي يستحيل حصرها في مجال بحث واحد.

والله من وراء القصد

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

الملخص

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الملخص

يعرض هذا البحث "الرؤية والأداة في شعر أبي العلاء المعري"،وعنيت بالوقوف على رؤية أبي العلاء الفلسفية والدينية والاجتماعية.

لم يك "أبو العلاء " بمعزل عن المشاركة في الحياة الاجتماعية والفكرية في عصره ، ولم يكن ليلزم نفسه الصمت تجاه واقع مظلم مرير،فكانت له سطوة الكلمة يعبر بها عن ضيقه وتبرمه من فساد عصره واختلال القيم والموازين فيه، ويكشف عن كثير مما ظهر فيه، من صراعات فكرية ومذهبية، وما أبو العلاء إلا ثمرة من الثمرات التي أنتجها عصره ،وما فلسفته وأدبه وتشاؤمه إلا نتيجة لما آلت إليه الأوضاع من فوضى واضطراب وعلى جميع الأصعدة ،مما اضطره إلى العزلة ،الأمر الذي جعله ينظم أضخم ديوان وهو ما سماه (باللزوميات)،حاملا آراءه الفكرية والفلسفية حتى أخذت بعدا فلسفيا أقرب منه إلى أن يكون ديوانا شعريا.

نظم أبو العلاء شعره الفتي في بدايته على منوال القدماء محتديا بهم، مقتبسا لمعانيهم ،إلا أنه فاقهم جميعا، وله في ذلك ديوان سمّاه(سقْط الزَند) لمـــا صرف الشعر من الخيال إلى العقل وجعله مسرحا للنظر في الطبيعة والتفكير في الخلق ،والحكمة الاجتماعية.وتضمن شعره ،أدوات فنية جديدة وخصائص عديدة ،كانت نتاج آفات عصره، والمتمثلة في فسيفساء البلاغة ،والتعلق الشديد بلعبة المجانسة والازدواج والتلوينات الصوتية المختلفـــة والتبـــاهي بالقدرة على نبش قبور الكلمات الميتة،لا بقصد إحيائها ونفض الغبار عنها ولا بقصد تحنيطها ونقل رفات رميمها من ضريح التاريخ إلى ضريح القالب التعبيري الأجوف.

وقد كشفت الدراسة عن تلك الرؤى باستخدام الأدوات الفنية التي استخدمها الشاعر من لغـــة وصـــورة وموسيقى شعرية، والتي أظهرت لنا وجهة نظر الشاعر،فجاءت الأعمال مترابطة فيما بينها،بحيث يستطيع المتلقي أن يلحظ أن كل رؤية في شعر أبي العلاء تتضافر مع رؤية أخرى،ليأتي مجموع الـــرؤى متكـــاملا في الإبـــداع الشعري،مستضيئا في طرح هذه الرؤى والأدوات وفق المنهج الوصفي الذي أزعم أنه المنهج الأكثر قدرة علـــى الكشف عن رؤية أبي العلاء التي كانت ترتسم من خلال نصوصه الشعرية.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

Resumé en français

Le présent mémoire intitulé «reflexion et style de la poésie d'Abou Ala El maari »
S' interesse spécifiquement à la pensée philosophique, Sociale et religieuse. Témion et acteur de la vie socio – culturelle de son époque, le poète a utilisé sa plume pour en dénoncer les vices et conflits idéologiques et religieux .

Sa philisophie pessimiste, résultat de ce climat anarchique, Est présentée dans son recueil « louzoumiat» qu'il a composé après s'être_ isolé de la société .
D'abord imitation des anciens , le style poétique d' Abou Al Ala a dépassé ses modéles substituant à l'imaginaire la raison et proposant ainsi une méditation sur la nature , la création et la sagesse.

Le présent mémoire à mis en lumière les spécificités stylistiques de sa poèsie : langue, métaphore et mélodie poétique , ainsi que l'adéquation des différents écrits de l'auteur qui fonde la cohérence de son œuvre et de sa pensée.

pour ce faire, nous avons utilisé la méthode descriptive dans la mesure où elle nous semblait fournir l'accès le plus pertinent à la découverte de cette oeuvre .

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

قائمة المصادر والمراجع

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص.

المصادر:

- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ،(د ط)، دار الريان للنشر ،ج5، 1986م .
- الحافظ بن كثير،تفسير القرآن العظيم ،تح:سامي بن محمد السلامة ،(ط2)،دار طيبة،ج م ع،ج3، 1999م.
- شمس الدين الذهبي، دول الإسلام،تح:محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم،(د ط)،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ج1،1974م.
- ـــــــــــ ،تاريخ الإسلام ووفيات الأعيان،تح:بشار عواد عوف،(دط)،دار الغرب الإسلامي،لبنان،ج9،(دت).
- أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله،العقد البديع في فن البديع،(دط)،المطبعة،الكاثوليكية،بيروت، 1881م.
- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ،الكامل في اللغة والأدب،تح: محمد أحمد الدالي،(ط3)،مؤسسة الرسالة،لبنان،1997م.
- عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ،تح: عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف،(ط1)،دار الجيل ، بيروت ،1991م،
- ـــــــــــ ، دلائل الإعجاز ، تح: رضوان الداية ،(دط) دار قتيبة ،دمشق ،(دت).
- أبو عثمان عمر بن بحرالجاحظ ،البيان والتبيين،تح:عبد السلام هارون ،(دط) مكتبة الخانجي،ج1،1985م.
- أبو العلاء المعري ،ديوان سقط الزند ،(د ط)دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،1957م.
- ـــــــــــ، اللزوميات، تح:أمين عبد العزيز الخانجي،(دط)،مكتبة الخانجي القاهرة،ج2،(دت).
- أبو على الحاتمي،حلية المحاضرة في صناعة الشعر،تح:جعفر الكتاني،دار الرشيد بغداد،ج1،1979م.
- أبو علي الحسين بن رشيق القيرواني ،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،تحك صلاح الدين الهواري وهدى عودة، (ط1)،دار ومكتبة الهلال،بيروت، ج1،1996م.
- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزمخشري جار الله ،أساس البلاغة،تح محمد باسل عيون السود (ط1)،دار الكتب العلمية لبنان،1998م.
- قدامه بن جعفر ، نقد الشعر ،تح :محمد عبد المنعم خفاجي ،(دط)،دار الكتب العلمية،بيروت ،(دت).
- محمد أحمد بن طباطبا العلوي،عيار الشعر،تح:عباس عبد الساتر،مراجعة :نعيم زرزور،ط2،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،2005م
- محمد بن علي الشوكاني،نيل الأوطار،(ط1)،دار الحديث،مكة المكرمة ،ج1،1993م.
- محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي ، تاج العروس،تح: عبد الكريم الغرباوي ، (دط)،مطبعة حكومة الكويت،1979م.
- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور، لسان العرب ،(ط3)،دار صادر، بيروت،1993م.
- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (دط)،دار الفكر ،بيروت ،لبنان ،1999م.
- نصر الله بن محمد أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة،(دط)، نهضة مصر القاهرة ،1962م.
- أبوهلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، كتاب الصناعتين ،تح:محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطماش،(دط)، دار الجيل، بيروت،1988م.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

المراجع:

1 – إبراهيم العاتي ،الزمان في الفكر الإسلامي (ابن سينا،الطبيب الرازي ،المعري)، (ط1) ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت،لبنان1993م.

2 – إبراهيم فتحي ، معجم المصطلحات الأدبية،(ط1)،المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ،صفاقس،الجمهورية التونسية،1986م.

3 – أحمد محمد فتوح ، الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر ،(ط1)، دار المعارف ، القاهرة ،1978م.

4 – أحمد السعدني ،نظرية الأدب ،مقدمة في نظرية الفن،(د ط)،مكتبة الطليعة،أسيوط،مصر ،1979م.

5 – أحمد الشايب ،أصول النقد الأدبي، (ط10)، مكتبة النهضة المصرية ،1994م.

6 – أحمد تيمور باشا ،أبو العلاء المعري،نسبه وأخباره وشعره ومعتقده،(د ط)،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والشعر،القاهرة،1940م.

7 – أحمد عزالدين إسماعيل،الأدب وفنونه دراسة ونقد ،(ط9)،دار الفكر العربي،القاهرة،2004م.

8 – أحمد مصطفى المراغي،علوم البلاغة،(دط)المكتبة المحمودية التجارية،مصر،1993م.

9 – السيد أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة،(ط1)،المكتبة العصرية،صيدا،بيروت،1999م.

10 – أنيس المقدسي ،أمراء الشعر العربي في العصر العباسي،(ط17)،دارالعلم للملايين،بيروت،لبنان،1989م.

11 – بدر عبد المحسن طه ،نجيب محفوظ الرؤية والأداة،دار الثقافة للطباعة والنشر،القاهرة،1978م .

12 – بطرس البستاني ،الأدب العربي ،تاريخ ونصوص العصر العباسي، (د ط) ،دار الآفاق ،(د ت).

13 – بطرس البستاني،أدباء العرب،(د ط)،دار الجيل،بيروت،1997م.

14 – تروتسكي،الأدب والثورة،تر:جورج طرابيشي،(ط1)،دار الطليعة ،بيروت،1975م.

15 – جابر عصفور،الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب،(ط2)،دارالتنوير للطباعة والنشر،بيروت،1983م .

16 – جرجي زيدان،تاريخ آداب اللغة العربية،(د ط)،دار الهلال ،الاسكندرية ،مصر ،ج 2،(د ت).

17 – جميل صليبا،تاريخ الفلسفة العربية ،(د ط)،دار الكتاب اللبناني،بيروت ،1986م.

18 – جوليا كرستيفا،علم النص ،تر:فريدة الزاهي،مر:عبد الجليل ناظم،(ط1)،دارتوبقال للنشر،الدار البيضاء،1991م.

19 – حسام الألوسي،حوار بين الفلاسفة والمتكلمين،ط2،المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ،بيروت1980،

20 – حسن عباس،النحو الوافي،(ط3)،دار المعرف،مصر،1985م.

21 – حسن عبد العليم يوسف،أثر النزعة العقلية في الشعر العباسي،(دط)،النسرالذهبي للطباعة،ج م ع،(دت).

22 – حماد حسن أبوشاويش ، (ط1)،دار إحياء العلوم،بيروت،لبنان،1989م.

23 – خلف شرف الدين ،أبو العلاء ،في سبيل موسوعة فلسفية،منشورات دار المكتبة الهلال ،بيروت،1982م.

24 – حنا الفاخوري،الموجز في الأدب العربي وتاريخه،الأدب المولد ، (ط2)،دار الجيل ،بيروت ،1991م

25 – خليل مرسي ، الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر ،(ط4)، مطبعة الحمهور،دمشق،(د،ت).

26 – رجاء عيد ، التجديد الموسيقي في الشعر العربي،(دط)، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984م.

27 – رولان بارت،الدرجة صفر للكتابة،تر:محمد برادة،(دط)،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،(دت).

28 – زكي المحاسني،أبو العلاء ناقد المجتمع،(د ط)،بيروت ،دار المعراف،1963م.

29 – سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي ،(ط2)،دار الفكر، دمشق ،سورية ،1988م.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

30 – سناء خضر،النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين،(دط)،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،1999م.

31 – سيد قطب،النقد الأدبي أصوله ومناهجه،(ط 8)،دار الشروق،ج م ع ،2003م.

32 – شرح اللزوميات،نظم أبي العلاء المعري ،تح :سيدة حامد،منير المدني،زينب القوصي،وفاء الأعصر،مراجعة:حسين نصار،(دط)،الهيئةالمصرية العامة للكتاب، 1992م.

33 – شروح سقط الزند،تح:مصطفى السقا،بد الرحيم محمود،عبد السلام هارون ، إبراهيم الإبياري،حامد عبد المجيد، إشراف:طه حسين،(دط)،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ج1،1987م.

34 – شوقي ضيف ،الفن ومذاهبه في الشعر العربي، (ط 12) ،دار المعارف ،القاهرة،(د ت).

35 – صاحب خليل إبراهيم ، الصورة السمعية في الشعر العربي الجاهلي، منشورات إتحاد الكتاب العرب،لبنان 2000م.

36 – صالح أبو أصبع، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، (ط1)،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،1979م.

37 – صبح علي علي،الصورة الأدبية تاريخ ونقد،(ط1)،دار إحياء الكتب العربية،القاهرة،(دت).

38 – صبحي البستاني، الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ،(ط1)، دار الفكر اللبناني،بيروت،1986م.

39 – صبحي حمودي، المنجد في اللغة المعاصرة،(ط1)،دار المشرق، بيروت، 2000م.

40 – صـــلاح الدين أحمد دراوشـــة،الرؤى والأدوات عند شعراء القرن الثاني الهجري،(ط1)،عالم الكتـــب الحديث،إربد،الأردن،2010م.

41 – صلاح عبد الصابور،حياتي في الشعر،(دط)،دار العودة،بيروت،1969م.

42 – صلاح فضل، الأساليب الشعرية المعاصرة،(دط)،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،1998م.

43 – طراد الكبيسي ، الغابة و الفصول ، (ط1)دار الرشيد ، بغداد ، 1975م.

44 – طه حسين ، تجديد ذكرى أبي العلاء ،(ط9)،دار المعارف ،القاهرة، 1963 م.

45 – ـــــــــــــ ،مع أبي العلاء في سجنه،(ط14)،دار المعارف،مصر،1989م.

46 – عبد الإله الصائغ ، الصورة الفنية معيارا نقديا،(ط1)،دار الشؤون الثقافية العامة،العراق،1987م.

47 – ـــــــــــــ ،الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية.(ط1) ، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،1997م .

48 – عبد الفتاح صالح،الصورة في شعر بشار بن برد،(دط)،دار الفكر، عمان ،1983م.

49 – عبد الفتاح نافع،الشعر العباسي قضايا وظواهر،(ط1)،دار جرير للنشر والتوزيع،عمان ،الأردن،2011م.

50 – عبد القادر الرباعي ،الصورة الفنية في شعر أبي تمام ،(ط2)،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1999م.

51 – ـــــــــــــ، الصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق ،(ط1)،دار العلوم، الرياض،1984م.

52 – عبد القادر زيدان،قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، (د ط) الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة،1986م.

53 – عبد القادرحسيني،(دط) فن البديع،دار الشرق ،(دت)بيروت.

54 – عبد اللطيف محمد السيد الحديدي ،الصورة النقدية في شوقيات حافظ ،(ط1)،دار المعرفة للطباعة والتجليد، مصر،1997م.

55 – عبد الله التطاوي ، الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد، (دط)،دار غريب للطباعة والنشروالتوزيع،القاهرة،2002م.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

56 – ـــــــــــــ،القصيدة العباسية قضايا واتجاهات،(ط3)،دار غريب،القاهرة،(د ت).
57 – عبد الله العلايلي،المعري ذلك المجهول،رحلة في فكره وعالمه النفسي،(ط 3)،دار الجديد،بيروت،لبنان،1995م
58 – عبد المحسن طه بدر،الرؤية والأداة،(ط 3)،دار المعارف، مصر،(د ت) .
59 – أبو عثمان عمر بن بحرالجاحظ ،البيان والتبيين،تح:عبد السلام هارون ،(دط) مكتبة الخانجي،ج1،1985م.
60 – عزالدين إسماعيل ،الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية،(ط3)،دار العودة،بيروت،2007م.
61 – علي البطل ، الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري (ط3)،دار الأندلس،لبنان، 1983م.
62 – علي بن *عبد العزيز* القاضي الجرجاني ، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم،(دط)،مطبعة عيسى البابي،القاهرة،1966م.
63 – عيد الدحيات،النظرية النقدية الغربية من أفلاطون إلى بوكاشيو،(ط1)،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت لبنان،2007م.
64 – فرانسوا مورو،البلاغة المدخل لدراسة الصورة البيانية ،(ط2)،دار إفريقيا الشرق،الدار البيضاء،2003م.
65 – كمال اليازجي ،أبو العلاء ولزومياته ،(ط3)،دار الجيل،بيروت،لبنان1997م .
66 – ـــــــــــــ ،جذور فلسفية في الشعر العربي القديم والمولد،(ط 1)،دار الجيل،بيروت، 1922م.
67 – ليون تروتسكي،الأدب والثورة،تر:جورج طرابيشي،(ط1)،دار الطليعة ،بيروت،1975م.
68 – محمد إبراهيم محمد، عقيدة أهل السنة والجماعة،(ط2)،دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع،م ع س،1988م.
69 – محمد أحمد بن طباطبا العلوي،عيار الشعر،تح:عباس عبد الساتر،مراجعة :نعيم زرزور،(ط2)،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،2005م.
70 – محمد النويهي،قضية الشعر الجديد،(ط2)،مكتبة الخانجي،دار الفكر،ج م ع ،1971م.
71 – محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (دط)،دار الفكر ،بيروت ،لبنان ،1999م.
72 – محمد خير البقاعي ، آفاق التناصية المفهوم و المنظور،(دط) الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة 1998م.
73 – ـــــــــــــ، موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ،(د ط) دارالنهضة العربية،بيروت، 1981م.
74 – محمد سليم الجندي،الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره،(ط2) ،دار صادر للطباعة والنشر،بيروت، ج1،1992م.
75 – محمد زكي العشماوي ، موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ،(دط)، دار النهضة العربية،بيروت لبنان،1981م.
76 – محمد عبد الرحمن مرحبا ،من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،(ط2)،منشورات البحر المتوسط،بيروت،1981م.
77 – محمد عبد المطلب،البلاغة والأسلوبية،(دط)،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1984م.
78 – محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ،(دط) دار نهضة مصر،(دت).
79 – ـــــــــــــ، الأدب المقارن،(دط)،دار العودة،بيروت،1983م.
80 – محمد مفتاح،تحليل الخطاب الشعري،إستراتيجية التناص،(ط1)،لمركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،1985م.
81 – محمد مندور،الأدب ومذاهبه ،(د ط)، نهضة مصر للطباعة والنشر، (دت).
82 – مصطفى البشير قط،قراء ات في النقد والأدب،(ط1)،مكتبة الآداب،القاهرة، 2008م
83 – مصطفى سويف،الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة،(ط3)،دار المعارف،القاهرة،(د ت).

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

84 – مصطفى ناصف ،الصورة الأدبية،(ط2)،دار الأندلس للطباعة والنشر ،لبنان ،1981م.

85 – معجم العلوم الإنسانية ،جان فرنسوا دورتيه،تر: جورج كتورة ،(ط1)،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،2009م.

86 – وهب رومية ،شعرنا القديم والنقد الجديد ،(ط1)،سلسلة عالم المعرفة ،الكويت،1999 م.

87 – يحي عبابنة،الرؤى المموهة،قراءات في ديوان عرار،(عشيات وادي اليابس)،منشورات أمانة عمان الكبرى،2001م .

88 – يوسف الخال،الحداثة في الشعر،(دط)،دار الطليعة ،بيروت،(دت).

ج–الرسائل الجامعية:

1- عبد الحفيظ بوالخراص،الغربة والحنين في شعر ابن حميدس الصقلي،)رسالة ماجستير(،جامعة فرحات عباس،سطيف،2005 م.

2- ريما عبد الكريم رجوب، أثر القرآن في شعر أبي العلاء المعري،(رسالة ماجستير)،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة البعث، ج ع س،2009م.

3- رمضان يحي أحمد،الصورة الفنية في شعر الفتوحات الإسلامية(رسالة ماجستير)،جامعة غزة،2011م.

د-المجلات والدوريات:

1– الأخضر عيكوس،الخيال الشعري وعلاقته بالصورة الشعرية ،مجلة الآداب،ع1، جامعة قسنطينة،1994م.

2– لوسيان غولدمان، الإله الخفي،نقلا عن ،(نحو أدب سوسيولوجي)،جاك دوبوا ،مجلـــة آفـــاق،ع10،الجزائر،1981م.

3 –محي الدين صبحي (دراسات رؤوية)،منشورات وزارة الثقافة ،دمشق، (د ت).

4– وحيد صبحي كبابة ،(الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس)،منشورات اتحاد العرب، 1999م.

5– يحي عبابنة،الرؤى المموهة،قراءات في ديوان عرار(عشيات وادي اليابس)،منشورات أمانة عمـــان الكبرى،2001م.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

فهرس المحتويات

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

المقدمة ..... أ
المدخل 2

الفصل الأول:أنماط الرؤية في شعر أبي العلاء المعري

المبحث الأول : الرؤية الفلسفية

الفلسفة الطبيعية..... 15
الفلسفة الإلهية..... 19
الفلسفة الرياضية..... 23
الفلسفة العملية..... 25

المبحث الثاني:الرؤية الدينية

رؤية أبي العلاء في معتقده في الله تعالى..... 39
النبوات والأديان والشرائع..... 41
الجبر والاختيار..... 47

المبحث الثالث: الرؤية الاجتماعية

الآفات الاجتماعية..... 53
المرأة في رؤية أبي العلاء..... 61

الفصل الثاني: الأداة في شعر أبي العلاء المعري

المبحث الأول:اللغة

الأساليب الإنشائية..... 70
التقديم والتأخير 73
الأفعال..... 74
المعجم الشعري 75

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

المبحث الثاني:الصورة في شعر أبي العلاء

الصورة.....82
الصورة في النقد العربي القديم.....83
الصورة في النقد العربي الحديث.....87
الصورة الفنية في شعر أبي العلاء المعري.....90
أدوات تشكيل الصورة في شعر أبي العلاء المعري.....97
الصور البلاغية والبديعية.....97
الصور الرمزية والمتناصة.....108

المبحث الثالث :الموسيقى الشعرية

الإيقاع لغة و اصطلاحا.....118
الموسيقى الداخلية و الخارجية في شعر أبي العلاء..... 119
الخاتمة.....130
الملخص.....135-134
قائمة المصادر والمراجع.....137
فهرس المحتويات.....143